أليس فيني

ALICE FEENEY

أحيانًا أكذب

SOMETIMES I LIE

رواية

ترجمة:
يارا أيمن



أحيانًا أكذب



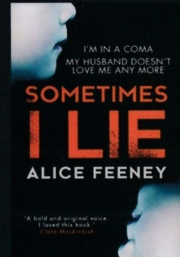
اسمي آمبر رينولدز.. ثمة ثلاثة أشياء ينبغي لك أن تعرفها عني:

1- أنا في غيبوبة.

2- زوجي لم يعد يحبني.

3- أنا أحيانًا أكذب.

تستيقظ آمبر في المستشفى. لا يمكنها أن تتحرك. لا تستطيع أن تتكلم. ليس بمقدورها أن تفتح عينيها. بوسعها سماع جميع مَن حولها، لكنهم لا يعرفون ذلك. لا تتذكر آمبر ما حدث، لكنها تشك أن لزوجها علاقة بالأمر.



وبالتناوب بين حاضرها المشلول، والأسبوع الذي سبق حادثتها، وسلسلة من مذكرات طفولة قبل عشرين سنة، تتجلى رواية الإثارة النفسية الرائعة تلك.

وتسأل الرواية السؤال الأهم.. هل يُعد الشيء كذبةً حقًّا لو كنت تعتقد أنه الحقيقة؟

AHMED FARAG

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

أليس فيني

ALICE FEENEY

أحيانًا أكذب

SOMETIMES I LIE

رواية

مكتبة ياسمين

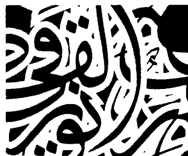
t.me/yasmeenbook

ترجمة:
يارا أيمن



- العنوان الأصلي: Sometimes I Lie
- العنوان العربي: أكذب أحيانًا
- حقوق النشر:
Copyright © 2017 by Diggi Books Ltd
- الطبعة الأولى: يناير 2025م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- تأليف: أليس فيني
- ترجمة: يارا أيمن
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: أحمد شاهين
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2024/25085م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-428-1



لدانيال زوجي، ولها.

اسمي آمبر رينولدز. ثمة ثلاثة أشياء ينبغي لك أن تعرفها عني:

1 - أنا في غيبوبة.

2 - زوجي لم يعُد يحبني.

3 - أنا أحيانًا أكذب.

الآن

يوم الهدايا، ديسمبر 2016

دائمًا ما سعدتُ بالسقوط الحر الذي يتوسط النوم واليقظة. ثواني شبهُ الوعي المعدودة الثمينة، تلك التي تسبق فتحك لعينيك، عندما تضبط نفسك وأنت تُصدق أن أحلامك قد تكون واقعك ببساطة. لحظة مكثَّفة من المتعة أو الألم، قبل أن تعود حواسُّك للعمل وتخبرك مَن أنت، وأين وما أنت عليه. وللآن، لثانية أخرى فحسب، أستمتع بالوهم المُداوي لرُوحي، الذي يسمح لي بتخيُّل أنني قد أكون أي أحد، في أي مكان، وأنني قد أُحب.

شعرتُ بالضوء من وراء جفنيَّ، واسترعى انتباهي الخاتم البلاتيني في إصبعي. شعرتُ أنه أثقل من المعتاد، كأنه يُثقل كاهلي. ثمة غطاء فوق جسدي، رائحته غير مألوفة، وفكرت أنني ربما في فندق. تبخرتْ أي ذكرى عمَّا حلمتُ به. حاولتُ أن أتشبَّث بحلمي، حاولتُ أن أكون أحدًا ما أو أبقى حيث لم أكن، لكني فشلتُ. أنا مَن أنا فحسب كعهدي دائمًا، وأنا هنا، في المكان الذي أعلم بالفعل أنني لا أتمنى وجودي فيه. أطرافي تؤلمني، وأشعر بتعب شديد، لا أريد أن أفتح عينيَّ... حتى تذكَّرتُ أنني لا أستطيع.

انتشر الذعر عبر جسدي مثل هبَّة من الهواء البارد كالجليد. لا يمكنني تذكُّر أين هذا المكان أو كيف وصلتُ إلى هنا، لكني أعلم مَن أنا: **أُدعى آمبر رينولدز، في الخامسة والثلاثين من عمري، وأنا زوجة بول.** كررتُ تلك النقاط الثلاث في رأسي، وأنا أتشبَّث بها بقوة، كأنها قد تُنقذني، لكني مدركة لغياب جزء من القصة، صفحاتها الأخيرة انتُزعت من موضعها. حينما أكملت الذكريات قدر ما استطعتُ، دفنتُها حتى تكون هادئة بما يكفي داخل رأسي لتسمح لي بالتفكير والإحساس، ومحاولة فهم كل شيء. أبت إحدى الذكريات أن ترضخ، ظلت تشقُّ طريقها إلى السطح، لكني لا أريد أن أصدقها.

اقتحم إدراكي صوت آلة ليسرق آخر ما تبقى لي من شظايا أمل معدودة، ويتركني دون شيء سوى معلومة غير مرغوب بها بأنني في مستشفى. رائحة المكان المعقمة الكريهة تجعلني أريد التقيؤ. أكره المستشفيات. إنها موطن الموت والندم الذي فات أوانه، وهو ليس بالمكان الذي اختار زيارته، ناهيك بالبقاء فيه.

جاء أناس هنا من قبل، أغراب، أتذكَّر هذا الآن. استخدموا كلمة اخترتُ ألَّا أسمعها. أتذكَّر الكثير من الجلَبة والأصوات البشرية المرتفعة، والخوف، ليس خوفي فقط. أُعاني لأكتشف المزيد، لكن عقلي يَخذلني. حدث شيء غاية في السوء، لكني لا أستطيع أن أتذكَّر ماذا أو متى.

لمَ هو ليس هنا؟

قد يكون من الخطِر أن تطرح سؤالًا عندما تكون على علمٍ بإجابته سلفًا.

هو لا يُحبني.

وضعتُ إشارة مرجعية عند تلك الفكرة.

سمعتُ بابًا يُفتَح. خطوات أقدام، ثم عاد الصمت وإن صار مشوشًا، ولم يَعُد مُطبقًا. يمكنني شمُّ دخان سيجارة قديمة، وصوت قلم يحتكُّ بورقة عن يميني. أحدهم يسعل عن يساري، وأدركتُ وجود شخصين غريبيْن في الظلام. صرتُ أشعر بالبرد أكثر من ذي قبل، وأنني غاية في الضآلة. لم أعرف رعبًا قط كالذي يتملكني الآن.

أتمنى لو يقول أحدهم شيئًا.

سألت سيدة: «مَن هذه؟».

لتجيب السيدة الأخرى: «ليس لدي فكرة. المسكينة، يا له من وضع سيئ».

أتمنى لو لم تقولا أي شيء على الإطلاق. بدأتُ أصرخ: «**أُدعى آمبر رينولدز! أنا مُقدمة برامج إذاعية! لمَ لا تعلمان مَن أنا؟**».

صحتُ بالعبارات نفسها مرارًا وتكرارًا، لكنهما تجاهلتاني لأنني مِن الخارج صامتة. من الخارج، أنا عديمة الهوية، بلا اسم.

أردت أن أرى نفسي التي رأتاها. أردتُ أن أجلس، وأمد يديَّ وألمسهما. أردتُ أن أشعر بشيء من جديد. أي شيء. أي أحد. أردتُ طرح ألف سؤال. أظنني أردتُ معرفة الإجابات. استخدمتا الكلمة التي قيلت من قبل أيضًا، تلك التي لا أريد سماعها.

غادرت السيدتان، وأغلقتا الباب خلفهما، بينما تركتا الكلمة لنبقى بمفردنا معًا، لم يعد بإمكاني تجاهلها أكثر من هذا. لا يمكنني فتح عينيَّ. لا أستطيع الحركة. ليس بمقدوري التحدث. طفَتِ الكلمة إلى السطح كالفقاعة، لتُفرقع من أثر الاصطدام ولأتيقن أنا أنها الحقيقة...

غيبوبة.

سابقًا

قبل أسبوع - الاثنين، 19 ديسمبر 2016

هبطتُ الدرج على أطراف أصابعي في ظلمة الصباح الباكر، وأنا حذرة كي لا أوقظه. كل شيء حيث ينبغي له أن يكون، رغم هذا، أنا متأكدة أن ثمة شيء مفقود. ارتديتُ معطف الشتاء الثقيل خاصَّتِي لأتدفأ وسرتُ إلى المطبخ حتى أبدأ روتيني. أبدأ بالباب الخلفي وأدير مقبضه مرارًا لأتأكَّد أنه موصَّد:

إلى أعلى وأسفل. أعلى وأسفل. أعلى وأسفل.

ثم وقفتُ أمام فرن الموقد الكبير وثنيتُ ذراعيَّ عند كوعيَّ. تُشكِّل أناملي الشكل المألوف، كأنَّني على وشك قيادة فرقة موسيقية رائعة من مواقد الغاز. تتحرك أصابعي لتُكوِّن الشكل المألوف، تلتقي إصبعا السبابة والوسطى الإبهامَ في كل يد. أهمس لنفسي بهدوء، بينما أتحقَّق ببصري أن جميع المقابض والأقراص مغلقة. أمسح بعينيَّ المكان بالكامل ثلاث مرات، وأنا أنقر بأظفاري معًا لأنشئ شيفرة مورس التي يُمكنني أنا فقط فكُّها. حالما أقتنع بأن كل شيء آمن ومأمون، أغادر المطبخ، وأظل فترةً وجيزة عند المدخل، أتساءل إن كان اليوم يومًا قد أحتاج فيه إلى العودة وبدء الروتين بالكامل من جديد. ليس اليوم.

أتسلَّل على ألواح ممر الأرضية التي تُصدر صريرًا، ثم ألتقط حقيبتي وأتحقَّق مما داخلها؛ الهاتف، المحفظة، المفاتيح... أغلقتها، ثم فتحتها، وتفقَّدتُ ما داخلها ثانيةً... الهاتف، المحفظة، المفاتيح. أتحقَّق للمرة الثالثة، وأنا في طريقي إلى الباب الأمامي. وقفتُ للحظة وصُدمتُ لرؤية المرأة في المرآة تُحدِّق إليَّ هي الأخرى. لديَّ وجه امرأة ربما كانت جميلة يومًا، لكني بالكاد أتعرف عليها الآن. لوحة مختلطة من الألوان الفاتحة والداكنة. رموش سوداء طويلة تؤطر عينيَّ الخضراوَين الواسعتَين، واستقرت وراءهما ظلال حزينة، ومن فوقهما حاجبان بُنيان كثيفان. بشرتي كقماش شاحب يمتدُّ فوق عظام وجنتيَّ. شعري بُني للغاية، يكاد يكون أسود، وتستقر خصل ملساء غير مُرتَّبة على كتفيَّ لافتقاري إلى فكرة أفضل. أُمشطه بأصابعي بقوة قبل أن أربطه إلى الخلف في ذيل حصان، وأُبعد الشَّعر عن وجهي بشريط على معصميَّ. تنفرج شفتاي كأنني سأقول شيئًا، لكن يُفلت الهواء من فمي فقط. يُحدق إليَّ وجه مقدمة برامج الراديو.

أتذكَّر الوقت وذكَّرتُ نفسي أن القطار لن ينتظرني. لم أَقُل وداعًا، لكنَّني لا أفترض أن هذا سيُهم. أطفأتُ الضوء وغادرتُ المنزل، لأتأكد ثلاث مرات أن الباب الأمامي مغلق، قبل أن أسير إلى نهاية ممر الحديقة المضاء بنور القمر.

الوقت مُبكر، لكنَّني متأخرة بالفعل. ستكون مادلين في المكتب الآن، والصحف قُرئت وسُلبت منها أي قصص جيدة. سيكون المنتجون قد تفقَّدوا كل بقايا الأخبار، قبل أن تصرخ بوجوههم وتتنمَّر عليهم لتحصل منهم على أفضل مُقابلات في حلقة هذا الصباح. ستكون سيارات الأجرة في طريقها لاصطحاب وإنزال الضيوف غير المستعدين، المتحمسين على نحو مُفرط. كل صباح مختلف، رغم هذا أصبح اعتياديًّا تمامًا. مرَّت

ستة أشهر منذ أن انضممتُ إلى فريق برنامج «قهوة الصباح» والأمور لا تسري وَفق الخطة. قد يظن كثيرون أنني حصلتُ على وظيفة الأحلام، لكن الكوابيس أحلام أيضًا.

توقفتُ سريعًا لشراء القهوة لنفسي ولإحدى زميلاتي في الردهة، ثم صعدتُ الدرج الحجري إلى الطابق الخامس. لا أحب المصاعد. أضع ابتسامة على وجهي قبل أن أدلف إلى المكتب، وأذكِّر نفسي أن هذا ما أبرع فيه، أتغير كي ألائم الناس من حولي. يُمكنني أن أكون «آمبر الصديقة» أو «آمبر الزوجة»، لكن الآن حان وقت «آمبر من برنامج **قهوة الصباح**». بمقدوري أن ألعب كل الأدوار التي اختارتها لي الحياة، أعرف كل عباراتي، كنتُ أتدرَّب عليها لوقت طويل للغاية.

لم تشرق الشمس تقريبًا، لكن الفريق الصغير، والذي أغلبه من النساء، تجمَّع بالفعل كالمتوقع. هناك ثلاثة وجوه جديدة من المعدِّين، يستمدون طاقتهم من الكافيين والطموح، ومُنكبُّون على مكاتبهم. تحيطهم أكوام من الكتب، والنصوص القديمة، والأقداح، وهم يَنقُرون مرارًا على لوحات مفاتيحهم كأن حياة قططهم تَعتمِد على هذا. يمكنني أن أرى، في الزاوية البعيدة، وهَجَ مصباح مادلين في مكتبها الخاص. أجلس إلى مكتبي وأُشغِّل الكمبيوتر، وأنا أبادل الآخرين الابتسامات الدافئة والتحية. الناس ليسوا مرايا، وهم لا يرونك كما ترى نفسك.

حصلتْ مادلين على ثلاث مساعدات شخصيات هذا العام. ما مِن أحد يستمر في العمل معها طويلًا قبل أن تتخلَّص منه. لا أريد مكتبي الخاص ولا أحتاج إلى مساعدة شخصية، يرُوقني الجلوس بالخارج هنا مع الآخرين. المقعد المجاور لي فارغ. من الغريب على چو ألا تكون هنا الآن، وقلقتُ أن يكون هناك خطب ما. خفضتُ بصري إلى

القهوة الإضافية وهي تبرد، ثم قلتُ لنفسي: «آخذها إلى مكتب مادلين». لنعتبرها هدية استرضاء.

وقفتُ عند الباب المفتوح كمصَّاص دماء ينتظر دعوته للدخول. مكتبها صغير على نحو يثير الضحك، كان خزانة للمعلبات حرفيًّا قبل أن تُحوله إلى مكتب لأنها ترفض الجلوس مع بقية الفريق. هناك صور مؤطرة لمادلين مع مشاهير محشورة على كل شبر من الجدران المزيَّفة، وثمَّة رف صغير يحمل جوائز خلف مكتبها. لم ترفع بصرها. لاحظتُ الشعر القصير القبيح، والجذور الرمادية التي تظهر نفسها تحت الخُصَل السوداء. يستقر ذقنها المزدوج واحدًا فوق الآخر، بينما اختفى بقية لحمها المطوي تحت الملابس السوداء الفضفاضة لحُسن الحظ. أرسل مصباح المكتب نوره على لوحة المفاتيح، التي تحوم فوقها أصابع مادلين المزيَّنة بخاتم. أعلم أنها تستطيع رؤيتي.

قلتُ وأنا مُحبطة من بساطة كلماتي بالنظر إلى طول الوقت الذي استغرقتُه للعثور عليها: «ظننتكِ قد تحتاجين إلى هذا».

أجابتْ دون أن ترفع عينيها عن الشاشة: «ضعيه على المكتب».

- **على الرحب والسعة.**

غمغمتْ مروحة جهاز التدفئة الصغير في الزاوية، وزحف دفء له رائحة الدخان كالثعبان حول ساقيَّ ليُبقيني في مكاني. وجدتُ نفسي أُحدِّق إلى الشامة التي على وجنتها. أحيانًا ما تفعل عيناي هذا: تركز على عيوب الشخص، وأنسى للحظات أن باستطاعتهم رؤيتي وأنا أنظر إلى أشياء يُفضِّلون ألَّا أراها نوعًا ما.

غامرتُ بقولي: «هل حظيتِ بعطلة أسبوعية لطيفة؟».

- أنا لست مُستعدة للحديث مع الناس بعد.

فتركتها وشأنها.

عندما عدتُ إلى مكتبي، مسحتُ بنظري كومة البريد التي تجمَّعت من يوم الجمعة: بضع روايات تبدو مُروِّعة ولن أقرأها أبدًا، وبعض رسائل المُعجبين، ودعوة لحضور حفل خيري لفت انتباهي. ارتشفتُ قهوتي واستغرقتُ في أحلام اليقظة لأرى ما قد أرتديه ومَن قد يُرافقني إن ذهبتُ. عليَّ القيام بالمزيد من الأعمال الخيرية حقًّا، لكني لا أملك وقتًا كافيًا أبدًا على ما يبدو. مادلين هي الواجهة الإعلامية لمؤسسة «أزمات الطفولة» كما أنها صوت «قهوة الصباح». دائمًا ما وجدتُ علاقتها الوثيقة مع أكبر مؤسسة خيرية للأطفال في البلاد غريبة بعض الشيء، بالنظر إلى كرهها للأطفال، وأنها لم تُرزق بطفل قط. لم تتزوَّج حتى. إنها وحيدة تمامًا في الحياة وإن كانت لا تشعر بالوحدة أبدًا.

حالما فرزتُ البريد، قرأتُ ملاحظات موجز حلقة هذا الصباح، من المفيد دائمًا أن تكون لديَّ خلفية معرفية بسيطة قبل الحلقة. لا يُمكنني العثور على قلمي الأحمر، لذا توجهتُ إلى خزانة الأدوات المكتبية.

لقد أُعيد تعبئتها.

ألقيتُ نظرة خاطفة جانبًا، ثم عدتُ بنظري إلى أرفف الأدوات المكدَّسة بعناية. حصلتُ على حفنة من ورق الملاحظات اللاصق، ثم أخذتُ بعض الأقلام الحمراء، ودفعتُها إلى جيوبي. ظللتُ آخذها حتى انتهتْ وصار الصندوق فارغًا. تركتُ بقية الألوان الأخرى. لم يرفع أحد نظره وأنا أعود إلى مكتبي، لم يروني وأنا أفرغ كل شيء في درجي وأغلقه.

حينما بدأتُ أقلق أن صديقتي الوحيدة هنا لن تظهر اليوم، دلفتْ چو وابتسمتْ لي. ارتدتْ كما ترتدي دائمًا، بنطالًا چينز من الدنيم الأزرق، وبلوزة بيضاء، كأنها لا تستطيع تخطِّي فترة التسعينيات. تنتعل الأحذية

التي قالت إنها تكرهها وشعرها الأشقر مُبللٌ من المطر. جلستْ إلى المكتب المجاور لمكتبي، والمقابل لمكاتب بقية المعدِّين.

همستْ: «آسفة على تأخُّري». لكن لم يُلاحظها أحدٌ غيري.

آخر مَن وصل هو ماثيو، رئيس مُعدِّي البرنامج. هذا ليس غريبًا عليه. بدا بنطاله الضيق مشدودًا، مُنخفِض الخصر ليستوعب انتفاخ وسطه. كان قصيرًا أكثر من اللازم قليلًا على ساقَيه الطويلتَين، إذ كشف عن جوربين مُلوَّنين فوق نعليه البنيَّين اللامعين. اتجه مباشرةً إلى مكتبه المنظم بجانب النافذة دون أن يلقي التحية. السبب وراء إدارة رجل لفريق نسائي يُعدُّ برنامجًا نسائيًّا يفوق قدرتي على الاستيعاب. لكن غامر ماثيو بعدها وأعطاني هذه الوظيفة عندما غادر فجأة الموظف السابق، لذا أفترض أنني ينبغي لي الشعور بالامتنان. قالت مادلين من طرف الغرفة الآخر: «ماثيو، أيُمكنك المجيء إلى مكتبي الآن بما أنك وصلت؟».

همستْ چو: «وأعتقد أن صباحه لا يُمكن أن يزداد سوءًا. هل لا نزال على موعدنا لتناول المشروبات بعد العمل؟».

أومأتُ برأسي، وأنا أشعر بالارتياح لأنها لن تَختفي بعد البرنامج مباشرةً مرة أخرى.

شاهدنا ماثيو، وهو يجلب ملحوظات الموجز، ويهرع إلى مكتب مادلين، لا يزال معطفُه اللافت للنظر يُرفرف على جانبَيه كأنه يتمنى لو يطير. وبعد لحظات، خرج غاضبًا، وبدا عليه الارتباك بينما احمرَّ وجهه.

قالت چو لتقطع حبل أفكاري: «من الأفضل أن نذهب إلى الاستوديو».

بدت كخطة جيدة، خاصة أننا سنكون على الهواء مباشرةً خلال عشر دقائق فأجبتُها: «سأرى إن كانت جلالتها جاهزة».

سررتُ برؤية أنني جعلتُ چو تبتسم. لمحتُ عينَي ماثيو، وهو يرفع حاجبَيه المقوَّسين بدقة باتجاهي. لم يجدر بي أن أقول هذا بصوتٍ عالٍ.

ومع بدء العد التنازلي إلى رأس الساعة، تحرَّك الجميع في أماكنهم. شققتُ طريقي أنا ومادلين إلى الاستوديو للعودة إلى موقعَينا المألوفَين وسط الساحة المظلمة. هناك مَن يشاهدنا عبر نافذة زجاجية ضخمة من حيز غرفة مراقبة الاستوديو الآمن، مثل حيوانَين مختلفين تمامًا وُضعا في القفص نفسه عن طريق الخطأ. جلستْ چو وبقية المُعدِّين في تلك الغرفة. المكان مُضيء وصاخب، وبه مليون زرٍّ بمختلف الألوان وبمظهر معقَّد للغاية مقارنةً ببساطة ما نقوم به بالفعل، نتحدَّث إلى الناس ونتظاهر باستمتاعنا بالأمر. على النقيض، كانت إضاءة الاستوديو خافتة، وساد داخله الصمت بصورة لا تبعث على الراحة. توجد طاولة فقط وأمامها بعض الكراسي وميكروفونان. أجلس أنا ومادلين في الظلام، نتجاهل بعضنا بعضًا بهدوء، منتظرتين تحوُّل ضوء لافتة «على الهواء» إلى اللون الأحمر وأول إشارة للبدء.

- صباح الخير، ومرحبًا بكم في حلقة يوم الاثنين من برنامج «قهوة الصباح»، معكم مادلين فروست. سينضم إلينا بعد قليل في حلقة اليوم الكاتبة صاحبة المؤلفات الأكثر مبيعًا إ. ب. نايت، لكن قبلها سنناقش ارتفاع عدد المعيلات من النسوة، أمَّا بالنسبة للمُداخلات الهاتفية اليوم، فنحن ندعوكم للتواصل معنا في موضوع الأصدقاء الخياليِّين. هل كان لديك صديق خيالي في طفولتك؟ ربما لا تزال تملك...

النبرة المألوفة في صوتها على الهواء تُهدِّئني، وانتقلتُ بعقلي إلى نظام التحكُّم الآلي، في انتظار دوري لأقول شيئًا. تساءلتُ إن كان بول قد استيقظ الآن. لم يكن على طبيعته مؤخرًا: يبقى لوقت مُتأخر في

سقيفة كتابته، يأوي إلى الفراش قُبيل نهوضي، أو لا يأوي إليه على الإطلاق. يروقُه تسميته كوخًا. وأنا يروقني تسمية الأشياء بأسمائها.

قضينا المساء مع إ. ب. نايت ذات مرة عندما نُشرت أولى روايات بول. كان هذا قبل ما يزيد على خمس سنوات الآن، بعد فترة ليست بطويلة من أول لقاء لنا. كنتُ مراسلة تلفزيونية وقتها. عملتُ في الأخبار المحلية، وهو ليس بالأمر الباهر. لكن رؤيتك لنفسك على الشاشة تُجبرك حقًّا على بذل جهد لتحسين مظهرك، على عكس الراديو. كنتُ نحيلة حينها، لم أُجِد الطهي، فأنا لم يكن معي أحدٌ أطهو لأجله قبل بول، ونادرًا ما بذلتُ جهدًا لنفسي فحسب. علاوة على هذا، كنتُ منشغلة للغاية بالعمل. توليتُ في الغالب مواضيع عن حفر الطريق أو سرقة الرصاص من أسطح الكنيسة، لكن ذات يوم، قررتِ المصادفة أن تتدخل. مرضتْ مراسلة الأخبار الترفيهية وأرسلوني أنا لأُجري مقابلة مع أحد المؤلِّفين البارعين الجدد بدلًا منها. لم أكن قرأت كتابه حتى. عانيتُ وقتها من آثار ما بعد الثمالة، واستأتُ من اضطراري لإنجاز عمل أحد آخر، لكن تغير كل هذا عندما دلف إلى الغرفة.

حجز ناشر بول جناحًا في فندق «ريتز» (Ritz) للمُقابلة، شعرتُ كأنه مسرح، كما شعرتُ أنني مُمثلة لم تحفظ دورها. أتذكَّر شعوري بأن الأمر يفوق قدراتي، لكن عندما جلس على الكرسي المقابل لي، أدركتُ أنه أكثر توترًا مني. كانت أولى مقابلاته التلفزيونية واستطعتُ أن أطمئنه بطريقة ما. عندما طلب بطاقتي بعدها، لم يخطر ببالي أي شيء من هذا حقًّا، لكن استمتع مُصوِّري كثيرًا وهو يُعلق على «الكيمياء» التي بيني وبين بول طوال طريق عودتنا إلى السيارة. شعرتُ كأنني طالبة في المدرسة عندما اتصل بي تلك الليلة. تحدثنا وكان حديثُنا سلِسًا، كأننا نعرف بعضنا بعضًا مسبقًا. قال إن عليه الذهاب إلى حفل

توزيع جوائز للكتب الأسبوع القادم، وما من أحد يرافقه. تساءل إن كنتُ مُتفرغة وقتها. وكنتُ كذلك. جلسنا إلى الطاولة نفسها التي جلستْ إليها إ. ب. نايت في الحفل، كان الأمر أشبه بتناول العشاء مع أسطورة وموعد أول لا يُنسى. كانت فاتنة فطنة ذكية. تطلَّعتُ لرؤيتها مجددًا منذ أن علمتُ أنهم رتبوا لاستضافتها في حلقة.

قلتُ لها بصفتي المُعدَّة التي أحضرَتها إلى الاستوديو الخاص بي: «سررتُ برؤيتكِ».

أجابتْ، وهي تجلس: «سُررتُ برؤيتكِ أنا أيضًا».

لم تتعرف عليَّ إطلاقًا، كم يَسهُل نسياني.

أبرزتْ قصة شعرها الأشيب القصير الشهير وجهها الصغير ذا الأعوام الثمانين. إنها مُنمَّقة، حتى تجاعيدها مرتبة بأناقة. بدت رقيقة من الخارج، لكن عقلها متَّقد وسريع. وجنتاها ورديتان من أحمر الخدود، وعيناها الزرقاوان حكيمتان ويقظتان، تتحرَّكان بسرعة في أرجاء الاستوديو قبل أن تحطَّا على هدفهما. ابتسمت بدفء لمادلين كأنها قابلت بطلة. أحيانًا ما يفعل الضيوف هذا. والأمر لا يُزعجني، ليس حقًّا.

وبعد البرنامج، اتجهنا جميعًا إلى غرفة الاجتماعات للمراجعة. جلسنا وانتظرنا مادلين، التي خيَّم الصمت على الغرفة بحضورها في النهاية. بدأ ماثيو يتحدَّث عن القصص... بعضها جيد، وبعضها لا. وجه مادلين ليس سعيدًا، الْتوَى فمُها كأنها على وشك الانفجار غضبًا. التزم بقيتنا الصمت وسمحتُ لعقلي أن يسرح مرة أخرى.

اضوِ، اضوِ، يا نجمي الصغير.

تتدخل مادلين بعبوس.

كم أتساءل: ما أنت يا منير؟!

تأفَّفتْ وأدارتْ عينيها.

فوق العالم في العلياء

عندما نفدت انتقادات مادلين الصامتة، وقف الفريق وبدأ يخرج صفًّا صفًّا.

مثل ماسة في السماء.

قال ماثيو ليُخرجني من حلم اليقظة: «هل لي بكلمة معكِ يا آمبر؟» بالحكم على نبرة صوته، أنا لا أملك خيارًا. أغلق باب غرفة الاجتماعات وجلستُ لأبحث عن دلالات على وجهه. استحال عليَّ قراءته كالمعتاد، خلا وجهه من المشاعر، قد تكون والدته ماتت للتو، ولن تعلم هذا أبدًا. أخذ بسكويتة من الطبق الذي نتركه للضيوف، وأشار لي لأفعل مثله. هززتُ رأسي نافيةً. عندما يريد ماثيو أن يُوضِّح نقطةً ما، دائمًا ما يسلك الطريق الأطول. حاول أن يَبتسم لي، لكن سرعان ما تعبه هذا الجهد وأخذ قضمة من البسكويتة بدلًا من ذلك. أخذتْ بضع فتات راحتها على شفتَيه الرفيعتَين اللتين كثيرًا ما تنفرجان وتُغلقان كشفتَي السمكة الذهبية، بينما عانى حتى يعثر على الكلمات المناسبة ليقول: «إذن، يمكنني أن أبدأ بمحادثة قصيرة، أسألكِ كيف حالكِ، أتظاهر باهتمامي، وهذا النوع من الأشياء، أو يمكنني أن أدخل في صلب الموضوع مباشرةً». شعرتُ بعقدة من الخوف تستحكم داخل معدتي، لكني قلتُ: «استمر»، وإن كنتُ أتمنَّى ألا يفعل.

سألني، وهو يأخذ قضمة ثالثة: «كيف الأمور بينكِ وبين مادلين الآن؟».

فأجبتُه بسرعة أكبر من اللازم: «كما كانت دائمًا، إنها تكرهني».

حان دوري لارتداء الابتسامة المزيفة الآن، لا يزال إيصال شرائها معي، لذا يُمكنني إرجاعها حالما أنتهي.

قال ماثيو: «أجل، هذا صحيح، وهذه مشكلة». لا يجدر بي أن أتفاجأ من هذا، رغم هذا تفاجأتُ.

تابع ماثيو: «أعلم أنها صعَّبتْ عليكِ حياتكِ عندما انضممتِ إلى الفريق في البداية، لكن كان الأمر صعبًا عليها هي أيضًا، أعني أن تتكيَّف مع وجودكِ في الأرجاء. التوتر بينكما، لا يبدو أنه يتحسن. قد تعتقدين أن الناس لا يلاحظون الأمر، لكنهم يلاحظون. وجود انسجام جيد بينكما شيء مهم حقًّا للبرنامج ولبقية الفريق».

حدَّق إليَّ، وانتظر ردًّا لا أعرف كيف أعطيه له، فسألني: «هل تعتقدين أنكِ قد تستطيعين تحسين علاقتكِ بها؟».

- حسنًا، أفترض يمكنني المحاولة...

- جيد. أنا لم أدرك تمامًا مدى سوء الموقف حتى اليوم. لقد أنذرتني إنذارًا نهائيًّا نوعًا ما.

صمت، وتنحنح قبل أن يُضيف: «تريدينني أن أستبدلكِ».

انتظرته أن يقول المزيد، لكنه لم يفعل. علقتْ كلماته في الهواء بينما حاولتُ فهمها، وسألتُه: «هل تفصلني من العمل؟».

- لا!

اعترض، لكن اعتلتْ وجهه إجابة مختلفة، وهو يفكر فيما سيقوله بعدها. تحركتْ يداه لتلتقيا ببعضهما أمام صدره، الكفَّان مُتواجهتان، وأطراف الأنامل متلامسة فقط، مثل برج كنسية بلون الجلد، أو صلاة فاترة، ثم قال: «حسنًا، ليس بعد. أنا أُمهلكِ حتى بداية العام كي تُغيري هذا الوضع. أنا آسف أن كل هذا أتى قُبيل الكريسماس يا آمبر».

رفع ساقيه الطوليتين عن بعضهما كأن هذا جهد عليه، قبل أن يتراجع بجسده بعيدًا عني بقدر ما يسمح له كرسيه. التوى فمه في استياء كأنه تذوق للتو شيئًا كريهًا، وهو في انتظار ردي. لم أعلم ماذا أقول له. أحيانًا أظن أن أفضل رد هو الصمت، فالصمت لا يُمكن تحريفه، لذا تابع ماثيو: «أنتِ رائعة، ونحن نحبكِ، لكن عليكِ أن تفهمي أن «قهوة الصباح» يعني مادلين، فهي تقدمه منذ عشرين عامًا. أنا آسف، لكن عليَّ الاختيار بينكما، وما باليد حيلة».

الآن

يوم الهدايا، ديسمبر 2016

أحاول تصور محيطي. أنا لست في عنبر، المكان أهدأ بكثير من هذا. وأنا لست في مشرحة، يمكنني الشعور بأنفاسي، أشعر بألم خافت في صدري مع كل مرة تتضخَّم فيها رئتاي بالأكسجين والجهد. الشيء الوحيد الذي بوسعي سماعه هو صوت الآلة المكتوم الذي يُصفِّر بحياد إلى جانبي. يبعث داخلي الراحة بصورة غريبة، إنه رفيقي الوحيد في عالم غير مرئي. بدأتُ أعد مرات الصفير وأجمعها داخل رأسي خشية انتهائها وأنا لست واثقة مما قد يعنيه هذا.

خلصتُ إلى أنني في غرفة خاصة. تخيلتُ نفسي محتجزة داخل خليتي السريرية، الوقت يتقطر ببطء على الجدران الأربعة، يُشكِّل بركًا من الوحل القذر الذي يرتفع منسوبه ببطء ويُغرقني. وحتى ذلك الحين، أنا في فضاء لا متناهٍ، حيث يقترن الوهم بالواقع. هذا كل ما أفعله الآن، موجودة، منتظرة، لماذا؟ لا أعلم. عدتُ لإعداداتي الأساسية مسلوبة الإرادة، عوضًا عن كوني حرة قراري. الحياة مستمرة خلف الجدران الخفية، لكني هنا ساكنة، صامتة، مكبوحة.

الألم الجسدي حقيقي، يُطالبني بالشعور به. أتساءل عن مدى سوء إصابتي. أُحكمتْ قبضة شديدة حول جمجمتي، خفقتْ تزامنًا مع

ضربات قلبي. بدأتُ أقيِّم حال جسدي من أعلى إلى أسفل، أبحث عبثًا عن تشخيص ذاتي يفسر وضعي. فمي مفتوح، يُمكنني أن أشعر بجسم غريب محشور بين شفتيَّ، وأسناني، ويضغط لساني لينزلق إلى نهاية حلقي. يبدو جسدي غير مألوف لي بشكل غريب، كأنه قد يكون جسد شخص آخر، لكن كل شيء في مكانه حتى قدماي وأصابعهما. يُمكنني الشعور بالأصابع العشر كلها، مما بعث داخلي شعورًا بالراحة. أنا هنا بكامل جسدي وعقلي، أحتاج إلى أحدٍ ليُعيد تشغيلي من جديد فقط.

تساءلتُ كيف أبدو، إن كان أحدهم مشَّط لي شعري، أو غسل لي وجهي. أنا لستُ شخصًا مغرورًا، أفضِّل أن أُسمع ولا أُرى، أُفضِّل ألا يُلاحظ وجودي أحدٌ على الإطلاق. أنا لستُ شخصًا مميزًا، لستُ **مثلها**. أنا أشبه بظل في الواقع. بُقعة صغيرة قذرة.

رغم أنني خائفة، فإن غريزة بدائية ما تُخبرني أنني سأتجاوز هذا. سأكون بخير لأنَّ هذا ما يجب أن يحدث، لأنني دائمًا ما كنتُ بخير.

سمعتُ بابًا يُفتح وخطوات أقدام تقترب من الفراش. يُمكنني أن أرى ظلال حركة تنتقل بتثاقل خلف بصري المحجوب. يوجد شخصان. شممتُ رائحة عطر رخيص ومُثبت شعر. إنهما يتحدثان، لكني لا أستطيع تبين الكلمات، ليس بعد. إنها ضوضاء فحسب حتى الآن، مثل فيلم أجنبي بلا ترجمة. إحداهما تأخذ ذراعي اليسرى من تحت الغطاء. إنه شعور غريب، مثلما كنتَ تدَّعي أن أطرافك مَرِنة في طفولتك. جفلتُ داخليًّا من لمسة أطراف أناملها على بشرتي. لا يرُوقني أن يلمسني الأغراب. لا يروقني أن يلمسني أحد، ولا حتى **هو**، ليس بعد الآن. لفَّتْ شيئًا حول ذراعي اليسرى من الأعلى واستنتجتُ إنها عاصِبة، وهي تشدد على لحمي. أعادتْ ذراعي مكانها برفق، وتحركتْ إلى الجانب الآخر. أمَّا الممرضة الثانية، وأنا أفترض هويتهما، فقد وقفتْ عند نهاية فراشي.

أسمع صوت ورق تتلاعَب به أناملُ مُحبة للاستطلاع وأتخيل أنها إمَّا تقرأ رواية وإمَّا ملفِّي السريري الموضوع في النهاية هناك.

احتدَّت الأصوات.

سألتْ أقربهما مني: «هذه آخر حالة ستسلمينها، وبعدها يمكنكِ المغادرة. ماذا حدث لتلك الحالة؟».

أجابت الأخرى: «أتت في وقت متأخر من الليلة الماضية، حادثة ما». تحركتْ، وهي تتابع: «لنُدخل شيئًا من ضوء الشمس هنا، هلا فعلنا؟ لنرَ إن كان هذا سيُضفي البهجة قليلًا على الأمور».

أسمع صوت احتكاك الستائر، وهي تُسحَب على مضض، ووجدتُ نفسي مُحاطة بدرجة أكثر إشراقًا من الظلمة. ثم طعنني شيء حاد في ذراعي دون سابق إنذار. شعور غريب وألم يَسحبُني داخلي. شعرتُ بشيء بارد يسبح تحت جلدي، يزحف ليدخل جسدي حتى أصبح جزءًا مني. أعادتني الأصوات لوعيي.

قالت صاحبة الصوت الأكبر سنًّا: «هل اتصلوا بأقربائها؟».

- هناك زوجها. حاولنا معه عدة مرات، وتحوَّلنا إلى البريد الصوتي مباشرةً، يجدر به أن يلاحظ غياب زوجته في نهار الكريسماس.

الكريسماس.

فحصتُ مكتبة ذكرياتي، لكن كانت العديد من الأرفف فارغة. لا أتذكَّر أي شيء عن الكريسماس. نحن عادةً ما نقضيه مع عائلتنا.

لمَ لا يوجد أحد معي؟

لاحظتُ أن فمي جاف للغاية، ويمكنني تذوق طعم دم قديم. قد أضحِّي بأي شيء لأجل بعض الماء، وأتساءل كيف يُمكنني جذب انتباههما. صببتُ جام تركيزي على فمي، على تحريكه بشكلٍ ما، على

أنْ أمدَّه للأمام، ولو قليلًا، في صمت مطبق، لكن لم يحدث شيء. أنا شبح محبوس داخل جسده.

- حسنًا، سأنطلق إلى المنزل إن كان لا بأس معكِ بهذا.

- أراكِ لاحقًا، بلِّغي تحياتي لچيف.

فُتح الباب، وصار بوسعي سماع صوت راديو من بعيد. ثمة صوت مألوف يتنامى إلى مسامعي.

قالت المُمرضة المغادرة: «إنها تعمل في برنامج «قهوة الصباح» بالمناسبة وجدوا بطاقة مرورها في العمل داخل حقيبتها عندما أحضروها هنا».

- أحقًّا هذا؟ لم أسمع بها قط.

يمكنني سماعكِ!

أُغلق الباب، وعاد الصمت، ثم رحلتُ أنا، ولم أعد هناك أكثر من هذا، صرتُ أصرخ من دون صوت في الظلام الذي ابتلعني.

ماذا حدث لي؟

رغم صرخاتي الداخلية، كنتُ من الخارج صامتة، ساكنة تمامًا. في الحياة الواقعية، يدفعون لي راتبي لأتحدث على الراديو، لكني مجبورة على التزام الصمت، أنا لا شيء الآن. تأججت أفكاري من الظلام حتى سمعتُ صوت فتح الباب مجدَّدًا ليُوقف كل شيء. افترضتُ أنها الممرضة الثانية تتركني هي الأخرى، وأردتُ أن أصرخ، وأتوسَّل إليها لتبقى، أردتُ أن أشرح أنني تائهة فحسب في قاع جحر أرنب وأحتاج إلى بعض المساعدة لأجد طريق عودتي. لكنها لم تغادر. دلف شخص آخر إلى الغرفة. يمكنني شم رائحته، يمكنني سماعه وهو يبكي، وأشعر بالذعر يجتاحه من منظري.

- أنا آسف للغاية يا آمبر. أنا هنا الآن.

أمسك يدي بإحكام أكثر من اللازم قليلًا. أنا مَن فقدتُ نفسي، فهو فقدني قبل سنوات مضت، والآن لن يعثر أحد عليَّ. غادرت الممرضة المتبقية كي تمنحنا مساحة، أو خصوصية، أو ربما لأنها تستطيع الشعور بأن الموقف غير مريح أكثر من اللازم فحسب، وأن ثمة شيئًا ما ليس كما له أن يكون. لا أريدها أن تذهب، لا أريدها أن تتركني وحدي معه، لكنني لا أعرف لماذا.

قال مرارًا وتكرارًا: «أيُمكنكِ سماعي؟ استيقظي أرجوكِ». جفل عقلي من نبرة صوته. اشتد الصداع الممسك بجُمجمتي مرة أخرى، كأنَّ ألف إصبع تضغطُ صدغيَّ. لا يُمكنني تذكُّر ما حدث لي، لكني أعلم، بيقين لا يتزعزع، أن هذا الرجل، زوجي، له علاقة بالأمر.

سابقًا

الاثنين، 19 ديسمبر 2016 - بعد الظهيرة

شعرتُ بالامتنان في البداية، عندما قال ماثيو إن بمقدوري أخذ بقية اليوم إجازة. تفرَّق الفريق بالفعل لتناول الغداء، مما يعني أنني أستطيع تجنُّب أي أسئلة أو اهتمام مزيف. وأنا أشق طريقي بطول شارع أكسفورد، مثل سمكة سلمون تسبح عكس تيار السياح والمتسوقين، أدركتُ وقتها فقط أنه فعل هذا لأجله، ما من رجل يريد أن يجلس ويُحدِّق إلى وجه سيدة مُبلل بالدموع، وهو يعلم أنه المسؤول عن ذلك.

رغم أننا بعد ظهيرة يوم في ديسمبر، فالسماء زرقاء ساطعة، والشمس تشقُّ طريقها عبر الغيوم المتناثرة غير المكتملة لتخلق وهمَ يوم لطيف أمام خلفية الضباب والارتياب. احتجتُ فقط أن أقف وأفكر، لذا فعلتُ هذا. في منتصف الشارع المزدحم تمامًا مما أثار انزعاج الجميع.

- آمبر؟

رفعتُ بصري للرجل الطويل الواقف أمامي الذي اعتلت محيَّاه ابتسامة. لم يخطر على بالي شيء في البداية، لكن تعرفتُ عليه بعدها، ثم انهال عليَّ فيض من الذكريات: إنه إدوارد.

حاولتُ أن أتعامل مع الموقف فقلتُ: «أهلًا، كيف حالك؟».

- أنا بخير. تسرُّني رؤيتكِ كثيرًا.

قبَّلني على وجنتي. لا ينبغي لي أن أهتمَّ بمظهري، لكني طوَّقت نفسي بذراعيَّ كأنني أحاول الاختباء. لاحظتُ أنه يبدو كسابق عهده تمامًا. لم تتقدم به السن تقريبًا، رغم مرور عشر سنوات حتمًا منذ آخر مرة رأيتُه فيها. كانت بشرته سمراء، كأنه عاد للتو من مكانٍ حار، وتخلَّلت خصل شقراء شعره البني، لكن ما من أثر للشيب. يبدو بصحة جيدة تمامًا، ونظيفًا للغاية، كما أنه مرتاح للغاية في بشرته البرونزية بصورة غير معتادة. بدت ملابسه جديدة، وغالية، توقعتُ أن البدلة التي تحت معطفه محاكة يدويًّا. دائمًا ما كان العالم صغيرًا للغاية في عينيه.

سألني: «هل أنتِ بخير؟».

تذكَّرتُ أنني كنتُ أبكي، لا بد أنني أبدو بشعة، لكني قلت: «أجل».

ثم أردفتُ: «حسنًا، لا. عرفتُ بعض الأخبار السيئة فحسب، هذا كل ما في الأمر».

- يؤسفني سماع هذا.

أومأتُ في حين انتظر مني محادثة لم أعلم كيف أجريها. يبدو أن كَل ما بوسعي تذكُّره هو كيف آذيته بشدة. لم أشرح له قط لما لم أستطع مواعدته أكثر من ذلك، غادرتُ شقته فحسب في أحد الأيام، وتجاهلتُ اتصالاته، وقطعتُ علاقتي به تمامًا. كان يدرس في لندن، درس كلانا هناك. كنتُ ما أزال أعيش في منزل والديَّ، لذا بقيتُ في شقته قدر ما أستطيع، حتى انتهى الأمر، ولم أعد مرة أخرى.

اصطدمتْ بي سيدة تُراسل أحدهم عبر الهاتف في أثناء سيرها. هزتْ رأسها كأنه خطئي أنا، رغم أنها لم تكن تنظر إلى خطواتها. حرَّك ذلك الاصطدام بعض الكلمات من مخابئها.

سألته: «هل أنت في لندن لقضاء عطلة الكريسماس؟».

- أجل، في الواقع، انتقلتُ هنا للتو مع حبيبتي، حصلتْ على وظيفة جديدة في شركة «بيج سموك».

سرعان ما تبدَّل شعوري بالراحة بشعور آخر، لكنه تجاوزني بالطبع. قلت لنفسي إنني سعيدة من أجله، وأجبرتُ وجهي على الإجابة بابتسامة أقل من أن يُقال عنها إنها مُتحمِّسة، وصاحبَتها إيماءة فاترة.

أضاف إدوارد: «أرى أن هذا ليس وقتًا جيدًا، لكن انظري، هذه بطاقتي. من اللطيف أن نلتقي في وقت ما. أنا في طريقي لمقابلة أحدهم وأنا متأخر، لكن من العظيم أن أراكِ يا آمبر».

أخذتُ البطاقة وحاولتُ الابتسام مجددًا. ربَّت كتفيَّ واختفى في الزحام. هرب مبتعدًا لأنه لم يُطِق البقاء.

جمعتُ شتات نفسي الصغيرة كلها، وانتقلتُ إلى نظام التحكم الآلي. حملتني ساقاي إلى حانة صغيرة عند نهاية شارع أوكسفورد بالضبط. اعتدتُ أن آتي هنا مع بول في بداية مواعدتنا. لم نَعُد نأتي هنا بعد الآن، لا يمكنني أن أتذكَّر آخر مرة خرجنا فيها. ظننتُ أن أُلفة المكان ستجعلني أشعر بالأمان، لكنها لم تفعل. طلبتُ كأسًا كبيرة من النبيذ الأحمر، وشققتُ طريقي إلى الطاولة الوحيدة الشاغرة بجانب نار المدفأة. لا يوجد حاجز للنيران، لذا أبعدتُ مقعدي عنها قليلًا، رغم أنني أردتُ أن أتدفأ. حدَّقتُ إلى كأس المالبيك، ونجحتُ في عزل نفسي عن الفوضى الموسمية المتدفِّقة في الأرجاء. أنا بحاجة لإقناع سيدة لا تحب أحدًا بأن تُحبني، وأتمنى أن أفكر في حل لو حدَّقتُ إلى مشروبي فترةً كافية. لا يخطر ببالي شيء للوقت الحالي.

أخذتُ رشفة من النبيذ، رشفة واحدة صغيرة فحسب. إنه لذيذ. أغمضتُ عينيَّ، وابتلعتها وأنا أستمتع بإحساسها، وهي تُغطي حلقي.

كنتُ حمقاء للغاية. كان كل شيء يسير جيدًا، والآن أنا أخاطر به كله. عليَّ أن أحاول بجد أكبر مع مادلين، ينبغي لي أن ألتزم الخطةَ. لا يُمكنني أن أخسر هذه الوظيفة، ليس بعد. ثمة حل، لست مقتنعة فحسب أن بمقدوري إيجاده بمفردي. أحتاج **إليها**. ندمتُ على هذه الفكرة وقررتُ أنني بحاجة إلى مشروب آخر عوضًا عن هذا.

عندما فرغتْ كأسي، طلبتُ كأسًا أخرى، وأخرجتُ هاتفي المحمول من حقيبتي وأنا في انتظار الكأس. اتصلتُ على رقم بول. كان عليَّ أن أتصل به مباشرةً، لا أعلم لمَ لم أفعل. لم يُجِب، فأعدتُ المحاولة. لا شيء، فقط البريد الصوتي. لم أترك رسالة. وصلتْ كأس نبيذي الثانية، وأخذتُ رشفة، أحتاجها لأُخدِّر نفسي، لكن أعلم أن عليَّ التمهل. يجب أن أحافظ على تماسك عقلي إن كنتُ سأعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، وهو ما سيحدث لأن هذا ما يجب أن أفعله. ينبغي لي أن أستطيع التعامل مع هذا بمفردي، لكنني لا أستطيع.

قالت چو، وهي تفك وشاحًا طويلًا على نحو سخيف من حولَ رقبتها، وتنسلُّ إلى المقعد المقابل: «أرى أنكِ بدأتِ من دوني».

تلاشَت ابتسامتها عندما نظرتْ إلى وجهي بإمعان فسألتني: «ما الخطب؟ تبدين في حالة مزرية».

- ألا تعرفين إذن؟

- أعرف ماذا؟

- تحدثتُ مع ماثيو.

قالت، وهي تنظر سريعًا إلى نهاية قائمة النبيذ: «هذا يُفسر حالتكِ الكئيبة».

- أظنني سأفقد وظيفتي.

حدَّقت چو إلى وجهي كأنها تبحث عن شيء ما قبل أن تسألني: «ما الذي تتحدَّثين عنه بحق الـ ...؟».

- أعطته مادلين إنذارًا أخيرًا. إمَّا أترك أنا العمل وإمَّا ستتركه هي.

- وهو أخبركِ أنكِ مفصولة؟ بهذه البساطة؟

- ليس تمامًا. أمهلني إلى بداية العام الجديد حتى أجعلها تُغير رأيها.

- إذن اجعليها تُغير رأيها.

- كيف؟

- لا أعلم، لكن لا يُمكنهم فعل هذا بكِ؟

- سينتهي عقدي في يناير، لذا يمكنهم أن لا يُجددوه ببساطة دون التسبب في أي مأزق. لن يكون لديَّ حجة. وعلاوة على هذا، أفترض أن هذا سيمنحهم وقتًا ليجدوا بديلًا مناسبًا خلال عطلة الكريسماس.

شاهدتُ چو، وهي تستوعب كل شيء قلته ويُمكنني أن أرى أنها توصلتْ إلى الاستنتاج ذاته الذي توصلتُ إليه قبل ساعتَين، قبل أن تقول: «الدراما تتبعكِ مثل ظلكِ حقًّا، أليس كذلك؟».

- قُضي أمري، أليس كذلك؟

- ليس بعدُ، سنُفكر في حل، لكن أولًا، سنحتاج إلى المزيد من النبيذ.

فطلبتُ من نادل يمر بجانبنا: «هل لي أن أحصل على كأس أخرى من هذه فضلًا؟» عدتُ إلى چو وقلتُ: «لا يمكنني أن أخسر هذه الوظيفة».

- لن تخسريها.

- أنا لم أملك وقتًا لفعل كل ما أحتاج لفعله.

لا يزال النادل يحوم بالقرب منّا ونظر إليَّ بقلق. ابتسمتُ فأومأ إليَّ بأدب قبل أن يذهب لإحضار النبيذ. نظرتُ سريعًا إلى أرجاء الحانة وأكد استطلاع الأعين أنني كنتُ صاخبة للغاية. يُصادف أحيانًا أن يحدث هذا عندما أكونَ متعبة أو ثملة. أذكِّر نفسي أن أبقى هادئة.

حالما وصل النبيذ، أخبرتني چو أن أُخرج مُفكِّرة وقلمًا من حقيبتي. وجَّهتني لأكتب **مشروع مادلين** بأحرف كبيرة حمراء أعلى صفحة فارغة، ففعلتُ، ووضعتُ خطًّا تحت الكلام تحسبًا. چو من نوع الفتيات الذي يحب تدوين كل شيء. كونك هكذا قد يُوقعك في مأزق إن لم تتحلَّ بالحذر. حدَّقتْ إلى المفكِّرة بينما شربتُ أنا بعض النبيذ، لأستمتِع بشعور دفئه يندفع عبر جسدي. ابتسمتُ، فابتسمتْ لي چو ابتسامة عريضة، خطرتْ على بالنا الفكرة نفسها في الوقت نفسه، مثلما يحدث معنا مرارًا. أخبرتني بما أكتبه ودوَّنتُ كل كلمة في المفكِّرة بحدة، وأنا أعاني لأجاري ما أسمعه. إنها فكرة جيدة.

قالت چو التي لاحظتُ أنها لم تلمَس كأسها: «تظن أنهم لن يستغنوا عن خدماتها أبدًا، فمادلين فروست تعني قهوة الصباح».

- هذا ما قاله ماثيو بالضبط. ربما قد تكون أغنيةً جديدة.

قُلتُها وأنا متوقعة أنها ستبتسم، لكنها لم تفعل، بل قالت: «لكنها لا تعلم كيف جرى حديثكِ مع ماثيو، لذا ربما ما نحتاج فعله هو أن نجعلها تظنُّهم اكتفوا من نوبات غضبها، وأنهم سيتخلَّصون منها **هي**».

- لكنهم لن يفعلوا هذا أبدًا.

- وهي ليست مُتيقنة من هذا. ما من أحد لا يُمكن استبداله بعد الآن، وأنا بدأتُ أفكر أننا لو زرعنا ما يكفي من بذور، ستبدأ الفكرة تنمو وتترعرع. إن لم تملك هذه الوظيفة، سينتهي أمرها. إنها حياتها، كل ما تملكه.

- أتفق معكِ، لكن كيف؟ ما مِن وقت كافٍ، ليس الآن.

بدأتُ أبكي مجددًا. لم يكن بيدي حيلة فقالت چو: «لا بأس، ابكي إن كنتِ تحتاجين هذا، أخرجيه من داخلكِ. تبدين جميلة، وأنتِ تبكين لحسن الحظ».

- أنا لا أبدو جميلة بتاتًا.

- لماذا تقولين هذا؟ أنتِ جميلة. في الحقيقة، بإمكانكِ بذل جهد أكبر...

- شكرًا.

- أنا آسفة، لكنها الحقيقة. عدم وضعكِ لأيٍّ مُستحضرات تجميل لا يجعلكِ تبدين شاحبةً ومثيرة للاهتمام، بل يجعلكِ تبدين شاحبة فحسب. تملكين مظهرًا لطيفًا، لكن يبدو الأمر كأنكِ تُحاولين الاختباء خلف الملابس القديمة نفسها دائمًا.

- أنا أحاول الاختباء فعلًا.

- حسنًا، فلتتوقَّفي عن هذا.

إنها محقة، أنا في حالة مزرية. عاد إدوارد إلى ذهني، لا بد أنه ظن نفسه نجا بأعجوبة لانتهاء علاقته معي.

قلتُ وأنا أتفقَّد وجهها بحثًا عن رد فعل: «صادفتُ للتو حبيبًا سابقًا في شارع أوكسفورد».

- أيهم؟

- لا حاجة إلى قولها بتلك الطريقة، فهم لم يكونوا كُثرًا لذلك الحد.

- أكثر مني، مَن؟

- لا يهم. شعرتُ فحسب أنني رثة الملابس، أنني فاشلة. أتمنى لو لم يرَني على تلك الحال، هذا كل ما في الأمر.

- ومَن يهتم؟ تحتاجين الآن فقط أن تُركزي على ما يُهم. اذهبي واشتري لنفسكِ ملابس جديدة، بعض الفساتين الجديدة، والأحذية الجديدة، أحذية بكعب عالٍ، وبعض مساحيق التجميل أيضًا. تحتاجين إلى أن تبدي سعيدة حقًّا وواثقة من نفسكِ غدًا، فقط استخدمي بطاقة ائتمانية لدفع كل شيء. علمتْ مادلين أنه سيُخبرك اليوم، لذا ستتوقَّع أن تكوني غاضبة، وعلى الأغلب لن تظنَّ أنكِ ستأتين إلى العمل على الإطلاق، لكنكِ ستفعلين. سنبدأ بنشر بعض الشائعات على مواقع التواصل الاجتماعي. سنُسيطر على الموقف. تعلمين ما عليكِ فعله.

- أعلم.

- إذن، اذهبي للتسوق، وعودي إلى منزلكِ بعدها. نامي باكرًا وتعالَي غدًا بمظهر باهر كأنكِ لا تأبهين بشيء في العالم.

سأفعل ما قيل لي، أنهيتُ كأسي، ودفعتُ الفاتورة. دائمًا ما أبقى داخل حدود الخطوط وأنا ألوِّن حياتي، لكني الآن مستعدة أن أدع الأمور تتَّسم بالفوضى قليلًا. نزعتُ ورقة **مشروع مادلين** من مُفكرتي قبل مُغادرتي للحانة، وكرمشتُها، ثم رميتُها في النار لأشاهد الورقة البيضاء تتحوَّل إلى اللون البني وتحترق.

الآن

يوم الهدايا، ديسمبر 2016 – مساءً

عندما بدأتُ أقع، نسيتُ أن أخاف، كنتُ مشغولة للغاية بملاحظة أن اليد التي دفعتني تشبه يدي كثيرًا. لكن وأنا أهوي بسرعة في الظلام بالأسفل، تبعتني أسوأ مخاوفي إلى هناك. أريد أن أصرخ، لكني لا أستطيع، تلك اليد المألوفة تُطبق على فمي بقوة الآن. لا يُمكنني أن أُصدر صوتًا، بالكاد أستطيع أخذ أنفاسي. عندما يُوقظني الذعر من الكابوس المتكرِّر، أستيقظ في كابوس آخر. ما زلت لا أتذكَّر ما حدث لي، مهما حاولتُ بجد، مهما احتجتُ معرفته بشدة.

يبدو أن الناس تأتي وترحل، هناك تنافر في الهمهمات، أصوات وروائح غريبة. أشكال غير واضحة المعالم تحوم حولي وفي الأرجاء، كأنني تحت الماء، أغرق في أخطائي. أشعر أحيانًا كأنني مستلقية في قاع بركة عكرة، ووزن السائل القذر يضغطني، يملؤني بالأسرار والقذارة. ثمة لحظات فكرتُ فيها أن الراحة قد تكمن في الغرق، إذ سينتهي كل شيء. لا يمكن لأحد رؤيتي بالأسفل هنا، لكني دائمًا ما كنتُ غير مرئية نوعًا ما. يتحرك العالم الجديد من حولي حركة بطيئة، وهو بعيد عن متناول يديَّ فحسب، بينما أنا ساكنة تمامًا في الظلام بالأسفل.

نجحتُ أن أطفو على السطح من وقتٍ لآخر بما يكفي فقط لأركز على الأصوات، وأسرِّعها حتى يمكنني تمييزها مجددًا، مثل الآن. يمكنني سماع صوت ورقة تُقلب، لا شك إنها واحدة من روايات الجريمة السخيفة التي يُغرم بها كثيرًا. يأتي الآخرون ويرحلون، لكنه هنا دائمًا، لم أعد وحيدة. تساءلتُ لماذا لم يترك الكتاب ويسرع إلى جانبي الآن بما أنني استيقظتُ، لأتذكَّر بعدها أنني لم أفق بالنسبة له، وبالنسبة له لم يتغير شيء. فقدتُ كل إحساسي بالوقت، قد نكون نهارًا أو ليلًا. أنا جثة حية صامتة. أسمع الباب يُفتح وأحدهم يدخل.

- مرحبًا يا سيد رينولدز. لا ينبغي حقًّا أن تكون هنا في وقت متأخر كهذا، لكن افترض أننا قد نستثنيك هذه المرة فقط. كنت هنا عندما أحضروا زوجتك إلى المستشفى الليلة الماضية.

الليلة الماضية؟

شعرتُ كأنني كنتُ هنا لأيام.

بدا صوت الطبيب مألوفًا، لكني افترضتُ وقتها أنه سيكون مألوفًا إن كان هو مَن يعالجني. تخيلتُ كيف يبدو. تصورتُه رجلًا جادًّا بعينين مجهدتَين، وحاجبين مُقطبين ينتهيان بسلسلة تجاعيد من وراء كل الحزن الذي حتمًا رآه. تخيلتُه يرتدي معطفًا أبيض، ثم تذكَّرتُ أنهم لا يفعلون هذا بعد الآن، وأنهم يبدون مثل الجميع فحسب، لذا تلاشى الرجل الذي تخيلتُه.

أسمع بول يترك كتابه ويتخبط في الأرجاء كالأحمق، دائمًا ما تعتريه رهبة من الأطباء. أراهن أنه وقف ليصافحه، في الحقيقة أعلم أنه سيفعل. لا أحتاج أن أراه لأعلم كيف سيتصرف بالضبط، بوسعي التنبؤ بكل حركة يفعلها.

سأله الطبيب: «هل تحتاج أن يلقي أحدهم نظرة على يدك؟».

ما خطب يده؟

وأجاب بول: «لا، إنها بخير».

- أنت مُصاب بكدمات سيئة للغاية، هل أنت متأكد؟ لا توجد مشكلة.
- تبدو أسوأ مما هي عليه، لكن شكرًا لك. هل تعلم إلى متى ستظل هكذا؟ لا أحد يعطيني جوابًا.

بدا صوت بول غريبًا عليَّ، ضعيفًا ومختنقًا.

أجابه الطبيب: «يصعب كثيرًا أن أحدد في هذه المرحلة. زوجتك تعرضت لإصابات بالغة الخطورة في الحادثة...»، ثم تشتَّت تركيزي لبعض الوقت، بينما كررت كلماته نفسها في رأسي. حاولتُ جاهدة، لكن ما زلت لا أصل إلى شيء، ما من ذكرى عن أي حادثة. أنا لا أملك سيارة حتى.

سأل بول: «قلت إنك كنت هنا عندما وصلتْ، أكان هناك أي شخص آخر؟ أعني، هل تأذَّى أي شخص آخر؟».

- ليس على حد علمي.
- إذن كانت بمفردها؟
- لم تتضمَّن الحادثة أي سيارات أخرى. يصعب عليَّ طرح سؤال كهذا، لكن ثمة بعض العلامات على جسد زوجتك. هل تعرف كيف أصيبت بها؟

أي علامات؟

فقال بول: «افترضتُ أنها من الحادثة، أنا لم أرَها من قبل ...».

- فهمتُ. هل حاولتْ زوجتك إيذاء نفسها من قبل؟
- بالطبع لا، إنها ليست من هذا النوع من الأشخاص.

وأي نوع من الأشخاص أنا يا بول؟

ربما لو كنتَ أوليتَ اهتمامًا أكثر قليلًا كنتَ ستعرف.

سأله الطبيب: «ذكرتْ أنها كانت غاضبة عندما غادرتِ المنزل البارحة، هل تعلم مما كانت غاضبة؟».

- مجرد أمور عادية. كانت الأمور صعبة في العمل.

- أكان كل شيء على ما يرام في المنزل؟

تشارك ثلاثتنا صمتًا مربكًا حتى حطمه صوت بول الذي قال: «عندما تستيقظ، هل ستكون على طبيعتها؟ هل ستتذكَّر كل شيء؟».

صببتُ جام تركيزي لأتساءل: ما الذي لا يريدني أن أتذكَّره، فاتتني إجابة الطبيب تقريبًا، وهو يقول: «من المبكر للغاية أن نُحدد إن كانت ستتعافى كليًّا، فجروحها بليغة جدًّا. لم تكن ترتدي حزام الأمان ...».

أنا أرتدي حزام الأمان دائمًا.

- ... لا بد أنها كانت تقود بسرعة كبيرة لتخترق بجسدها الزجاج الأمامي بهذه الطريقة، وتعرض رأسها لصدمة قوية من وراء هذا. إنها محظوظة لتكون هنا بعد كل شيء.

محظوظة.

ثم أضاف الطبيب: «كل ما يُمكننا فعله هو التعامل مع الأمور يومًا بيوم».

- لكنها ستستيقظ، أليس كذلك؟

- أنا آسف، أهناك أي أحد آخر يمكننا الاتصال به ليكون إلى جانبك؟ قريب؟ صديق؟

- لا، إنها كل ما لدي.

لان قلبي لسماعِه يقول تلك الكلمات عني. هذه لم تكن الحقيقة دائمًا. عندما تقابلنا، كان شهيرًا للغاية، وأراد الجميع أن يُصبحوا في دائرته الصغيرة. كانت روايته الأولى نجاحًا بين عشية وضحاها. يكره أن أقول

هذا، دائمًا ما يصفُه بأنه نجاح العشية وضحاها الذي استغرق منه عشر سنوات. لكنه لم يدُم رغم هذا. صارت الأمور أفضل، ثم ساءت أكثر بكثير. لم يستطع الكتابة بعدها، لم يأتِ إليه الإلهام. حطَّمه نجاحه، وحطَّمنا فشله.

سمعتُ الباب يُغلق، أتساءل إن كنتُ أصبحتُ بمفردي مجددًا، ثم سمعتُ نقرًا خافتًا وتصورتُ بول يرسل رسالة نصية. اهتزَّت الصورة قليلًا وأدركتُ أنني لا أستطيع تذكُّره يراسل أي أحد من قبل. ليس في حياته الآن سوى والدته، التي ترفض التواصل عبر أي شيء عدا المكالمات الهاتفية التقليدية عندما تريد شيئًا، ووكيلته، التي تميل لإرسال البريد الإلكتروني الآن بما أنهما لا يَملكان الكثير ليتحدثا عنه بعد الآن. نتراسل أنا وبول كتابيًّا، لكن أظنني لا أكون معه عندما يراسلني. كانت أفكاري صاخبة للغاية لدرجة أنه سمعها.

تنهَّد واقترب قليلًا من فراشي، ثم قال: «أخبرتهم مكانَكِ».

لا بد أنه يقصد عائلتي. أنا لا أملك العديد من الأصدقاء. شعرتُ بقشعريرة، لا يُمكن تفسيرها، تشق طريقها إلى نهاية عمودي الفقري بينما خيَّم علينا الصمت مرةً أخرى.

شعرتُ بطعنة ألم بسبب والديَّ. لا أشك إنه حاول التواصُل معهما، لكنهما يسافران كثيرًا، وقد يصعب الوصول إليهما في تلك الأيام. تمر أسابيع دون أن نتحدَّث على الإطلاق في أغلب الأحيان، رغم أن هذا لا يكون له علاقة برحلاتهما إلى الخارج دائمًا. تساءلتُ متى سيأتيان، ثم أعدتُ ترتيب الفكرة، تساءلتُ إن كانا سيأتيان على الإطلاق. أنا لست طفلتهما المفضلة، أنا الابنة التي دائمًا ما كانت معهما. قالها بول بصوت لم أعرف أنه صوته تقريبًا: «أيتها اللعينة!».

سمعتُ أرجل كرسيه تحتكُّ بالأرض. صارت الظلال التي فوق جفنيَّ داكنة، وأعلم أنه يقف فوقي. شعرتُ برغبة في الصراخ مرة أخرى، لذا

صرختُ، لكن لم يحدث شيءٌ. أصبح وجهه قريبًا للغاية من وجهي لدرجة تجعلني أشعر بأنفاسه الساخنة على رقبتي، وهو يهمس في أذني: «تماسكي».

لا أعلم معنى تلك الكلمة، لكن فُتح الباب ونجوتُ.

وصلت أختي كلير وقالت: «أوه، يا إلهي، آمبر».

- لا يجبَ أن تكوني هنا.

- ينبغي لي بالطبع، كان عليك أن تتَّصل بي في وقتٍ أبكر.

- أتمنَّى لو لم أتصل بكِ على الإطلاق.

لا أفهم الخلاف بين هذَين الظلَّين الواقفين فوقي. دائمًا ما توافق بول وكلير.

اقتربت أكثر وسألته: «حسنًا، أنا هنا الآن، ما الذي حدث؟».

- وجدوها على بُعد أميال من منزلي. وتحطَّمت السيارة.

- ما من أحد يهتمُّ بسيارتك اللعينة.

أنا لم أقُد سيارة بول قط. لم أقد قط.

أمسكت كلير يدي وقالت: «كل شيء سيكون بخير يا آمبر، أنا هنا الآن».

التفَّت أصابعها الباردة حول أصابعي، وأعادني هذا لأيام طفولتنا. دائمًا ما أحبَّت تشابُك الأيادي. وأنا لم أحبه.

قال بول، وهو يبدو مسرورًا بشكل غريب: «لا يمكنها سماعكِ، إنها في غيبوبة».

- غيبوبة؟

- هل أنتِ فخورة بنفسكِ؟

- أعلم أنك غاضب، لكن هذا ليس خطئي.

- أحقًّا هذا؟ ظننته من حقكِ أن تعلمي، لكنكِ غير مرحب بكِ هنا.

تسارع ذهني، ولم أفهم أي شيء مما يُقال، أشعر كأنني في عالم موازٍ، حيث ما من أحد حولي يتصرَّف بمنطقية بعد الآن.

سألته كلير: «ماذا حدث ليدِكَ؟».

ما خطب يده؟

- لا شيء.

- يجب أن تجعل طبيبًا يلقي نظرة عليها.

- إنها بخير.

بدأت الغرفة التي لا أراها تدور بي. عانيتُ لأبقى على السطح، لكن دار الماء حولي وداخلي، ليبلعني في الظلام مرةً أخرى.

- من فضلك يا بول، إنها أختي.

- حذرتْني ألا أثق بكِ.

- أنت تتصرف بسخافة.

- حقًّا؟

أصبح كل شيء أهدأ بكثير من ذي قبل.

- أخرجي.

- بول!

- قلت لكِ اخرجي!

ما من تردد هذه المرة. سمعتُ قدمَيْ أختي ذواتَي الكعب العالي تنسحبان من الغرفة. فُتح الباب، وأُغلق وأصبحتُ وحيدة من جديد مع رجل يبدو صوته كصوت زوجي، لكنه يتصرف كغريب.

سابقًا

الاثنين، 19 ديسمبر 2016 - مساءً

نزلتُ من القطار وشققتُ طريقي عبر شوارع الضاحية الهادئة نحو المنزل وبول. ما زلت غير مقتنعة أن أي شيء بمقدوره إنقاذ وظيفتي، لكن ربما هذا سيمنحني وقتًا كافيًا على الأقل لأنجز ما أحتاجه. لن أخبره، ليس الآن، قد لا أحتاج إلى هذا أبدًا.

لن تكون أول وظيفة أخسرها منذ أن أصبحنا معًا. انتهَت مسيرتي المهنية كمراسلة تلفزيونية قبل عامَين عندما أصبح مُحرري ودودًا أكثر من اللازم قليلًا في أغلب الأحيان. وقد اتبع نهجًا عمليًّا نوعًا ما. فتسلَّلت يده أسفل تنورتي ذات مساء، وفي الصباح التالي خدش أحدهم سيارته «البي إم دابليو» في موقف سيارات العاملين. ظن أنها أنا، ولم أظهر على الهواء مباشرة بعدها قط. لم يتحرَّش بي بعدها قط أيضًا. استقلتُ قبل أن يجد عذرًا ويفصلني من العمل، وبعث هذا الراحة داخلي بصراحة، لقد كرهتُ ظهوري على التلفزيون. لكن تحطمتْ نفسية بول. أُعجب بتلك النسخة منِّي. أحبها. أصبحتُ أزعجه بوجودي أمام ناظريه في المنزل طيلة الوقت. لم أكن السيدة التي تزوَّجها. كنتُ عاطلة، لم أرتدِ الملابس نفسها، لم يَعُد لديَّ أي قصص لأرويها. العام الماضي، في أحد الأفراح، سأل الزوجان الجالسان بجانبنا عن وظيفتي. أجاب

بول قبل أن تتسنَّى لي الفرصة قائلًا: «لا شيء». شخصيتي التي أَحبَّها أصبحت نكرة يبغضها.

قال إن هذا جعل الكتابة عسيرة عليه؛ وجودي في المنزل طوال الوقت. لديه سقيفة فاخرة في نهاية الحديقة، حتى يتظاهر أنني لست هنا. رصدتْ كلير إعلانًا لوظيفة في برنامج «قهوة الصباح» قبل ستة أشهر، أرسلتْ لي الرابط واقترحت أن أقدِّم. لم أظن أنني سأحصل على الوظيفة، لكني حصلتُ عليها.

تعثرتُ في ممر الحديقة وتحسستُ داخل حقيبة يدي بحثًا عن المفتاح. تحيرتُ من صوت الموسيقى والضحك المنبعث من المنزل. بول ليس وحده. تذكَّرتُ أنني حاولتُ الاتصال به بعد ظهيرة اليوم، لكنه لم يُجب قط، ولم يُكلف نفسه عناء معاودة الاتصال بي. رجفتْ يداي قليلًا وأنا أفتح الباب الأمامي.

كانا جالسَين على الأريكة ويضحكان، بول في مكانه المعتاد، وكلير مكاني. توجد زجاجة نبيذ فارغة تقريبًا، وكأسان مملوءتان على الطاولة أمامهما.

إنها لا تحب النبيذ الأحمر حتى.

بَدَوا مصدومَين قليلًا من رؤيتي، وشعرتُ كأنني دخيلة في بيتي.

قالت كلير، وهي تنهض لتُقبِّلني على كلتا وجنتيَّ: «مرحبًا يا أختي، كيف حالكِ؟».

بدا بنطالها الجينز الضيق ذو الماركة الشهيرة كأنه مُلطَّخ، وبرزت من تحته قدمان صغيرتان أظفارهما مُقلمة. كشفتْ بلوزتها الضيقة البيضاء أكثر مما ينبغي، وهي تهمُّ بالوقوف. لا أتذكَّر رؤيتها من قبل، لا بد أنها جديدة. ترتدي ملابسها كأننا لا نزال صغارًا، كأن الرجال ما يزالون ينظرون إلينا بتلك الطريقة. إن كانوا يفعلون، فأنا لا أرى أولئك

الرجال. فُرد شعرها الأشقر بشدة ووُضع خلف أذنيها كأنها ترتدي طوق شعر خفي. كل شيء في مظهرها مُرتبٌ، أنيقٌ، مضبوطٌ. لا يمكن أن نبدو أكثر اختلافًا. وقفتْ على مقربة شديدة مني، وانتظرتني أن أقول شيئًا. تسلَّل عطرها إلى أنفي، ثم إلى حلقي، يمكنني تذوق طعمه على لساني. مألوف، لكن خطر. حلو بشكل يُثير الغثيان.

قال بول من موقعه على الأريكة: «ظننتكِ ستَخرُجين في مكان ما بعد العمل الليلة».

ضيَّق عينيه قليلًا من منظر حقائب تسوُّقي، بعض الملابس الجديدة المطوية بشكلٍ أنيق في علب مبطنة من الداخل بمناديل ورقية. تحدَّيته بصمتٍ أن يقول شيئًا. إنه مالي، أنا مَن جنَيته. أُنفقه على ما يروقني. وضعتُ الحقائب ولاحظتُ الحزوز الحمراء التي حفرتها الحاملات البلاستيكية في أصابعي.

قلتُ وأنا أنظر باتجاه بول: «طرأ شيء ما»، ثم توجهتُ إلى كلير وتابعتُ: «لم أعلم أنكِ ستأتين. هل كل شيء على ما يُرام؟» أعلم ما يحدث هنا.

أجابت كلير: «كل شيء على ما يُرام، ديڤيد يعمل لوقت متأخر مجددًا. جئتُ هنا لأراكِ وندردش دردشة فتيات، لكني نسيتُ أنكِ لديكِ حياة اجتماعية على عكسي».

إنها تُحاول بجد، تبدو ابتسامتها كأنها تؤلم وجهها.

سألتها: «وأين الطفلان؟» تلاشَت ابتسامتها، وأجابت: «مع أحد الجيران، إنهما بخير. لم أكن لأتركهما مع أحد غير موثوق».

توجهت إلى بول، لكنه حدَّق إلى الأرض فحسب. تلطَّختْ شفتاها بالنبيذ، واحمرَّتْ وجنتاها قليلًا، لم تستطع تحمل آثار شرابها قط. رأيتها وقتها، النظرة التي تحملها عيناها، وميض الخطر ذاك الذي رأيته

من قبل. تعلم أنني لاحظته، وأنني لا أنسى معناه، فقالت: «ينبغي أن أرحل، الوقت متأخر عمَّا ظننتُ».

- كنت لأدعوكِ للبقاء، لكني أحتاج التحدُّث إلى زوجي.

قصدتُ أن أقول بول، لكن عقلي الباطن رأى أن تغيير النص مسألة ضرورية.

التقطتْ معطفها وحقيبتها، تاركةً خلفها على المنضدة كأس نبيذ لم تَشرب إلا نصفه، وهي تقول: «بالطبع، حسنًا، أراكما قريبًا. أتمنى أن يكون كل شيء على ما يُرام في العمل».

حالما أُغلق الباب، غمرني الندم. أعلم أنه يَجدر بي اللحاق بها والاعتذار منها حتى تعلم أنني ما زلتُ أحبها، وأن الأمور بيننا بخير. لكنني لم أفعل.

قال بول: «حسنًا، كان هذا محرجًا».

لم أُجب على كلامه، لم أنظر إليه حتى. عوضًا عن هذا، قفلتُ الباب الأمامي مرتَين دون تفكير، ثم أخذتُ كأس كلير وسرتُ إلى المطبخ. تبعني ووقف عند الباب، وأنا أسكب السائل القرمزي في الحوض. لطخ الرذاذ الأحمر الداكن الخزف الأبيض، وفتحتُ الصنبور لأنظفه، ثم قلت: «أجل، كان غريبًا قليلًا أن أعود إلى المنزل لأجد زوجي وأختي يستمتعان بليلة دافئة معًا». ذكرى النبيذ الذي شربته أنا في وقت مبكر من اليوم جعل كلامي يبدو كالغمغمة قليلًا. يُمكنني أن أرى من تعبير وجه بول أنه يظنُّني أتصرف بسخافة أو بغيرة، أو كليهما. الأمر ليس كذلك. أخشى ما يعنيه هذا، أن أجدهما هكذا. أنا متأكِّدة تمام التأكد أنها علمت أنني لن أكون هنا، كما أنها تخلَّصتْ من طفليها، إذن هي خطَّطتْ للأمر. لا يُمكنني تفسير هذا له، لن يصدقني، هو لا يعرفها كما أعرفها أنا ولا يفهم ما هي قادرة على فعله.

قال بول: «لا تكوني سخيفة. أنا قصدتُكِ أنتِ، أخبرتِها فقط أن تُغادر ببساطة. جاءت هنا لرؤيتكِ، إنها محبطة حقًّا».

- حسنًا، ربما كان عليها أن تتَّصل بي أولًا لو كانت ترغب حقًّا في رؤيتي.

- قالت إنها هاتفتكِ، عدة مرات، وأنتِ لم تُعاودي الاتصال بها ولا مرة.

أتذكَّر أن كلير اتصلت اليوم حقًّا، مرتين. المرة الأولى في أثناء حديثي مع ماثيو، كأنها علمت أن هناك خطبًا ما. استدرتُ لأواجه بول، لكن الكلمات لم تخرج من فمي. كل شيء بشأنه في تلك اللحظة بدأ يزعجني. لا يزال رجلًا جذابًا، لكن عناصر الحياة التي اختارها تركته مستنزفًا منهكًا، مثل قطعة فضة لامعة أصبحت معتمة ومشوهة بمرور الوقت. إنه نحيل للغاية، تبدو بشرته كأنها نسيت الشمس، وشعره طويل للغاية على رجل في مثل عمره، لكنه لم يَكبر قط. يمكنني أن أرى من عظام فكيه أنه غاضب مني، وأثار هذا مشاعري لسببٍ ما. لم نحظَ بوقتٍ حميمي من شهور، ليس منذ عيد زواجنا. ربما هكذا سيكون الأمر من الآن فصاعدًا، مكافأة سنوية.

أدرتُ وجهي إلى الفرن، وشكَّلت أصابعي الأشكال المألوفة. لم أعتَدْ أن أفعل هذا أمامه، لكني لا أهتم بعد الآن.

سألني: «هل حدث شيء في العمل اليوم؟».

لم أُجِبه فتابع: «لا أعلم لماذا تظلِّين هناك!».

- لأنني أحتاج إلى هذا.

- لماذا؟ نحن لا نحتاج إلى المال. يُمكنكِ أن تُحاولي وتحصلي على وظيفة في التليفزيون مجددًا.

فرضتْ طبقة من الصمت نفسها على الحديث، لتَخنق الكلمات التي ظننا دائمًا أننا لن نقولها قط. الراديو قتل نجمة التلفزيون التي أحبها. أواصل تحديقي إلى الفرن وأبدأ في العدِّ بصوتٍ هامس فيقول: «هلا توقفتِ عن فعل هذا؟ هذا جنون».

تجاهلتُه وواصلتُ روتيني. يُمكنني أن أشعر به يُحدِّق إليَّ.

عجلات الحافلة تدور وتدور...

كل ما نفعله مؤخرًا هو الشجار.

تدور وتدور...

كلما حاولتُ بجدٍّ لأجمعنا معًا، ابتعدنا أسرع.

تدور وتدور.

أنا لست شخصًا يبكي، أملك طرائق أخرى للتعبير عن حزني.

عجلات الحافلة تدور وتدور...

أتمنى لو أخبره الحقيقة.

طوال اليوم.

تُشغِّل ذكرى من طفولتي نفسها داخل رأسي. أتمنَّى لو لم تفعل.

سأل بول، وهو يدلف من المدخل أخيرًا: «هل أنتِ بخير؟».

همستُ، وأنا أدعه يضمني: «لا».

إنها الحقيقة، لكن ليست كلها.

سابقًا

الاثنين 16 سبتمبر 1991

مذكراتي العزيزة،

اليوم يوم مُثير للاهتمام، بدأتُ الذهاب إلى مدرسة جديدة. هذا ليس مُثيرًا للاهتمام كثيرًا، فهو يحدث مرارًا، لكن شعرتُ أن اليوم مختلف، كأن الأمور قد تنجَح هذه المرة. بدت مُعلمتي الرئيسية الجديدة لطيفة. عندما قابلتها أمي، راهنتُ أنها ستقول: «السيدة ماكدونالد تحب طعامها، أليس كذلك؟». تقول مثل تلك الأشياء كثيرًا، إنها طريقتها لقول إن أحدهم بدين. تقول أمي إن ظهورك بأفضل هيئة أمر مُهم، لأنه حتى لو لم ينبغِ للناس أن تحكم على الكتاب من غلافه، فإنهم ما زالوا يفعلون ذلك. السيدة ماكدونالد أكبر من أمي لكنها أصغر من جدتي. قدمتني للفصل دون أغنية ورقصة كما يفعل المعلمون عادةً، ثم أخبرتني أن أجد مقعدًا. لم يكن هناك سوى مكتب فارغ واحد في نهاية الغرفة، لذا جلستُ هناك. كان اليوم جيدًا كبقية أيامي الأولى في المدرسة. تقول أمي إننا سنستقرُّ هنا هذه المرة حتمًا، لكنها قالت هذا من قبل.

يقرأ الفصل مُذكرات فتاة تدعى آن فرانك[1]، لكنهم بدؤوا للتو، لذلك لم يَفُتْني منها الكثير. سمحتْ لي الفتاة الجالسة في المكتب المجاور

(1) آن فرانك طفلة يهودية ألمانية اشتهرت بعد وفاتها بسبب مذكراتها التي تناولت ما شهدته من مضايقات ومخاوف ومعاناة كما تضمنت أحلامها وطموحاتها، وتُرجمت إلى 70 لغة. (المترجمة)

أن أشاركها في نسختها. قالت إنني يجدر بي مناداتها تايلور، وهو في الواقع لقبها، وليس اسمها الأول، لكن أيًّا كان. لاحظتُ غبار طباشير على سترتها وأنا أعلم بالفعل أنها واحدة من هؤلاء الأطفال، من النوع الذي لا يُحبه الآخرون.

بالنسبة إلى فرضنا المدرسي، فتوجَّب علينا أن نكتب يوميات لمدة أسبوع، مثل آن فرانك قليلًا، لكنها دونت مذكراتها لفترة أطول بكثير. أفضل ما في الموضوع هو أننا لسنا مُضطرِّين إلى تسليمها حتى، لأن الأستاذة ماكدونالد تقول إن اليوميات يجب أن تكون خاصة دائمًا. فكرتُ ألا أقوم بالفرض على الإطلاق، فما من أحد سيعرف، لكن أمي وأبي يتشاجران مرةً أخرى في الطابق السفلي لذا فكرتُ أنني قد أجرِّب أيضًا. لا أظن أن مذكراتي ستكون مُثيرة للاهتمام مثل مذكرات آن فرانك. أنا لست شخصًا مثيرًا للاهتمام كثيرًا. تقول الأستاذة ماكدونالد أننا إن واجهتنا صعوبة فيما نكتب، ينبغي لنا أن نُفكر فقط في ثلاثة أشياء صادقة لنقولها عن أنفسنا. تقول إن جميعنا يُمكننا التفكير في ثلاثة أشياء وأن كونك صادقًا مع نفسك أهم بكثير من صدقك مع الآخرين. لذا، ها هي أول ثلاثة أشياء سأُشاركها معكم (وكلها حقيقية):

1. أنا في العاشرة من عمري تقريبًا.
2. أنا لا أملك أي أصدقاء.
3. والداي لا يُحبانني.

ما يُميز الحقيقة هي إنها مُرة.

ماتت جدتي بالسرطان. انتقلنا للعيش معها عندما مرضت، لكن هذا لم يجعلها تتحسَّن. كانت في الثانية والستين وهي ما تبدو سنًّا كبيرة، لكن قالت أمي إنها سنٌّ صغيرة للغاية على الموت. اعتدتُ أن أقضي وقتًا كثيرًا مع جدتي، دائمًا ما أخذتني إلى أماكن رائعة وأصغت إليَّ. لم تملك مالًا وفيرًا قط، لكنها أعطتني هذه المذكرات في الكريسماس الماضي. ظننت أن تدوين ما أشعر به قد يُساعدني في التعامل مع الأشياء. مرَّ عام كامل تقريبًا وأنا لم أصغِ إليها، لكني أتمنى الآن لو فعلتُ. أتمنى لو دونتُ جميع الأشياء التي اعتادَت أن تقولها، لأنَّني بدأتُ أنساها بالفعل.

أظن أن والدَيَّ اعتادا أن يُحباني، لكني أحبطهما كثيرًا لدرجة أن ذلك الحب قد مُحي. هما لا يُحبان بعضهما بعضًا حتى، يتشاجران ويَصيح كلٌّ منهما في وجه الآخر طوال الوقت. يتشاجران حول الكثير من الأشياء، لكن أغلب شجارهما على المال الذي لا نملكه. يتشاجران بشأني أيضًا. كان صوتهما صاخبًا للغاية في إحدى المرات لدرجة أن أحد جيراننا القدامى اتَّصل بالشرطة. قالت أمي أن الأمر برُمته كان محرجًا للغاية وعندما غادرت الشرطة، تشاجرا أكثر حتى بسبب هذا الأمر. نحن لا نعيش هناك الآن، لذا تقول أمي أن هذا لم يعد مهمًّا بعد الآن وأن الناس ينبغي لهم أن يهتمُّوا بشؤونهم الخاصة. قالت إنها ستكون «بداية جديدة» عندما انتقلنا هنا، و«ألن يكون من اللطيف أن تُكوِّني بعض الصداقات الجديدة؟» لم تُلاحظ أنني لم يكن لدي أي صداقات قديمة.

اعتدتُ أن أكوِّن صداقات جديدة كلما انتقلنا إلى مكان جديد، لكني دائمًا ما شعرتُ بحزن شديد عندما توجَّب عليَّ توديعهم. أنا لا أكلف نفسي هذا العناء الآن. لا أحتاج إلى أصدقاء على أي حال. عندما يسألني الناس إن كنتُ أود المجيء إلى حفلات أعياد ميلادهم، أقول لا شكرًا فحسب، وأنني ليس مسموحًا لي بذلك، حتى وإن كان مسموحًا لي.

لا أُري أمي الدعوات حتى، أضعها في سلة المهملات فحسب. مشكلة الذهاب إلى منازل الآخرين تكمن في أنهم يرغبون بزيارة منزلك بعدها. دائمًا ما قالت جدتي أن الكتاب خير صديق على أي حال. ستأخذك الكتب إلى أيِّ مكان إن تركتها تفعل هذا، ذلك ما اعتادَت أن تقوله، وأظن أنها كانت محقَّة.

بعد موت جدتي، قالت أمي أننا سنُجدِّد ديكور المنزل، لكننا لم نفعل. أنام في غرفة جدتي على الفراش الذي نامت عليه يومًا ما ولم تستيقِظ قط. قالت أمي إنني سأحصل على فراش جديد، لكني لا أريد، ليس بعد. أحيانًا أظن أنني ما زلت أستطيع شم رائحتها، وهو أمر سخيف لأنَّ الأغطية غُسلت عشرات المرات، وهي ليست الأغطية نفسها أصلًا. ثمة سريران في غرفتي. السرير الآخر كان سرير جدي، لكنه لم يَمت هناك، بل مات في منزل غير منزله.

لا أسمع شيئًا وهذا يعني أنهما توقفا عن الشجار، للآن. ما يحدث بعدها هو أن أبي يفتح زجاجة نبيذ أحمر ويسكب لنفسه كأسًا كبيرة. وفي تلك الأثناء، ستُخرج أمي شيئًا للعشاء من الفريزر وتعد لنفسها شرابًا يُشبه الماء، لكنه ليس كذلك. أنا لن أشرب الكحول أبدًا عندما أكبر، لا يروقني ما يفعله بالناس. نتناول بصمت اللازانيا، المُعدة في فرن المايكروويف، لبعض الوقت، قبل أن يتذكَّر أحدهما أن يسأل عن يومي الأول. سأخبرهما أنه كان جيدًا، وأتحدث قليلًا عن المعلمين وحصصي وسيتظاهران أنهما مصغيان. حالما ينتهي أبي من تناول طعامه، سيأخذ ما تبقَّى من النبيذ ويذهب إلى مكتبه. كانت غرفة حياكة جدتي، أعاد أبي تسميتها، لكنه لا يكتب أي شيء داخلها، بل يُشاهد التلفزيون الصغير. ستستحم أمي، وأنا سأجلس في غرفة الجلوس وحدي لأشاهد التلفزيون الكبير حتى يحين موعد النوم. ثم ستُخبرني أمي في تمام التاسعة أن

أصعد إلى الطابق العلوي. تضبط منبهًا لتُذكِّر نفسها بفعل هذا. حالما أصبح في الفراش، ويظنان أني نائمة، يبدآن شجارهما مجددًا. اعتادَت جدتي أن تغني لي أغنية تساعدني على النوم عندما كنتُ صغيرة؛ «عجلات الحافلة تدور وتدور» لم أحبها، لكني أدندنها لنفسي الآن من وقتٍ لآخر حتى أغطي على صياح أبي وبكاء أمي. هذه هي حياتي إلى حد كبير. أخبرتكم أنها لن تكون مُثيرة للاهتمام كمذكرات آن فرانك.

الآن

الثلاثاء، 27 ديسمبر 2016

يُمكنني سماع أمطار غزيرة، مثل جيش من الأظفار الصغيرة ينقُر على النافذة بلا هوادة، في محاولة منه لإيقاظي من هذا النوم السحيق. عندما فشلتْ كل قطرة غاضبة في كسر التعويذة، تخيلتُها تتحوَّل إلى دموع باكية مُنهمرة، تشقُّ طريقها على الزجاج. ظننتُه الليل حتمًا، الأجواء أهدأ من ذي قبل. تخيلتُ أنني قادرة على الوقوف، والسير إلى النافذة ومدُّ يدي إلى الخارج، لأشعر بالمطر على جلدي وأرفع نظري إلى سماء الليل. أشتاق لهذا وأتساءل إن كنتُ سأرى النجوم مجددًا. جميعنا من لحم ونجوم، لكنَّنا جميعًا نصير ترابًا في النهاية. من الأفضل أن تلمع بينما تستطيع ذلك.

أنا وحدي، لكني أظل أسمع صوت بول داخل رأسي، **تماسكي**. أحاول، لكن ظلت الأشياء تفلت من قبضتي. لا أفهم لماذا كان هو وكلير يتشاجران، دائمًا ما كانا على وفاق كبير. أختي أصغر مني، لكنها دائمًا ما سبقتني بخطوة. يقولون لي إننا مُتشابهتان حقًّا، لكنها شقراء وجميلة، بينما أنا أشبه بفنانة مُقلِّدة داكنة الشعر مخيبة للآمال. كانت الابنة الجديدة المتطورة التي دائمًا ما أرادها والداي، ظننا أنها مثالية. هكذا ظننتُ أنا أيضًا في البداية، لكن حالما وصلت إلى عائلتنا، نُسيت أنا. لم يعرفاها قط كما أعرفها أنا، لم يريا ما رأيتُ.

أشعر أنني بدأتُ أنجرف بعيدًا. قاومتُ قدر استطاعتي، ثم فُتح الباب حالما أوشكتُ على الاستسلام.

أعلم أنها هي.

دائمًا ما وضعتْ كلير عطر والدتنا نفسه، فهي لها عادات ثابتة. ودائمًا ما تضع الكثير منه. يمكنني أيضًا شم رائحة منعم ملابسها الخافتة، وهي تسير ببطء في أنحاء الغرفة. أتوقع أنها ترتدي شيئًا مناسبًا وأنثويًّا، شيئًا أضيق بكثير من أن أحشر نفسي داخله. أسمع كعبَي حذاءيْها القصيرين ينقران على الأرض وأتساءل عمَّا تنظر إليه. إنها تأخذ وقتها. إنها وحدها.

تسحب كرسيًّا وتجلس بالقرب من السرير، دورها لتقرأ لي بصمت الآن. سمعتُ صفحات تُقلب على نحو متقطع، جاءت وهي مستعدة. أستطيع تخيل يديها ذواتا الأظفار المشذبة، وهما تمسكان الكتاب فوق ساقيها. بدأتُ أتخيل غرفتي كمكتبة سريرية، وأنا أمينة مكتبة على هيئة شبح يفرض حكم الصمت على كل مَن يدخل: ششش! تقرأ كلير بسرعة في الحياة الواقعية، لذا عندما لا أسمع الصفحات تُقلب بسرعة، أعلم أنها تتظاهر بالقراءة فقط. إنها جيدة في التظاهر.

قالت: «أتمنى لو أن والديْنا هنا».

أنا سعيدة أنهما ليسا هنا.

تتمنى لو كانا هنا من أجلها وليس من أجلي. ربما سيعتقدان أنه كان خطئي، كما يحدث دائمًا. سمعتها تضع الكتاب الذي كانت تتظاهر بقراءته وتحركتْ لتقترب مني. ازداد صخب أفكاري حتى أُجبرتُ على الإصغاء لها، لكنها تندفع داخل رأسي وتصطدم ببعضها بعضًا، فلم أستطع قط أن أبقى مع فكرة واحدة لفترة كافية حتى أفهمها. اقترب

وجه كلير كثيرًا من وجهي الآن لدرجة أنني أستطيع تذوق القهوة في أنفاسها.

همستْ: «ما زال لديكِ زجاج في شعركِ».

حالما هبطت كلماتها داخل أذنيَّ، شعرتُ بنفسي أُجذب بسرعة. الأمر أشبه بالمرور عبر نفق مظلم طويل للغاية، لكن بالعكس. وجدتُ نفسي جالسة على غصن عالٍ بشجرة ميتة، خفضتُ بصري ولاحظتُ أنني ما زلتُ أرتدي رداء المستشفى. تعرَّفتُ على الشارع الذي أسفل قدميَّ، أنا أعيش قرب هنا، أنا قرب منزلي تقريبًا. هناك دوي عاصفة قادم من بعيد ويمكنني شم رائحة حريق، لكني لستُ خائفة. مددتُ يدي لألمس المطر الذي بدأ يهطل، لكن ظلت يدي جافة تمامًا. كل ما أراه هو سواد حالك، ما عدا بصيص نور صغير بعيد. سعدتُ للغاية برؤيته، حتى أدركتُ إنه ليس نجمًا، بل مصباحًا أمامي. ثمة نور مثله يصاحبه. تشتد الرياح وأرى سيارة قادمة إلى نهاية الطريق نحوي، بسرعة بالغة. أخفض بصري إلى الشارع من أسفلي وأرى فتاة صغيرة ترتدي رداءً ورديًّا منفوشًا تقف في وسط الطريق. إنها تغني.

اضوِ، اضوِ، يا نجمي الصغير...

ترفع رأسها باتجاهي.

كم أتساءل مَن أنت يا منير.

إنها تقول الكلمات على نحو خاطئ.

العالم من فوق، عالم محزون،

اقتربت السيارة الآن، صرختُ في وجهها كي تبتعد عن الطريق.

أنت لست مدمنًا، بل في طريق جنون.

لألاحظ وقتها فقط أنها بلا وجه.

شاهدتُ السيارة، وهي تنحرف لتتجنبها، وتنزلق، ثم تصطدم بالشجرة التي أجلس عليها. قوة الاصطدام أوقعتني تقريبًا من فوق الغصن، لكن أحدهم من بعيد أخبرني أن أتماسك. تباطأ الوقت بالأسفل. ضحكت الفتاة الصغيرة بجنون، وشاهدتُ في ذعر جسد سيدة يخترق الزجاج الأمامي ليكسره. طارت عبر الهواء بالتصوير البطيء، وهي تعتمر قبعة من آلاف الشظايا الزجاجية. ارتطم جسدها بقوة على الأسفلت من تحتها مباشرةً. عدتُ بنظري إلى الفتاة الصغيرة، توقفتْ عن الضحك. رفعتْ سبابتها حيث كان من المفترض أن تكون شفتاها وقالت: «ششش». نظرتُ مجددًا إلى جسد السيدة. أنا مَن بالأسفل هناك، لكني لا أريد أن أرى بعد الآن. أغمضتُ عينيَّ. صار كل شيء ساكنًا، عدا راديو السيارة الذي لا يزال يشغِّل أغاني الكريسماس عبر الغلاف المعدني المنبعج. توقفت الموسيقى فجأة، وسمعتُ صوت مادلين على الموجات الصوتية المشوشة. جلستُ على غصني واضعةً يديَّ على أذنيَّ، لكني ما زلت أستطيع سماعها تكرر كلماتها مرارًا وتكرارًا.

أهلًا ومرحبًا بكم في «قهوة الصباح».

لا شيء يحدث مصادفةً.

بدأتُ أصرخ، لكن ارتفع صوت مادلين فحسب. أسمع بابًا يُفتح وأقع من فوق الشجرة مباشرةً، أعود إلى سريري في المستشفى.

قال بول: «لقد عدت».

لتعلِّق كلير: «يمكنني رؤية هذا».

- مما يعني أنه يمكنكِ الرحيل الآن. عندما أكون أنا هنا، أنتِ ترحلين، هذا ما اتفقنا عليه.

- هذا ما اتفقت أنت عليه، أنا لن أغادر.

حملتْ كلير كتابها المنبوذ في نهاية الفراش وجلستْ على كرسيها. خيَّم الصمت على كل شيء لبعض الوقت، ثم سمعتُ بول يجلس على الجانب الآخر من الفراش. شعرتُ كأننا بقينا هكذا لوقت طويل للغاية. لست متأكدة إن كنتُ مستيقظة أم نائمة طوال تلك الفترة، لا أعلم إن فاتتني أي لحظات. تُسرق الساعات مني، وحلقات أردتُ رؤيتها تُحذف قبل أن أحظى بفرصة لمشاهدتها.

سمعتُ المزيد من الأصوات، أصوات جديدة. بدا في البداية كأن الجميع يتحدثون في آن واحد، إذ تشابكت الكلمات في طريقها إلى أذنيَّ. توجَّب عليَّ أن أركز كثيرًا حتى أفصلها عن بعضها.

قال صوت رجل عند الباب: «هل أنت السيد رينولدز؟ أنا كبير مفتشي المباحث چيم هاندلي وهذه الشرطية هايلي، هل يمكننا التحدث معك في الخارج؟».

- بالطبع، هل لهذا علاقة بالحادثة؟

- قد يكون من الأفضل لو تحدثنا بمفردنا.

فقالت كلير: «حسنًا، أنا ذاهبة».

انقبضتِ العقدة التي في فُم معدتي، وهي تخرج من الغرفة. سمعتُ نقرة الباب وهو يُغلق قبل أن يتنحنح أحدهم.

سأله المحقق: «كانت سيارتك التي قادتها زوجتك في الليلة قبل الماضية، أليس كذلك؟».

- أجل.

- هل تعلم إلى أين كانت ذاهبة؟

- لا.

- لكنك شاهدتها وهي تغادر؟

- أجل.

سمعتُ صوت نفس طويل ممتد، ثم قال المحقق: «عقب إحضار زوجتك إلى المستشفى بسيارة الإسعاف، ذهب اثنان من زملائنا إلى منزلك، وأنت لم تكن هناك».

- كنتُ في الخارج أبحث عنها.

- سيرًا على قدميك؟

- هذا صحيح. كنتُ في المنزل في صباح اليوم التالي عندما عادا.

- إذن، علمت أن الشرطة أتت إلى منزلك الليلة التي قبلها؟

- حسنًا، لم أعلم في ذلك الوقت، لا، لكنك قلت للتو...

- الشرطيان اللذان ذهبا إلى منزلك صباح أمس أُرسلا ليخبراك أن زوجتك في المستشفى. أمَّا أول شرطييْن اللذين أُرسلا الليلة التي سبقتها فكانا لتقدُّم أحدهم ببلاغ لأنك أنت وزوجتك تتشاجران بصوت عالٍ في الشارع.

لم ينطق بول ببنت شفة فتابع المحقق: «إن كنت لم تعلم أين ذهبت زوجتك، إذن أين ذهبت للبحث عنها؟».

- كنتُ ثملًا، كان الكريسماس بعد كل شيء. لم أكن أفكر بمنطقية، تجولت في الأرجاء لبعض الوقت فحسب...

- أرى أن يدك مضمدة. كيف حدث هذا؟

- لا أتذكَّر.

إنه يكذب، يمكنني معرفة هذا، لكن لا أعلم لماذا.

أردف المحقق: «تحدثنا إلى بعض العاملين الذين كانوا هنا وقت وصول زوجتك. قالوا إن بعض الإصابات كانت أقدم من التي تعرضت لها في الحادث، هل تملك أي فكرة كيف قد تكون أصيبت بها؟».

أي إصابات؟

أجاب بول: «لا».

فسألته الشرطية: «ألم تلاحظ العلامات التي على رقبتها والكدمات التي على وجهها؟».

ليقول مجددًا: «لا».

ثم قال المحقق: «أظن من الأفضل حقًّا أن نتحدث معك في مكان أكثر خصوصية يا سيد رينولدز، نود أن ندعوك للمجيء معنا إلى مركز الشرطة».

وخيَّم الصمت على الغرفة.

سابقًا

الثلاثاء، 20 ديسمبر 2016، صباحًا

قلت: «نجحتُ في حجز طاولة لك في مطعم فندق «لانجهام»، استخدمتُ علاقاتي».

قال ماثيو دون أن يرفع نظره عن شاشة حاسوبه: «رائع، لمَ؟».

كنَّا سنصبح على الهواء مباشرةً في أقل من عشر دقائق، والجميع تقريبًا، بمَن فيهم مادلين، ذهبوا إلى الاستوديو.

قلت له: «لموعد الفطور المتأخر».

- مع مَن؟

رفع نظره إليَّ ليولي لي نصف انتباهه الكامل. ثم رأيتُ تعبيره يتغير، وهو يلاحظ فستاني الجديد، ومكياجي، وشعري، الذي عَنَّفته في تسريحة بالفرش والهواء الساخن. استقام في جلسته قليلًا وأجهد حاجبه الأيسر نفسه ليتقوس في تقدير. وجدتُ نفسي أتساءل إن كان شخصًا باردًا حقًّا أم أنني مَن افترضت هذا فحسب.

أجبتُه: «ضيفتي اليوم. ضيفتا فقرة سيدات في الخمسينيات. تحدثنا عن الأمر الأسبوع الماضي».

- حقًّا؟

- أجل. قُلت إننا يجب أن نأخذهما لتناول الطعام بعد الحلقة، والتحدث عن بعض الأفكار المستقبلية.

- أي أفكار مستقبلية؟

- قُلت إننا بحاجة إلى أن نكون أكثر إبداعًا ونحسِّن الأمور قليلًا.

- يبدو أن هذا كلامي.

كلا، ليس كذلك. عندما تردد، انهلتُ عليه بوابل من الكلمات التي تدربتُ عليها جيدًا، قلت: «إنهما يتوقعان مقابلتك بعد البرنامج مباشرةً، لكن يمكنني إلغاؤه إن كنت تريد، هل أختلق عذرًا ما؟».

- لا، لا. أظنني أتذكَّر الآن. هل ستنضم مادلين إلينا؟

- لا، أنت والضيفتان فقط.

تجهَّم فأضفتُ: «حتى تستطيعا التحدث بحرية بشأن ما تظنانه مناسبًا».

أنا لم أتدرَّب على هذا الجزء، لكن الكلمات شكَّلت نفسها وأدت الغرض منها.

قال ماثيو: «حسنًا، أفترض أن هذا منطقي، لدي موعد استشفاء بالتدليك في تمام الثالثة، لذا سأحتاج التوجه إلى المنزل مباشرةً بعدها».

- بالتأكيد يا رئيس.

***

قالت مادلين قبل أن تأخذ رشفة من الماء: «وينضم إلينا في «قهوة الصباح» چاين وليامز، محررة مجلة «سافوار فير»، المجلة النسائية الشهرية الأكثر مبيعًا في المملكة المتحدة، والكاتبة والمذيعة لويز فورد لنتحدث عن العاملات الخمسينيات في مجال الإعلام».

بدت لأول مرة غير مرتاحة كما أشعر أنا في الاستوديو. غرزتُ أظفاري في ركبتيَّ أسفل المكتب بكل جهدي؛ الألم يُهدِّئني بما يكفي كي يمنعني من الركض خارج الغرفة المظلمة الصغيرة.

أنشأتُ حسابًا زائفًا على منصة «تويتر» الليلة الماضية، استغرق الأمر مني خمس دقائق عندما كان بول يستحم قبل أن نأوي إلى الفراش. نشرتُ بضع صور للقطط وجدتها على الإنترنت وحصلتُ على أكثر من مائة متابع حالما استيقظتُ. أنا أكره القطط. لا يمكنني التظاهر بفهم منصات التواصل الاجتماعي أيضًا. أعني، أفهمها، لكني لا أفهم فقط لماذا تقضي أعداد غفيرة من البشر وقتًا طويلًا للغاية في التفاعل معها. إنها غير حقيقية. مجرد ضوضاء. رغم هذا، أنا سعيدة أنهم كذلك. **هل ستترك مادلين فروست «قهوة الصباح»؟** أُعيد نشرها على تويتر سبعًا وثمانين مرةً منذ أن نشرتها قبل عشرين دقيقة وحظي وسم #ذوبان_فروست بشعبية كبيرة. كانت تلك فكرة جو.

شعرتُ أن المكياج، الذي لا أضعه عادةً، ثقيلٌ على وجهي. تطابق لون أحمر شفاهي مع فستاني الجديد، والدرع التي اخترتُها بعناية جعلتني أشعر بالأمان. أخفى القناع الواقي ندوبي وأراح ضميري، أنا أفعل ما يلزم لأنجو فقط. ضبطتُ نفسي وأنا أخرج من شخصيتي سرًّا وأحدِّق إلى أناملي الحمراء. ظننتُ في البداية أنني أنزف، ثم أدركتُ بعدها أنني أنزع الجلد من فوق شفتيَّ المصبوغتين بالأحمر.

جلستُ على يديَّ للحظة، لأخفيهما من أمامي. يجب أن أبقى هادئة، وأتجاوز هذا الأمر. أدركتُ أنني أعض شفتي السفلية الآن، وتلتقط أسناني ما أبقته أصابعي على شفتيَّ. توقفتُ وصببتُ جام تركيزي على كأس مادلين نصف الملآنة. ارتفع صوت فقاقيع وهسهسة المياه الفوارة التي

داخلها بينما ترجمتْ عيناي الصوت لأذنيَّ. استبدلتُ الضوضاء بصوتها وحاولتُ أن أعود بتركيزي إلى نفسي.

ابتسمتُ لكلتا ضيفتي الاستوديو الجالستين إلى الطاولة معنا. لطيف منهما للغاية أن تأتيا رغم قصر المهلة. تفحصتُ وجهيهما وهما تتناقشان، كل منهما في مكانها الصحيح وغير المناسب في الوقت ذاته للسبب نفسه: الترويج للذات. كل واحدة منا تجلس هنا اليوم وداخلها دافع. إن كنت ستجردنا جميعًا إلى أنقى نيَّاتنا، فستجد أن أدنى قاسم مشترك بيننا سيكون دائمًا الرغبة في أن يُصغي إلينا أحد، الحاجة إلى أن نُسمع بصوت أعلى من ضوضاء الحياة المعاصرة. أريد ألا أكون مَن يطرح الأسئلة ولو لمرة واحدة، أتمنى لو يسمع أحدٌ إجاباتي ويخبرني إن كانت نسختي من الحقيقة لا تزال صحيحة. أحيانًا يكون الشيء الصحيح الذي علينا فعله خاطئًا، لكن هذه هي الحياة فحسب.

الابتسامة التي امتدت على وجهي بدأت تؤلمني. محاولتي لرسم شخصية سعيدة كانت فعالة لكنها مرهقة، ووجدتُ نفسي أتفقَّد الساعة المُعلقة على حائط الاستوديو مرارًا. الوقت ينفد مني، ورغم هذا، تباطأ الوقت هنا في هذه الغرفة، ليحاصرني في دقائق مغلقة. في كل مرة ضجرتْ عيناي من النظر إلى النص بالأسفل، كانتا ترتفعان لتنظرا إلى الساعة حتى أصبحتُ منومة مغناطيسيًّا، تبعتُ العقرب الكبير، وهو يرسم دورانه في اتجاه عقارب الساعة إلى طي النسيان. أخذ صوت دقات، لم ألاحظه قبل اليوم، يرتفع ويرتفع حتى أصبحتُ لا أسمع ما تقوله الضيفتان تقريبًا. رأيتُ وجوه الفريق في غرفة مراقبة الاستوديو، أشعر كأنهم جميعًا يحدِّقون إليَّ. بحثتُ عن چو، لكنها ليست هناك. عدتُ لأنزع الجلد عن شفتي مرة أخرى. توقفتُ، وأنا منزعجة من افتقاري إلى

ضبط النفس ومسحتُ أصابعي الملطخة بأحمر الشفاه في فستاني. أحمر على أحمر. يجب أن أحاول بجد أكبر ألا أكون على طبيعتي.

عندما وصل البرنامج إلى نهايته أخيرًا، سعدتُ بمشاهدة مادلين، وهي تنسحب إلى مكتبها، وأنا أعلم بالضبط ما ستجده هناك. شكرتُ الضيفتين، فأحدنا يجب أن يفعل، وتركتهما مع ماثيو، الذي ارتدى معطفه استعدادًا لاصطحابهما إلى المطعم. دلفتُ إلى الحمام لأتأكد أن قناعي لا يزال في مكانه. وجدتُ مساعدة مادلين الشخصية الحالية هناك تحدِّق إلى نفسها في المرآة. بدت متعبة، وثمة حزن خلف عينيها اللتين جعلتاني أريد إنقاذها. ابتسمتُ لها وبادلتني ابتسامة فاترة. إحدى وظائفها العديدة كل صباح هي تفقُّد بريد مادلين، إنها غاية في الانشغال والأهمية على أن تقرأه بنفسها. دائمًا ما تكون هناك كومة منظمة لتفقُّدها: نشرات صحفية، دعوات، أشياء مجانية، المعتاد. تحصل على بريد أكثر من بريد بقية الفريق بأكمله، بمَن فيهم أنا. ثم هناك بريد المعجبين. يُترك هذا البريد على مكتبها بعد البرنامج. يروقها أن تقرأ أي شيء يبدو كرسالة شخصية لها حالما ينتهي البث المباشر، ثم تترك علامة بملصق أحمر صغير على الرسائل التي تجدها جديرة بالرد. لا تحتفظ ببقية الخطابات. تستنشق الإعجاب وتزفر الغرور، إنه بناؤها الضوئي المفصل لها خصوصًا. يحصل مُرسِلو الخطابات المميزة بالملصقات الحمراء على صورة موقَّعة لمادلين. لا تكتب الردود بنفسها، ولا حتى هي مَن توقِّع الصور؛ تلك مهمة أخرى من مهام مساعدتها الشخصية. شاهدتُها وهي تعيد وضع مكياجها، وتساءلتُ كيف تشعر، وهي تتظاهر أنها شخص آخر ليس هي كل يوم.

توجَّهتُ إلى غرفة الاجتماعات وانتظرتُ الآخرين لإعداد الحلقة أومأت چو لي وأنا أجلس، **مشروع مادلين** يسير وفق الخطة حتى

الآن. سمعت ثرثرة عن شائعات رحيل مادلين على الإنترنت، وسعدتُ بسماع انتشار الخبر. يمكن للأكاذيب أن تبدو حقيقية إن ترددت بالقدر الكافي. خمدت الأخبار الساخنة حالما دلفت إلى الغرفة. أغلقت مادلين الباب بقوة خلفها وجلست على الطاولة. أخمن أنها رأت تويتر أيضًا. لا تعرف كيف تطبع نصوص حلقاتها، لكنها تستطيع التغريد. أعلم أنها تتفقَّد حسابها بعد كل حلقة، لتتأكد أن «متابعيها» الـ(خمسين ألفًا) لا يزالون يحبونها، واكتشافها أن أخبارها متداولة من وراء أسباب خاطئة بالكامل لم يمر على خير.

صاحت دون أن توجِّه كلامها لشخص بعينه: «أين قهوتي؟».

احمرَّ وجه مساعدتها الشخصية بشدة، قالت، وهي تشير إلى كوب ينبعث منه البخار على المكتب: «إنه ... هنا، يا مادلين».

- هذا ليس كوبي، كم مرة يتعين عليَّ أن أخبركِ هذا؟

- إنه في غسالة الصحون.

- إذن اغسليه. بيديكِ. أين ماثيو؟

حدَّقتُ إليها، إلى تلك المرأة الناجحة المذهلة، وتساءلتُ من أين يأتي كل غضبها. أعلم أشياء عن مادلين، أشياء لا ينبغي لي أن أعرفها، وهي تُفضِّل ألا أعلمها، لكن هذا ما زال لا يفسر كل هذا الكره. تنحنحتُ وقبضتُ يديَّ تحت الطاولة.

حان وقت إلقاء سطوري. قلتُ: «اصطحب ماثيو چاين ولويز للاجتماع وتناول بعض الطعام».

- ماذا؟ لماذا؟

- لست متأكدة. قال إنه سيكون خارج المكتب لبقية اليوم.

أصبحت مادلين هادئة للحظة. انتظر الجميع بينما خفضتْ بصرها إلى الطاولة، وطوى عبوس بسيط نفسه على وجهها الزاخر بالتجاعيد بالفعل وقالت: «حسنًا، حسنًا، ربما يمكن لشخص آخر أن يشرح لي من أين أتت فكرة «السيدات في الخمسينيات». سمعتُ بها لأول مرة هذا الصباح.

تركتُ الآخرين يتحدثون بينما جلستُ لأدرس عدوتي. جثمتْ نظارتها ذات الإطار الداكن على نهاية أنفها المعقوف ومن خلفها دارت عيناها القاسيتان في أنحاء الغرفة.

مااااء مااااء، يا خروف أسود، هل لديك أي صوف؟

نقرت أظفارها الطويلة التي تشبه أظفار الساحرات بإيقاع نافد الصبر على مفكِّرتها ولاحظتُ شيئًا يبرز من بين صفحاتها البيضاء، حافة واضحة لظرف أحمر. لقد قرأتْه إذن. ابتسمتُ لنفسي.

تمت الخطوة الأولى.

سابقًا

الخميس، 24 أكتوبر 1991

مذكراتي العزيزة،

إذن، تايلور، الفتاة التي أجلس بجانبها في الفصل، تريدنا أن نصبح صديقتين. لم تقل هذا، لكن بوسعي أن أعرف فحسب. هذه مشكلة. إنها فتاة لطيفة، ولا تبدو ذات شعبية كبيرة، لكن ليس هذا ما يزعجني. الشهرة ليست كما يظن البعض على الإطلاق، إذ يتوقع الناس منك أمورًا أكثر من اللازم. الاندماج وسط الزحام أفضل بكثير، وبهذه الطريقة، عندما تلمع حقًّا، يلاحظ الناس.

تصرفت إحدى الطفلات الشهيرات بلؤم مع تايلور في غرفة تبديل الملابس قبل تمرين الهوكي اليوم. كيلي أونيل، التي دائمًا ما تمتلك بشرة مسفوعة لأن عائلتها تسافر كثيرًا في العطلات، ليست شخصًا لطيفًا. نادت تايلور بذات الصدر المسطح، وهذا غباء، فنحن جميعًا كذلك، نحن في العاشرة. ضحك الجميع، ليس لأن الأمر مضحكٌ، لكن لأنهم يخشون كيلي، وهذا غباء أيضًا. إنها مجرد حمقاء مدللة. احمرتْ وجنتا تايلور تمامًا، لكنها أبلت بلاءً حسنًا في التخلص من دموعها بالطرف بعينيها. اعتادت جدتي أن تقول إنك إن لم تدع دموعك تنهمر، ستتحول إلى سمٍّ. تقول أمي إن الصغار فقط هم مَن يبكون، وإن البكاء دلالة على الضعف.

أظن هذا يعتمد على نوع الدموع فأنا أضبطها تبكي طوال الوقت. ثمة ثلاثة أشياء بكيتُ بسببها مؤخرًا، بينما لم يكن باستطاعة أحد رؤيتي:

1 - موت جدتي.
2 - تسرب الحبر من قلمي على رواية نساء صغيرات.
3 - ذهابي إلى الفراش دون عشاء وشعوري بألم شديد في معدتي لدرجة منعتني من النوم.

كان تدريب الهوكي باردًا مملًّا. بدأت تمطر في منتصف المباراة لكننا واصلنا اللعب. قالت معلمة التربية البدنية أن القليل من المطر لا يضر أي أحد. بدت كأنها هي نفسها بحاجة للقيام ببعض التمارين. قالت إن ملعب الهوكي أصبح خاليًا من الحشائش في بضع مواضع من كثرة الاستخدام وقلة الرعاية، لذا حاولتُ ألا أركض على تلك البقع الجرداء أملًا أن هذا قد يساعد. كنتُ أركض لألتقط الكرة على الحشائش المبتلة عندما انزلقتُ. مددتُ يديَّ أمامي حتى أخفف من وطأة سقوطي وتركتُ عصاي. لم أرَ ما حدث إلا عندما وقفتُ بعدها. طارت عصاي في الهواء وضربت كيلي أونيل في وجهها. نزف أنفها وكل شيء. كانت حادثة، لذا لم أشعر بالسوء حيال الأمر. اعتادت جدتي أن تقول إن ما من شيء يُدعى حادثة وإن كل شيء يحدث لسبب. لا أعلم ما رأيي في هذا الأمر. تحدث أمور أحيانًا دون أن تقصدها، ولا يعني هذا أنك فعلتها عمدًا إن لم يصدقك أحد فحسب.

سمعتُ للتو طبقًا يُكسر في الطابق السفلي. أصغيتُ واقفةً على بسطة الدرج لبعض الوقت. صاح أبي أن الطبق كاد أن يصيب رأسه. الأطباق لا تميل للطيران في الهواء من تلقاء نفسها، لذا أخمن أن أمي هي

مَن رمته نحوه. يكسرون الأطباق للمتعة في بلد يُدعى اليونان. سمعتُ كيلي أونيل تخبر الناس عن هذه المسألة في غرفة تبديل الملابس قبل مباراة الهوكي. ذهبتْ في العطلة إلى اليونان. مرتين. لم أسافر خارج البلاد قط، لكني ذهبتُ إلى مدينة «برينجتون». ذهبنا هناك ذات مرة في عطلة نهاية الأسبوع، أنا وأمي وأبي. أظنهما كانا سعيدين وقتها. هما ليسا سعيدين الآن قطعًا. لا يمكنني أن أتذكَّر شكل أبي عندما يبتسم. تبدو أمي حزينة طيلة الوقت، وصارت أكبر حجمًا من المعتاد. بدأتْ ترتدي طماقًا بخصر مطاطي بدلًا من بناطيلها الچينز. ربما لهذا السبب أبي غاضب للغاية طوال الوقت. سمعته بالفعل يقول لها إنها أهملتْ مظهرها وهذا يعني أن لا تبدو بمظهركِ الجيد نفسه الذي اعتدتِ أن تكوني عليه، وأنك لستِ جذابة.

أغلقتُ باب غرفة نومي، لكني ما زلت أستطيع سماعهما. أخذتُ سنَّادة باب جدتي معي لترافقني على الفراش الآن، بما أنها لن تقوم بوظيفتها حسبما أرى. يروقني ملمسها، ملمس المعدن البني الثقيل، الأشبه بطائر أبو الحناء. كانت أحد الأشياء المفضلة لجدتي، وهي أحد الأشياء المفضلة لي الآن. أفضل شيء في كونك طائرًا هو أنك دائمًا ما تستطيع التحليق بعيدًا. رغم هذا، ذلك الطائر لا يستطيع الطيران، عليه أن يبقى هنا، معي، في غرفتنا. لا يمكنه الطيران، أو الغناء، أو بناء عشه الخاص في مكان بعيد عن هنا. أراهن أنه كان ليفعل هذا لو كان يستطيع.

سأفكر تفكيرًا عميقًا إن كنتُ سأصبح صديقة تايلور أم لا. دائمًا ما قالت جدتي إن من الجيد أن ننام على الأشياء وهذا يعني أنك إن فكرت في أمر أنت قلق بشأنه عندما تخلد إلى النوم، ستحلم به بعدها ولعلك تستيقظ وفي رأسك الجواب الصحيح. أنا كثيرًا ما أنسى أحلامي حالما أستيقظ، ولم تظهر لي إجابة أي شيء قط.

سابقًا

الثلاثاء، 20 ديسمبر - مساءً

عدتُ إلى المنزل مبكرًا على أمل أن أتحدَّث إلى بول، لكنه ليس هنا. توقعتُ أنه ذهب في نزهة. كثيرًا ما يفعل هذا ويقول إنه يساعده على الكتابة عندما لا يأتيه الإلهام. لا يأتيه الإلهام عادةً في الآونة الأخيرة، وأظن أن عالمه أصبح هادئًا بشكل مروع حتمًا. المنزل هادئ أيضًا وأنا لستُ متأكدة مما عليَّ فعله. فتحتُ الثلاجة وحدَّقتُ إلى محتوياتها أطول من اللازم بكثير، لا تحتوي على شيء تقريبًا. أخذتُ مشروبًا غازيًّا باردًا وجلستُ على طاولة المطبخ، لأواجه الحديقة. السماء الصافية زرقاء وزاهية، والعشب أخضر، لم يكشف حقيقة أن اليوم ليس يومًا صيفيًّا سوى الأشجار متساقطة الأوراق والبرودة التي حملها الهواء. هذا مشهد مختلف تمامًا عن المشهد الذي حدَّقتُ إليه الأسبوع الماضي، عندما كنتُ في المنزل بمفردي ذات ليلة، وقت خروج بول في إحدى رحلاته البحثية، وكنتُ مقتنعة أنه يوجد أحدٌ في الظلام، ويحاول الدخول إلى المنزل. أقسم إنني سمعتُ خطوات أقدام وصوت شخص يحاول فتح الباب الخلفي. يعتقد بول أنني كنتُ أحلم. أبعدتُ الفكرة عن ذهني.

أصدرت العلبة صوت **بسسست** وأنا أفتحها بأظفاري كأنها تريد إخباري سرًّا. أخذتُ رشفة، كانت باردة للغاية لدرجة أنها آلمت أسناني، لكني استمتعتُ بشعور الوخز. عدتُ بنظري إلى الحديقة ورأيتُ أبو

الحناء جاثمًا على عمود السياج. حدَّقتُ إليه وبدا أنه يحدِّق إليَّ أيضًا. حدث كل هذا بسرعة بالغة. اندفعتْ كتلة من الريش لتحلِّق نحوي مباشرةً بكل سرعة وتصميم حتى اعترضت الأبواب الزجاجية طريقها. صوت الاصطدام المكتوم جعلني أقفز وسكبتُ مشروبي بالخطأ. سقط جسم الطائر الصغير إلى الخلف، بالتصوير البطيء تقريبًا، وهبط على العشب. أسرعتُ إلى أبواب الفناء لكني لم أفتحها. وقفتُ لأُحدِّق إلى الطائر الصغير المستلقي على ظهره، بدلًا من هذا، رفرف جناحاه في تحليق وهمي بعينين مُغمضتَين بالفعل. لستُ متأكدة من المدة التي تجمدنا بها على هذا الوضع، قاوم المخلوق ليأخذ أنفاسه وحبستُ أنا أنفاسي بشكل لا إرادي، لكن عوَّض الوقت ما تأخره من أحداث في النهاية.

توقَّف الطائر عن الحركة، ارتخى جناحاه إلى جانبه.

هبط صدره الأحمر حتى صار ساكنًا.

انخفضت ساقاه الصغيرتان على الكلأ.

شعرتُ أنني مسؤولة عن هذا نوعًا ما، لكني لا أستطيع فتح الباب أو الخروج، أحتاج إلى أمان الحاجز الزجاجي الذي بيننا للآن. جثوتُ على ركبتيَّ وخفضتُ وجهي لأنظر من كثب، كأنني قد أرى الحياة تغادر جسد الطائر عبر منقاره. أتذكَّر قول صديق لي ذات مرة: إن طيور أبي الحناء هي أموات تزورنا مرة أخرى حاملة معها رسالة لنا. أتساءل أي نوع من الرسائل من المُفترض أن تكون تلك، ولاحظتُ أن شعر ذراعيَّ انتصب.

جفلتُ من صوت نقر على الزجاج. رفعتُ بصري لأرى وجه كلير أمام النافذة. لم تُلاحظ الطائر رغم أنها على بعد خطوات منه فحسب. وقفتُ لأفتح الباب ودلفتْ دون أن تنتظر دعوة مني كأنها صاحبة المكان.

ساعدتنا في العثور على هذا المنزل، وجدتْه على الإنترنت ورتبتْ معاينة مبكرة له مع الوكيل العقاري. سايرتُها في الأمر، فقد كان منزلًا لطيفًا، لكن اختيار شيء ما وامتلاكه ليسا الشيء نفسه. سألتني، وهي تخلع معطفها: «ماذا تفعلين؟» إنها بكامل هندامها كعادتها، ملابسها أنيقة ونظيفة رغم أنها أمٌّ لطفلين، وما من شعرة في غير موضعها. أكره الطريقة التي تأتي بها دائمًا إلى ظهر المنزل لترى إن كنتُ بالداخل. أي أحد آخر كان سيرن الجرس عند واجهة المنزل ويفهم الأمر لو لم يُجِبه أحد، لكن ليس كلير. طلبتْ مفتاحًا لبضع مرات الآن. دائمًا ما أقول لها إني سأصنع لها نسخة، لكني لم أفعل قط.

أجبتها: «لا شيء، ظننتني رأيت شيئًا».

- عدتِ إلى المنزل باكرًا.

- الأجواء أهدأ من الطبيعي بسبب الكريسماس.

- أليس بول هنا؟

سألتني، وهي تضع سترتها على ظهر كرسي المطبخ، لتعتبر نفسها في منزلها.

أجبتها: «لا يبدو الأمر كذلك».

ندمتُ على اختيار كلماتي حالما نطقتُ بها. ولم تمرَّ نبرتي مرور الكرام دون أن تلاحظها، لم يحدث هذا قط، وقالت: «حسنًا، أنا سعيدة لأنني ضبطتكِ وأنتِ بمفردكِ». أومأتُ إليها، فأنا أشعر بالفعل أنها ضبطتني.

سألتها: «هل تريدين شرابَ شيء؟».

أجابت، وهي تجلس على الطاولة: «لا، أنا بخير، لا يُمكنني المكوث طويلًا، عليَّ أن أصطحب التوءمين».

أخذتُ إحدى مناشف المطبخ ومسحتُ المشروب المسكوب قبل أن أجلس أمامها، لا يزال كرسيَّ دافئًا من المرة السابقة. لا يسعني سوى التحديق إلى الطائر الميت أمام الباب بالضبط.

سألتُها دون قصد مني أن أبدو فظة: «إذن؟» حديثي مع كلير ليس كأحاديثي مع بقية الناس. إنه مثلما تُشعل الراديو وتجد الأغنية التي كنت تُدندنها داخل رأسك بالفعل. لا يُعقل أن علمت ما كان سيحدث، لكنك عرفت بطريقة ما. هكذا يبدو الأمر مع كلير التي قالت: «إذن ... أنا قلقة بشأنكِ. ظننتُ أنه ربما علينا أن نتحدث».

- أنا بخير.

- حقًّا؟ أنتِ لا تبدين بخير. كنتِ تتجاهلين اتصالاتي.

- كنتُ مشغولة. لديَّ وظيفة بدوام كامل.

تفقَّدتُ وجهها للحظة، وأنا أماطل بينما يرفض فمي كل الكلمات التي يقترحها عقلي. تبدو أصبى مني بكثير، كأن وجهها نسي أن يتقدَّم في العمر على مدار الأعوام القليلة الماضية. أردفتُ بعدها: «أنا متعبة فحسب. هذا كل ما في الأمر». أتمنَّى لو يُمكنني إخبارها الحقيقةَ، أن أشاركها نوع الأسرار التي تتشاركها الشقيقات الطبيعيات، لكني لا أعلم من أين أبدأ. نحن نتشارك كلَّ شيء، وما من شيء مشترك بيننا، ولغتنا الأم لا تضم المفردات نفسها.

سألتُها: «هل تتذكَّرين الفتى الذي واعدتُه في آخر عام لي من الجامعة؟».

هزَّت رأسها نفيًا. إنها تكذب، ندمتُ على ذكر الموضوع بالفعل. سألتني بعدها: «ماذا كان اسمه؟».

- إدوارد. لم يَرُقْكِ. ليس الأمر كأن هذا ما سيُحفز ذاكرتكِ، فأنتِ لم يَرُقْكِ أيٌّ منهم.

- كان بول يروقني.

تجاهلتُ صيغة الماضي وتابعتُ: «صادفتُه في شارع أوكسفورد، البارحة، أفترض أنها إحدى أغرب المصادفات».

- أظنني أتذكَّر حقًّا. طويل، حسن المظهر، واثق كثيرًا من ذاته.

- لا أظنكِ قابلتِه قط.

- أهناك مغزًى من وراء هذه القصة؟ أنتِ لا تفكرين في نزوة، أليس كذلك؟

- لا، أنا لا أفكر في نزوة. أنا أتحدَّث معكِ فحسب.

حدَّقتُ إلى الطاولة وأنا أتمنى أن تُغادر فقط، لكنها لم تفعل، بل سألتْ: «كيف تسير الأمور مع بول؟».

- أخبريني أنتِ، أنتِ تقضين معه وقتًا أكثر مني في الآونة الأخيرة.

تفاجأتُ من اختياري لكلماتي التي كانت أشجع بكثير من شعوري. نحن نُبحر في منطقة غير مألوفة هنا. أدري أنني بدأتُ أتحدَّث بلغة هي لا تفهمها وأننا قد نحتاج إلى مُترجم للمرة الأولى. وقفتْ لتغادر وأخذتْ معطفها من على ظهر الكرسي. لم أُحاول منعها.

قالت: «من الواضح أنني ضبطتكِ بوقت سيئ. سأتركُكِ تتعاملين معه».

ثم فتحت الباب الخلفي قبل أن تستدير لتُردف قبل مغادرتها: «تذكَّري، أنا فقط على مقربة منكِ».

شعرتُ أن كلماتها الأخيرة تهديد أكثر منها طمأنة. سمعتُها، وهي تسير إلى جانب المنزل، وخَفَتَ صوت سحق الحصى أكثر وأكثر حتى سمعتُ صوت غلق البوابة بقوة.

عادت أفكاري إلى أبي الحناء. صدَّقتُ للحظة أنه عاد إلى الحياة حتمًا وطار مبتعدًا، لكن عندما اقتربتُ من الكلأ، وجدتْ عيناي جثَّتَه البُنية ملقاة بلا حراك على بساط أخضر. لا يُمكنني تركه هنا، مكسورًا ووحيدًا. فتحتُ الباب الخلفي، وانتظرتُ ثانية أو اثنتين قبل أن أخرج، حذرةً أن لا أزعجه. استغرق الأمر مني بعض الوقت حتى أستجمع شجاعةً كافية لأمدَّ يدي وألتقط الطائر. إنه أخف مما تخيَّلتُ، كأنه من ريش وهواء فقط لا غير. ردَّد صوت ارتطام جثته الصغيرة، وهي تسقط في قاع سلة المهملات، صدى اصطدامه بالزجاج، ولم أستطع التخلُّص من الشعور بالذنب الذي اجتاحني. عدتُ إلى الداخل وغسلتُ يدي، غسلتُها بالصابون وفركتُ جلدي تحت الماء الساخن ثلاث مرات. وعندما جففتُهما، فتحتُ الصنبور مجددًا وغسلتُهما مرارًا وتكرارًا حتى نفد الصابون. دفعتُ يدَيَّ اللتين ما زالتا مبللتين هذه المرة، داخل جيبي، وحاولتُ التوقف عن التفكير فيهما. أشعر بالغرابة حيال التخلُّص من حياة كما لو كانت قمامة. موجود في دقيقة، وميت في التالية، كل هذا بسبب قرار واحد خاطئ، منعطف واحد خاطئ.

الآن

الأربعاء، 28 ديسمبر 2016 - صباحًا

ازدادت صعوبة فصل الأحلام عن واقعي، وأنا خائفة من كليهما. حتى عندما أتذكَّر أين أنا، لا أعرف متى أنا بعد الآن. بزغ النهار ولم يعد هناك عصر أو مساء أيضًا. فَلَتٌّ من الوقت وأتمنى أن يجدني مجددًا. لديه رائحته الخاصة، الوقت. مثل غرفة مألوفة. تتوق إليه عندما لا يعود ملكك، يسيل لعابك وتشتهيه، وتدرك أنك قد تفعل أي شيء لاستعادته. وحتى يُصبح ملكك مجددًا، تختلس الثواني المسروقة وتلتهم الدقائق المُساء استخدامها، وتلصقها كلها معًا لتصنع سلسلة هشة من الوقت المستعار، على أمل أن تمتد. على أمل أن تطول بما يكفي لتصل إلى الصفحة التالية، إن كانت هناك صفحة تالية.

يمكنني شمُّ رائحة وقتي الضائع، وشيءٍ آخر. كنتُ وحدي لفترة الآن. لم يَعُد بول ولم يدلف أحد إلى غرفتي منذ أن بدأتُ أعد الثواني. توقَّفت عند سبعة آلاف، مما يعني أنني كنتُ مستلقية على برازي لأكثر من ساعتين.

تأتي أصوات بصورة مُتكررة لتوقظني من حلمي لأصبح داخل حلم آخر. بدأت الأصوات تبدو مألوفة لي. تأتي المُمرضات أنفسهنَّ إلى غرفتي ليتأكدن أنني ما أزال أتنفَّس وأنام، ثم يتركنني وحدي مجدَّدًا مع

أفكاري ومخاوفي. أنا لستُ منصفة، هنَّ يَقُمن بأكثر من هذا. يقلبنني، أنا لستُ متأكدة لمَ! أنا على جانبي الأيسر الآن، وهكذا أحببتُ أن أنام عندما كان لي خيار في الأمر. امتلاك الخيارات شيء اعتدتُ عليه. أغلب برازي على ساقي اليسرى من الداخل. يمكنني الشعور به وشم رائحته. يمكنني تقريبًا تذوقه بفمي المفتوح قسرًا، وهذه الفكرة تجعلني أريد التقيؤ، لكن هذا شيء آخر لا يمكنني فعله فحسب. أصبح الأنبوب الممتد إلى نهاية حلقي جزءًا بالكاد ألاحظه بعد الآن. أتصور نفسي وحشًا مُخترَعًا حديثًا في «دكتور هو»(1): نصف امرأة، ونصف آلة، الجلد والعظام متضافران مع الأنابيب والأسلاك. أريدهن أن يُنظفنني قبل أن يعود بول. إن كان عائدًا. فُتح الباب وظننته هو، لكن رائحة المسك الأبيض أخبرتني أن القادم ليس هو.

- صباح الخير يا آمبر، كيف نشعر اليوم؟

لنرَ، أشعر بالقرف، أنا مُغطاة بشيء مقرف، رائحتي مقرفة بسببه.

لماذا يظل هؤلاء الناس يتحدثون إليَّ؟ يعلمون أنني لا أستطيع الرد، وهم لا يُصدِّقون حقًّا أن بمقدوري سماعهم.

- أوه يا عزيزتي، لا تقلقي، سرعان ما سنُنظفكِ تمامًا.

شكرًا لكِ.

تُنظفني اثنان منهما. لم تُقدما نفسَيهما قط، لذا لا أعرف اسمَيهما الحقيقيَّين، لكني اختلقتُ أسمائي الخاصة. بدا صوت «ممرضة الشمال» كأنها من مقاطعة يوركشاير. تميل للتمتمة إلى نفسها بهدوء، وهي تعمل، لكن رغم هذا بدا صوت حروف العلة عاليًا في أذنيَّ. يداها

(1) مسلسل بريطاني شهير له عدة أجزاء، وهو مستمر إلى الآن. (المترجمة)

قاسيتان وسريعتان في إنجاز عملهما. تفرك جلدي كأنني مقلاة متَّسخة عليها بقع صعبة، وقد بدا صوتها مرهقًا دائمًا. ترافقها اليوم «ممرضة الأربعين في اليوم»، والتلميح يكمن في الاسم[1]. صوتها أجش منخفض، وتبدو مستاءة من العالم على الدوام. عندما تقف على مقربة مني، أستطيع شم رائحة النيكوتين على أناملها، أتذوَّقه في أنفاسها، وأسمعه في رئتَيها. أصغي إلى صوت مئزريْهما البلاستكييْن، وهما تنظفانني، صوت حركة الماء في وعاء، رائحة الصابون، ملمس أيديهما من وراء القفازات على بشرتي.

عندما انتهتا، قلبتاني على جانبي الأيمن. لا يروقني النوم على جانبي الأيمن، أشعر أنه أمر غريب. إحداهما تمشط شعري، تمسكه من جذوره حتى لا يجذبه التمشيط. تحاول أن لا تؤلمني أكثر مما أنا عليه بالفعل. يذكِّرني هذا بتمشيط جدتي لشعري وأنا صغيرة. نظفتْ ممرضة الشمال فمي من الداخل بشيء شعرتُ أنه أقرب لإسفنجة صغيرة، ثم مسحتْ بعض الفازلين على شفتيَّ التي شعرتُ أنهما جافتان وملتهبتان. خدعت الرائحة عقلي لتجعلني أظن أنني أستطيع تذوقه. تخبرني الممرضة أحيانًا بما تفعله، وأحيانًا تنسى. ما أريده حقًّا هو بعض الماء، لكنها لا تعطيني أي قطرة منه. لا أعلم كم من الوقت مر عليَّ الآن، لكني اعتدتُ روتيني الجديد بالفعل. كم سرعة تكيُّفنا مضحكةٌ. اشتعلتْ داخلي ومضة من الذكريات، وفكرتُ في جدتي وهي تموت. أتساءل إن شعرتْ بالظمأ. **عجلات الحافلة تدور وتدور.**

لا أعلم كم من الوقت انقضى، لكنه لم يأتِ إلا لاحقًا. اخترق صوته الجدار الذي بنيته حولي، وهو يقول: «تركوني أرحل للآن، لكني أعلم أنهم يظنونني آذيتكِ يا آمبر. عليكِ أن تستيقظي».

(1) تقصد أنها تشرب علبتي سجائر في اليوم الواحد، ولهذا صوتها أجش. (المترجمة)

أتساءل لماذا لم يقل مرحبًا قبل أن يبدأ إملاء الأوامر عليَّ. لكني أدركتُ وقتها أنني لم أسمعه يدلف إلى الغرفة، قد يكون هنا منذ مدة، قد يكون قال أكثر من هذا، ربما لم أكن مُصغية إليه فحسب. بدا صوته كأنه يقلد نفسه بطريقة سيئة. لا يُمكنني تفسير نبرته إطلاقًا، وهذا بدا خاطئًا، بما أنني زوجته. ينبغي لي أن أعلم الفرق بين الغضب والخوف بالتأكيد. ربما هذا هو بيت القصيد، ربما هما الشيء نفسه.

أتذكَّر مغادرته مع الشرطة. لا يتحدَّث عن هذا الأمر، مهما تمنيتُ بشدة أن يفعل. قرأ لي الصحف بدلًا من هذا، إذ قال إن الطبيب ظن هذا من شأنه أن يساعدني. اتسمت كل القصص بالحزن، أتساءل إن كان تخطى السعيدة منها أم إنه لم يعد هناك أي قصص سعيدة بعد الآن فحسب. توقَّف عن الحديث تمامًا وقتها، واستأتُ من الكلمات التي لم يقُلها. أريده أن يخبرني كلَّ شيء حدث معه ونحن لسنا معًا. أحتاج أن أعرف. الوقت يمرُّ من دوني منذ أن تخلى عني ولا يُمكنني اللحاق به. سمعتُ بول يقف وحاولتُ أن أملأ الفراغات بنفسي. لا يُمكن أن تكون الشرطة ألقت القبض عليه، لأنه عاد إلى هنا، لكنَّ ثمة شيئًا خاطئًا. لا يزال في الغرفة، لكنه جُرد من صوته. تصورته يُحدِّق إليَّ وشعرتُ بالخجل من المظهر الذي أنا عليه أمامه الآن حتمًا. كل ما أفعله هو أنني أخيب ظنه على ما يبدو.

بدأتُ أنجرف عندما لم أجد شيئًا أتشبَّث به. الأصوات داخل رأسي أعلى من صمت الغرفة. وأعلاها صوتي، يُذكِّرني دائمًا بكل الأشياء التي قلتُها وفعلتُها، كل الأشياء التي لم أقلها أو أفعلها، كل الأشياء التي انبغى لي أن أقولها أو أفعلها. يمكنني الشعور بما سيحدث. دائمًا ما تظهر مُويجات قبل الموجة الكبيرة. تعلَّمتُ بالفعل أن أدعها تحملني فحسب، الاستسلام أسهل بكثير، ترك الموجة لتجرفني عندما تكون

قوية ومُستعدة. أخشى أن المياه المظلمة ستبلعُني إلى الأسفل للأبد في أحد الأيام، وأنني لن أستطيع العودة إلى السطح أبدًا. المفاتيح إمَّا مفتوحة وإمَّا مغلقة. الناس إمَّا في الأعلى وإمَّا في الأسفل. عندما أكون بالأسفل، يصعب عليَّ كثيرًا أن أصعد، وهذه أعمق بُقعة سبق أن وقعتُ إليها. حتى وإن استطعتُ تذكَّر طريق عودتي لطبيعتي، فأنا لا أظنُّني سأتعرف على نفسي عندما أصل هناك.

قال بول: «أتمنَّى لو أعلم إن كنتِ تستطيعين سماعي».

أشعر بالدوار، وبينما كنتُ أستمع إلى كلماته، وهي يغلب عليها الطقطقة والتحريف. تحولتْ نبرته إلى شيء عدواني، وسمعتُ أرجل كرسيه تُصر على الأرض وهو يقف، كأنه تحذير. مال فوقي، اقترب وجهه كثيرًا ليتفقَّد وجهي، كأنه يظنُّني أتظاهر.

ثم شعرتُ بيدَين كبيرتَين تطبقان على رقبتي.

استمرَّ الشعور لأقل من ثانية، وعلمتُ في لحظتها أن ما شعرتُ به لم يكن حقيقيًّا، هذا مستحيل. هذه لمحة مُظلمة من ذكرى قد نسيتها بالأحرى، لكن حتى هذا لا يبدو منطقيًّا، بول لم يكن ليفعل هذا. أحاول أن أستوعب ما شعرتُ به للتوِّ، لكني لا أستطيع تذكُّر ما هو حقيقي بعد الآن. يجوب بول الغرفة ذهابًا وجيئة وأتمنى لو يظلُّ ساكنًا. الجهد المطلوب لأُصغي إليه، وهو يسير في أرجاء الغرفة، مُرهِق. لا أريد أن أخاف من زوجي، لكنه ليس على طبيعته، وأنا لا أعرف هذه النسخة منه.

وصلتْ كلير وانتابني شعور بسيط بالراحة محته موجة من الحيرة. توقَّعتهما سيتشاجران مرةً أخرى، لكنهما لا يتشاجران. ظننتُه سيغادر الآن، لكنه لا يغادر.

حينما تصعد، هي فوق

ثمة تغيير في الوتيرة بينهما.

حينما تنزل، هي تحت

يبدو أنهما يتعانقان. ردعتُ نفسي أملًا أن تسأله عمَّا حدث في مركز الشرطة، لكن واضح من حديثهما أنها تعلم بالفعل.

عندما تبلغ نصف التلة...

تزداد الحبكة تعقيدًا، وتستمر من دوني خارج هذه الغرفة.

لا هي فوق ولا تحت.

أغار مما تعلمه كلير، أغار من كل شيء. عندما أحضر أبي وأمي كلير إلى المنزل لأول مرة، كل ما فعلتُه هو البكاء. احتاجَت الكثير من اهتمامهما وتصرَّفتْ بطريقة تطلَّبت أن تدور حيواتنا حول حياتها. لم يسمع أبي وأمي دموع بكائي **أنا**، التي ذرفتُها ليلًا، لم يرياني **أنا** على الإطلاق بعدها. أصبحتُ الابنة غير المرئية. كان صراخها ليلًا يوقظنا جميعًا، لكن أمي هي مَن نهضتْ لتكون معها. أمي هي مَن أرادتْ كلير من البداية، لم أكن كافية لها، هذا واضح لي الآن. تحوَّلتْ عائلتنا من ثلاثة أفراد إلى أربعة، رغم أننا لم نستطع تحمُّل ما سيكلفه هذا حقًّا، لم يكن هناك حبٌّ يكفي الجميع.

سابقًا

الثلاثاء، 20 ديسمبر 2016 - مساءً

كنتُ أتبضع لشراء الطعام هذه المرة، أفرغ محتويات الطعام المجمد أولًا، ثم الطعام البارد، ومن بعده بقية الأغراض، وأعيد ترتيب الأشياء وأنا أتحرك في أرجاء المكان حتى يُصبح كل شيء حيث ينبغي أن يكون. تتطلَّب خزانة التبريد أغلب العمل. أُخرج كل محتوياتها، كل علبة معدنية، وجرة، وزجاجة. أمسح جميع الأرفف وأبدأ من جديد، أرتب جميع الأغراض بدقة حسب حجمها، وأجعل ملصقاتها في مواجهتي. حلَّ الظلام تمامًا حالما انتهيتُ. يُمكنني أن أرى الضوء مشتعلًا في السقيفة بمقدمة الحديقة، وهذا يعني أن بول ما زال يكتب هناك. ربما شهد تقدمًا. فتحتُ زجاجة كاڤا من الثلاجة، حقَّقت انتصارًا صغيرًا في العمل اليوم، لكنه يستحق الاحتفال. انطلق **مشروع مادلين** أفضل انطلاقة بكل تأكيد. لاحظتُ زجاجة نبيذ أبيض نصف فارغة في باب الثلاجة، لا أذكّر رؤيتها هناك من قبل. أنا لا أشرب النبيذ الأبيض ولا بول. ربما استخدمها في وصفة ما. أزلتُ الزجاجة المخالفة، سكبتُ كأسًا لنفسي وبدأتُ أطهو. بدا مذاقه كبول القطط، لكني كنتُ غاية في الظمأ، لذا شربتُه على أي حال.

عندما صار العشاء جاهزًا تقريبًا، أعددتُ طاولة العشاء التي لم نَجلس عليها قط، وشغَّلتُ بعض الموسيقى كما أشعلتُ شمعتَين. الشيء الوحيد

الناقص هو زوجي. لا يحب أن يزعجه أحد وهو يكتب، لكنها تجاوزت الثامنة، وأريد أن نقضي ما تبقّى من المساء معًا. لن يمانع حالما يعلم أننا سنتناول لحم ضأن، إنه المفضَّل له. خرجتُ إلى الحديقة، صفع البرد وجنتيَّ. كان العشب زلقًا قليلًا في بضع مواضع، واستعصى عليَّ رؤية وجهتي، عانى الضوء الخافت المنبعث من السقيفة لينير لي طريقي.

قلتُ بصوت عميق سخيف وأنا أفتح الباب: «مساء الخير، أيها الكاتب المقيم». سرعان ما تلاشَت ابتسامتي عندما أدركتُ أن السقيفة فارغة. وقفتُ هناك لفترة وأنا أنظر في أرجاء المكان كأن بول قد يكون مختبئًا، ثم رمقتُ الخارج لأنظر إلى الحديقة في الظلام كأنه قد يَقفِز من خلف شجيرة ويصيح «**بو!**».

- بول؟

لا أعلم لماذا ناديتُ اسمه، في حين أخبرتني عيناي بالفعل أنه ليس هنا بوضوح. شعرتُ بالهلع يتصاعد في صدري ويحكم قبضته على حلقي. هو ليس في المنزل أيضًا، كنتُ هناك لبضع ساعات الآن، كنتُ لأراه أو أسمعه. زوجي الذي دائمًا ما يجلس هنا، اختفى وأنا منشغلة للغاية بنفسي حد الإنهاك، لم أُلاحظ حتى إنه مفقود. يجب ألا أبالغ في ردَّة فعلي. دائمًا ما كان خيالي واسعًا وأميل إلى الخوف من حدوث الأسوأ في أي موقف مهما كان. أنا متأكدة أنني سأجد تفسيرًا بسيطًا لاختفاء بول من هنا، لكن الأصوات التي داخل رأسي أقل تفاؤلًا. ركضتُ عائدةً إلى المنزل لأتعثر وأنزلق على العشب الموحل.

ناديتُ بول مجددًا عندما دلفتُ إلى المنزل. لا شيء. اتصلتُ على هاتفه. سمعتُ رنينًا خافتًا من الطابق العلوي. تدفَّق داخلي سيل من الراحة عندما أدركتُ أن الصوت قادم من غرفة نومنا، ربما يأخذ قيلولة، ربما لم يكن على ما يرام. ركضتُ لأصعد الدرج وفتحتُ باب غرفة النوم،

وأنا أبتسم من هلعي السخيف. كان الفراش مرتبًا، وهو ليس عليه. هو لا يُرتب الفراش أبدًا. احترتُ للحظة، واتصلتُ على رقمه ثانيةً. بدأتْ نغمة مألوفة، أنا في الغرفة الصحيحة، لكن الصوت قادم من خزانة الملابس المغلقة. ارتجفَتْ يدي قليلًا وأنا أمدها إلى المقبض. أخبرتُ نفسي أنني أتصرَّف بسخافة فقط، أنا متأكدة أن هناك تفسيرًا طبيعيًّا تمامًا لكل هذا... بول ليس في خزانة الملابس، نحن لسنا أطفالًا نلعب الغميضة، وهذا ليس فيلمَ رعبٍ حيث تُوجد جثة في الخزانة. أدرتُ المقبض وفتحتُ باب خزانته. لا شيء. اتصلتُ على الرقم مجددًا ورأيتُ وميض الهاتف عبر جيب سترته المفضلة. حُل لغز الهاتف المفقود، لكن ليس الزوج المفقود. لمحتُ حقيبة هدايا وردية تبدو غالية، مخبَّأة جزئيًّا خلف صف من البناطيل الجينز والقمصان القطنية التي يُسميها بول «زي كتابته». أخرجتُها وحدَّقتُ داخلها، فككتُ النسيج الورقي الذي يُخفي محتوياتها. شعرتُ أن الساتان الأسود والدانتيل غريبان على أطراف أناملي، إنه من نوع الأشياء الذي اعتدتُ أن أرتديه. ربما هديتي في الكريسماس. هذا ليس نوع الأغراض التي يشتريها عادةً. بدت حمالة الصدر صغيرة قليلًا فتفقَّدتُ الملصق. إنه مقاس خاطئ، آمل أن يكون قد احتفظ بالإيصال.

نزلتُ الدرج في ذهول، وتأكدتُ أن الفرن مُطفأ. وفي منتصف روتيني، خطفتْ بصري زجاجة النبيذ الأبيض التي صارت فارغة الآن، وخلق هذا لحظة إدراك. إنه أحد المشروبات المفضلة عند كلير. لقد كانت هنا. لطمتُ على فمي، وركضتُ إلى حوض المطبخ وتقيأتُ. وعندما لم يخرج شيء أكثر مما تقيَّأتُه، بصقتُ، وفتحتُ الصنبور، ثم مسحتُ وجهي بمنشفة شاي. تفقَّدتُ الفرن ثلاث مرات، أخذتُ حقيبتي وتفقَّدتُ محتوياتها بسرعة. قلتُ بصوت عالٍ عمدًا: «الهاتف، المحفظة، المفاتيح». قلتُها بينما أكَّدتْ عيناي وجودها، كأن الأشياء لن تكون

حقيقية إلا عندما نَنطِق بأسمائها. شرعتُ بالمغادرة، لكني توقفتُ في الممر، فتحتُ الحقيبة مرةً أخرى وقلتُ على نحو أبطأ هذه المرة «الهاتف.. المحفظة.. المفاتيح»، استقرتْ عيناي على كل غرض لوقت طويل، يكفيني حتى أصدق ما أراه. رغم هذا، تفقَّدتُ الأغراض لمرة أخيرة قبل أن أُغلق الباب خلفي.

تعيش كلير على بُعد أقل مِن ميل من منزلي. مسافة ليست بعيدة للغاية على أن أسيرها، لكن كان عليَّ أن أرتدي معطفًا.. الجو بارد للغاية. طوقتُ نفسي بذراعيَّ وأنا أمضي قدمًا محدقةً إلى الرصيف. شممتُ رائحة غاز خافتة، وأنا أمر أمام صف منازل بدت كلها مُتشابهة، زحفتْ إلى فتحتَي أنفي، ثم إلى داخل حلقي لتجعلني أشعر بالغثيان، لذا سرتُ بخطًى أسرع قليلًا. قطنتْ كلير في هذا الشارع لوقت طويل، إنهم يملكون المنزل الآن، وكذلك المرأب المُجاور له، حيث يعمل ديڤيد. الشارع مألوف لي للغاية، لدرجة أنني أستطيع السير من هنا إلى بابها الأمامي بعينين مغمضتَين. لكني لم أفعل. عيناي مفتوحتان وأول ما رأيته هي سيارة بول. إنها مُميزة للغاية. سيارة مُستعملة خضراء طراز إم جي ميدجيت 1978، عُدلت بمحبة لتستعيد مجدها السابق المزعوم. اشتراها بسُلفة من مستحقات روايته الأولى، وهو يُحبها بقدر ما أكرهها أنا.

تقدمتُ إلى بداية ممر السيارات بضيق في صدري، شعرتُ كأنني قد أتوقف عن التنفُّس تمامًا. لديَّ نسخة احتياطية من مفتاح منزل كلير في حقيبةِ يدي، لكنني لن أشعر بالراحة إن سمحتُ لنفسي بالدخول فحسب. أعطَته لي أملًا منها أن يُعجِّل هذا من تبادُل المفاتيح. وهذا لم يحدث.

قرعتُ الجرس مرارًا، وأنا أريد أن أنهي هذا، أيًّا ما كان، في أسرع وقت ممكن. آلمَ البرد يديَّ واستطعتُ أن أرى أنفاسي. سمعتُ طفلًا شرع في البكاء بالداخل، ورأيتُ صورةً ضبابية لبالغٍ صارت أكبر عبر

الزجاج المصقول. فتح زوج كلير الباب الأمامي بقوة، وحيَّاني بتعبير الوجه الذي أحتفِظ أنا به لمندوبي المبيعات المتجولين. لستُ متأكدة لمَ لا ننسجم معًا! ليس الأمر أننا لا نملك أي شيء مشترك -فنحن لدينا كلير- لذا ربما العكس هو الصحيح.

قال دون شيء من البشاشة حتى: «مرحبًا يا آمبر. شكرًا على إيقاظ التوءمين». لم يدعُني للدخول، صهري رجل ضخم وقته وصبره ضئيلان. ما زال يرتدي بدلة عمله.

قلتُ له: «أنا آسفة للغاية يا ديڤيد، لم أكن أفكِّر على نحو صحيح. قد يبدو هذا غريبًا قليلًا، لكن هل بول هنا؟».

- لا، هل ينبغي له أن يكون هنا؟

بدا مُتعبًا، وتوجد هالات سوداء أسفل عينيه. زواجه من أختي جعله يشيخ. تُناديه ديڤيد، لذا هكذا نناديه أيضًا، لكن الجميع ينادونه ديڤ.

أجبتُه: «سيارته هنا». نظر ديڤيد إلى السيارة في فناء المرأب الأمامي من خلفي وقال: «أجل، إنها هنا».

لم يشرح، وعندما لم أقل أي شيء ردًّا عليه، ازداد عبوسه عمقًا، كأنه قد يحطِّم وجهه. خفض بصره إلى قدميَّ وتبعتُ تحديقه بنظري. ما زلتُ أرتدي شبشبي، على هيئة وجه كلبي بَج يبدوان وضيعَين، كما بدَت عيناهما المخيطتان مليئتَين بكميات مُتساوية من الدهشة والشفقة. كان في قسم الأطفال في السوبر ماركت، لكنه ناسبَني وأحببته.

سألني: «هل أنتِ بخير؟».

فكرتُ في سؤاله وأعطيته أصدق إجابة يُمكنني التوصل إليها: «لا، ليس حقًّا. لا أظنني بخير. أحتاج إلى التحدُّث إلى كلير. هل هي في المنزل؟». استقام في وقفته قليلًا وبدا حائرًا، ثم انتشر شيء قبيح عبر ملامحه قبل أن يقول: «كلير لم تكن هنا طوال اليوم. ظننتُها معكِ».

سابقًا

الأربعاء، 13 نوفمبر 1991

مذكراتي العزيزة،

بلغتُ العاشرة منذ شهر كامل الآن، وأنا لستُ متأكدة إن كانت الأرقام المزدوجة يصاحبها أي شعور مختلف، رغم أن أمي قالت هذا. ما زال هناك الكثير من الأشياء التي لا يُسمَح لي بفعلها، وما زلتُ قصيرة تمامًا، وما زلتُ أفتقد جدَّتي كل يوم. أنا غاضبة للغاية من أمي لأسباب كثيرة، ولكن خاصةً بسبب ما فعلتْه في أمسية أولياء الأمور الليلة. ذهبَتْ بمُفردها لأن أبي عليه العمل إلى وقت متأخر. قالت أمي إنه قد ينام هناك مجددًا، لقد كان يعمل بجد كبير مؤخرًا. ولأن أبي لم يكن معها لتتحدَّث إليه، فقد تحدثت إلى بعض أولياء الأمور الآخرين في المدرسة. كانت متحمسة تمامًا، عندما عادت إلى المنزل، ليس بسبب درجاتي الرائعة مثل أي إنسان عادي، بل لأنها قابلت والدة تايلور وكانت سعيدة للغاية عندما اكتشفت أنني حصلتُ على مثل هذه **الصديقة الجيدة**. ظلَّت تتحدَّث عن الأمر مرارًا وتكرارًا، وسألتني لماذا لم أذكر تايلور. قلتُ إنني لا أريد التحدُّث عن الأمر وجلسنا في صمت فترةً.

حالما فهمتْ أمي أنني لستُ في مزاج جيد للتحدث، نهضَتْ عن الطاولة، وأعدَّتْ لنفسها موخيتو. لا أعلم ماذا يحتوي، لكنها تُسميه

«مشروبها السعيد». أعدتْ لي عصير ليمون بالكثير من الثلج وشيءٍ من النعناع في الأعلى حتى يبدو شرابي مثل شرابها. أخرجتُ النعناع وهي غير مُنتبهة. أخرجَتْ بعدها بعض الدجاج المُغطَّى بفُتات الخبز وبعض الرقائق المضلَّعة من البراد، وهو أفضل عشاء تُعدُّه على الإطلاق في رأيي. حصلتْ على الكاتشب من الخزانة وقلبتْه رأسًا على عقب، ثم أعدَّت الطاولة لفردين فقط، مستخدمةً أفضل أطباق جدتي. ولأن أبي لم يكن موجودًا، فقد نقلَت التلفزيون الصغير من مكتبه إلى المطبخ، وشاهدنا «شارع كورونيشن»[1] في أثناء تناولنا للطعام، عوضًا عن محاولة التفكير في أشياء نقولها بعضنا لبعضٍ. كنا نقضي وقتًا لطيفًا نوعًا ما، ولكن عندها فقط، بعد كأس الموخيتو الثالثة (كنتُ أعدُّها فقط في حال كان الموخيتو هو ما يَزيد وزنها)، أفسدتْ كل شيء.

قالت: «لذا، لديَّ مفاجأة لكِ، لأنكِ تُبلين بلاءً حسنًا للغاية في مدرستكِ الجديدة». كانت عيناها مُغمضتَين قليلًا، بالطريقة التي تكونان عليها عندما تَثمل، لدرجة أنها تبدو نائمة حقًّا حتى وإن كنَّا في منتصَف النهار. سألتُ أكانت تحلية، لكنها قالت لا ونظرتْ بكل جدية وهي تسألني أكنتُ نسيتُ ما قاله طبيب الأسنان عن أسناني والسكر. لم أنسَ، لكني لم أهتمَّ حقًّا. دائمًا ما أعدَّتْ جدتي شيئًا للتحلية، ليست حلوى مُعلبة، بل أعدت الأشياء حقًّا. كعكة شوكولاتة، كعكة ڤيكتوريا الإسفنجية، حلوى بودينج التوفي الدبقة، فتات التفاح بالكاستر. تمتعتْ كلها بمذاق رائع. بالتفكير في الأمر الآن، لم يتبقَّ لجدتي أي أسنان على الإطلاق، كانت لديها أسنان مزيفة تبقيها في كأسٍ بجانب الفراش وهي نائمة. ما زلتُ أفضِّل تناول الكعك، وإن كانت أسناني ستسقط مثل جدتي. سألتني

(1) مسلسل بريطاني، وهو أطول مسلسل تليفزيوني في العالم، إذ بدأ عام 1960 ومستمر إلى الآن. (المترجمة)

أمي إن كنتُ أصغي إليها، وهذا ما تفعله عندما أمعن التفكير في شيء لدرجة أنني لا أسمع ما تقوله بعدها. أومأتُ، لكني لم أجِبْها بصوت عالٍ، لأنني ما زلت منزعجة قليلًا، لأننا لن نتناول أي تحلية من أي نوع. ابتسمَتْ بعدها بعينين نصف مغمضتَين وقالت: «سألتُ والدة تايلور إن كان بإمكان تايلور القدوم هنا لتلعب ذات ليلة بالأسبوع القادم. وقالت: أجل. ألن يكون هذا لطيفًا؟» أنهتْ شرابها وأعادت القدح إلى الطاولة، ثم نظرت إليَّ بابتسامة كبيرة غبية على وجهِها البدين وتابعتْ: «سنَفعل هذا في ليلة يكون والدكِ فيها بالعمل، لذا سنكون نحن الفتيات فقط. سيكون الأمر مُمتعًا، سترين!» كنتُ غاية في الغضب، لم أستطع التفكير في أي شيء على الإطلاق لأقوله لها. نهضتُ عن الطاولة دون استئذان، ثم ركضتُ على الدرج إلى غرفتي، وأخذتُ سنَّادة الباب وأغلقته. تركتُ حتى بعض رقائقي المضلعة. ظننتُ أنني سأبكي، لكن لم يحدث شيءٌ.

لا يمكن لتايلور المجيء إلى هنا. لم أقرِّر بعد إن كان ينبغي لنا أن نكون صديقتَين مقربتَين أم لا. أنا غاضبة من أمي للغاية. هناك الكثير من الأشياء التي أكرهها بشأنها، لكن هذه أكبر ثلاثة أسباب يمكنني التفكير فيها حاليًّا:

1. تشرب كثيرًا.
2. تكذب طيلة الوقت، كوقت قولها إننا لن ننتقِل مجددًا.
3. تتمنَّى لو أنني مثل بقية الأطفال.

أنا لستُ كبقية الأطفال. لقد أفسدَتْ أمي كل شيء.

مجددًا.

الآن

الأربعاء، 28 ديسمبر 2016

وصل والداي إلى المستشفى أخيرًا... أسمع صوتهما قبل أن يُدلفا الغرفة بوقت طويل. استمرا في نوع نادر من الزواج، النوع الذي يدُوم فيه الحب لأكثر من ثلاثين عامًا. لكنه نوع الحب الذي يُشعرني بالحزن والفراغ، حبٌّ مبني على العادة والاعتماد، هذا ليس حبًّا حقيقيًّا. فُتح الباب وشممتُ عطر أمي، تفوح منه رائحة الزهور بشدة، قوي للغاية. أسمع أبي يتنحنَح بتلك الطريقة المزعجة التي يتنحنَح بها. يقفان عند نهاية فراشي، يُحافظان على مسافتهما كعهدهما دائمًا.

قال أبي: «تبدو في حالة سيئة».

فأجابت أمي: «تبدو على الأغلب أسوأ مما هي عليه».

مرَّ عام تقريبًا منذ أن تحدَّثنا آخر مرة، وما من مودة في صوتها على الإطلاق.

قالت: «لا أظنها تستطيع سماعنا».

- ينبغي أن نبقى لبعض الوقت، تحسبًا.

قالها وهو يجلس بجانب فراشي، أحبه لهذا، ثم تابع وهو يُمسك يدي: «ستكونين بخير، يا فستقة». أتخيَّل دمعة تسيل على وجنته، ثم إلى ذقنه، حيث تتعلق في خيالي قبل أن تتقطَّر على ملاءة المستشفى

البيضاء. لم أرَ أبي يبكي قط. ملمس أصابعه، وهي تعانق أصابعي، يعيد لي ذكرى سيرنا يدًا بيد عندما كنتُ في الخامسة أو السادسة. لم تكن كلير قد دخلَت إلى عالمنا وقتها بعد. كنا سنذهب إلى البنك وكان في عجلة من أمره. كثيرًا ما كان مستعجلًا. أخذتْ ساقاه الطويلتان خُطى عملاقة ركضتُ حتى أسايره. تعثرتُ قُبيل وصولنا إلى البنك وسقطتُ. أصبتُ بجرح بليغ دامٍ في ركبتي ورقصتْ أشرطة رفيعة من الدم بطول ساقي، ثم تضافرتْ لتُلطخ جوربي الأبيض بالأحمر. آلمتني، لكني لم أبكِ. بدا آسفًا، لكنه لم يُقبِّلها لتتحسن وما أزال أستطيع سماع صوته وهو يقول: «**ستكونين بخير يا فستقة**».

وأسرعنا لندلف إلى البنك بخُطًى أبطأ قليلًا دون مزيد من الإطناب.

اعتنينا بكلير أفضل بكثير عندما جاءت. كانت أشبه بدُمية جديدة غالية لامعة، بينما كنتُ أنا الدمية المكسورة المخدوشة بالفعل. يُلقِّبني أبي بالفستقة، ويلقِّب كلير بالأميرة. أنا لا أكره والديَّ، أكره فقط أنهما توقَّفا عن حبي.

صار هواء الغرفة مُثقلًا بالصمت والندم، ثم فُتح الباب مجددًا وتغير كل شيء.

سألتْ أختي: «كيف الحال؟» سمعتُ بول يجيب، وأدركتُ أنه كان في الغرفة معنا طيلة الوقت. الوضع أكثر إحراجًا مما ظننتُ حتى، بول ووالداي لم ينسجموا معًا قط. يظن أبي أن الكتابة ليست وظيفة حقيقية، وأن الرجل دون وظيفة ليس رجلًا حقيقيًّا. سألتْ كلير مجددًا: «أهناك أي جديد؟».

- قالوا إن حالتها مُستقرة الآن، لكن لا يزال الوقت مبكرًا للغاية ليعلموا ما سيحدث.

- نحتاج إلى أن نتحلَّى بالتفاؤل فقط.

من السهل عليها أن تقول هذا.

ثمة الكثير من الأسئلة التي أريد طرحها. إن كانت حالتي مستقرة، فأفترض أن هذا يعني أنني لن أموت. ليس الآن على أي حال، فنحن جميعًا سنموت في النهاية، حسبما أفترض. الحياة أكثر رعبًا من الموت، من واقع خبرتي، لا جدوى من الخوف من شيء محتوم. وبما أنني مُستلقية هنا، أكثر ما أخشاه هو أنني لن أستيقظ أبدًا، الخوف من أن أظلَّ حبيسة داخلي للأبد. أحاول أن أُهدِّئ عقلي وأركز على أصواتهم. أحيانًا تصِلني الكلمات، وأحيانًا تضلُّ طريقها، أو لا أستطيع ترجمتها لشيء أفهمه.

مرَّ وقتٌ طويل منذ أن تجمَّعت عائلتي معًا بهذه الطريقة، لذا من الغريب أننا مُجتمعين حول سريري في المستشفى. اعتدنا أن نقضي كل عيد ميلاد معًا، ثم توقَّف هذا. أنا محور هذا التجمع العائلي لكني ما زلتُ غير مرئية. ما مِن أحد مُمسك بيدي الآن. ما من أحد يبكي. لا أحد يتصرف كما ينبغي، وكأنني لستُ هنا على الإطلاق.

قالت كلير، الابنة الحنونة: «تبدون مُتعَبين حقًّا، ربما علينا أن نذهب ونتناول بعض الطعام».

لم يتحدَّث أحد، ثم كسر صوت والدي التعويذة ليقول: «تماسكي، هذا كل ما عليكِ فعله».

لماذا يُصرُّ الجميع على إخباري أن أتماسَك؟ بمَ أتمسَّك؟ أنا لا أحتاج إلى التماسُك، أنا أحتاج إلى الاستيقاظ.

قبَّل بول جبيني. لم أظنَّه سيذهب معهم، لكني سمعته بعدها يسير إلى الباب ويتبعُهم خارج الغرفة. لا أعلم لما أنا مُتفاجئة مِن تَركي وحيدة، فأنا دائمًا ما أُترك وحيدة. تسلب كلير كل مَن أحبُّهم مني.

أسمع المطر بدأ يهطل بقوة على النافذة غير المرئية في غرفتي الخيالية. ساعدتني التهويدة المائية على تشتيت ذهني عن غضبي، لكنَّها لم تكن كافية لتُسكته.

لن أدعها تسلُب أيَّ أحد آخر مني.

انتشر غضب صامت في ذهني مثل الفيروس. الصوت الذي داخل رأسي، الذي بدا كثيرًا كصوتي، بدا عاليًا، واضحًا، آمرًا.

أحتاج إلى أن أنهض عن هذا الفراش، يجب أن أستيقظ.

ثم استيقظتُ.

ما زال يُمكنني سماع صوت الآلات التي تتنفَّس نيابةً عني، وتطعمني وتُخدرني حتى لا أستطيع الشعور بما لا يجب أن أشعر به، لكن أُزيلت الأسلاك، كما أُزيل الأنبوب من حلقي. فتحتُ عينيَّ وجلستُ. يجب أن أخبر أحدًا. نهضتُ من الفراش، وركضتُ إلى الباب، فتحتُه بقوة وهرعتُ عبره، لكني سقطتُ بقوة على الأرض. لاحظتُ وقتَها كم أشعر بالبرد، كما لاحظتُ وقتها أنني أشعر بالمطر. خشيتُ أن أفتح عينيَّ، وعندما فعلتُ، رأيتها، الفتاة الصغيرة عديمة الملامح ذات رداء وردي، مُستلقية معي وسط الطريق. لا يمكنني تحريك جسدي، وكل شيء ساكن، كأنني أنظر إلى لوحة.

يمكنني رؤية السيارة المحطمة والشجرة المتضررة، عادت جذورها السميكة إلى الحياة وزحفتْ نحوي أنا والطفلة. التفَّتْ حول أذرعنا، سيقاننا، وأجسادنا، اعتصرَتنا معًا، ثبَّتتنا إلى الأسفلت الذي سقطتُ عليه حتى صِرنا مغطاتَين تمامًا ومخفيتَين عن بقية العالم. أشعر أن الطفلة خائفة، لذا قلتُ لها أن تتحلَّى بالشجاعة واقترحتُ عليها أننا قد نُغني أغنية. لا تريد الغناء. ليس بعد. بدأ المطر يهطل بغزارة أكثر، وبدأتِ اللوحة التي حُبست داخلها تتلطَّخ وتتشوَّش. كأن المطر يحاول

أن يمحونا، كأننا لم نكن. يسقط الماء بقوة شديدة لدرجة أنه يرتدُّ من الأسفلت ليدخل فمي وأنفي. شعرتُ أنني بدأتُ أغرق في الألوان المائية القذرة، ثم انتهى هطول الماء بسرعة بَدئه.

همست الفتاة الصغيرة: «**لا تلمع النجوم دون الظلام**».

لا تزال جذور الشجرة تُثبِّت جسدي مكانه، لكني رفعتُ رأسي لأرى سماء الليل. في حين حدَّقتُ إلى النجوم، صارت أكبر، وبدت أكثر سطوعًا وواقعية عمَّا رأيتُ من قبل قط، ثم بدأت الطفلة تُغني.

اضوِ، اضوِ، يا نجمي الصغير، إن كنت هنا، فمَن في الحادث الكبير؟

أطلقَت الجذور سراحي، اصطف جيشٌ من القشعريرة على ذراعيَّ، ونظرتُ حيث تشير الطفلة الآن. يوجد ظلُّ أحدٍ داخل السيارة بلا ريب. فُتح باب السائق، وترجَّل خيال أسود وسار مبتعدًا. خيَّم الصمت على كل شيء. خيَّم السكون على كل شيء.

أعادني صوت قفل يُغلق إلى جسدي النائم داخل زنزانتي بالمشفى. اختفى كل ما يُمكنني رؤيته والشعور به. انتهى الكابوس، لكني لا أزال خائفة. كان يوجد شخصٌ آخر في السيارة تلك الليلة، أنا متأكدة من الأمر. والآن يوجد أحدٌ في غرفتي، وكل شيء يبدو خاطئًا للغاية.

- أيُمكنكِ سماعي؟

إنه رجل. أنا لا أميز صوته.

اجتاحَني الخوف، وهو يسير نحو الفراش.

كرر سؤاله: «قلت، أيُمكنكِ سماعي؟» صار بجانبي تمامًا، وهو يطرح السؤال عليَّ للمرة الثالثة. تنهَّد وعاد خطوة إلى الوراء. فتح شيئًا بجانب فراشي، ثم سمعتُ صوت هاتف يُفتح. هاتفي. سمعتُ رمز الأمان الذي

لم أُغيره قط، أيًّا مَن كان هذا الشخص، فهو يسمع بريدي الصوتي. توجد ثلاث رسائل خافتة، لكن مسموعة. أول صوت سمعتُه هو صوت كلير. قالت إنها تتصل فقط لترى إن كان كل شيء على ما يرام، لكن تُشير نبرة صوتها أنها علمت بالفعل أن الأمر ليس كذلك. تبعتها رسالة غاضبة من بول: يُريد أن يعرف أين أنا. ثم شغَّل الغريب الذي في غرفتي الرسالة الثالثة، وبها صوته هو على هاتفي.

أنا آسف على ما حدث، هذا لأنني أحبكِ فقط.

أشعر كأن جسدي كله تجمَّد تمامًا. سمعتُ صوت صفارة.

تم حذف الرسالة. ليست لديك رسائل جديدة.

أنا لا أعرف هذا الرجل، لكنه يَعرفني. أنا خائفة للغاية لدرجة أنني حتى إن كنتُ قادرة على الصراخ، فلا أظنُّني كنتُ سأفعل.

ثم قال: «أتمنى حقًّا ألَّا تكوني مُستلقية هنا وأنتِ تشعرين بالأسف على نفسكِ يا آمبر». لمس وجهي وأردتُ أن أنكمش وأغوص داخل الوسادة. نقر رأسي بإصبعه مرارًا وقال: «في حال كنتِ حائرة هنا من أي شيء سمعتِه، فهذه لم تكن حادثة». انزَلَقت إصبعه إلى جانب وجهي واستقرت على شفتي قبل أن يُردف: «أنتِ مَن فعلتِ هذا بنفسكِ».

سابقًا

الأربعاء، 21 ديسمبر 2016 – صباحًا

أطفأتُ المنبه، فأنا لن أحتاجه. لم أنَم على الإطلاق تقريبًا ومُحاولة النوم الآن بلا جدوى. ينبغي أن يكون الأرق عرضًا لقلقي على زوجي المفقود، لكن ليس هذا ما استلقيتُ مُستيقظة أفكر فيه. ظللتُ أتذكَّر أبا الحناء الميت، جثته الضئيلة الهامدة. طوال الليل وأنا أتخيل أنني أستطيع سماع جناحَيه يُرفرفان داخل سلة المهملات كأنه ليس ميتًا. قلقتُ أنه ربما كان فاقدًا للوعي فحسب، وأنني ربما رميته وهو نائم فقط.

حدَّقتُ إلى الجانب الخالي من السرير. ما من أخبار عن بول حتى الآن. ثمة زجاجة نبيذ أحمر فارغة على الأرض، حاولتُ أن أثمل حتى النوم لكني لم أنجح. أصبح النبيذ مضادًّا حيويًّا، وُصف لي بإفراط حتى اكتسب جسدي مناعة ضده. فكرتُ في الاتصال بالشرطة وإبلاغهم عن اختفاء بول، لكنني شعرتُ بالحمق. لن أعرف كيف أقول ما أخشاه دون أن أبدو مجنونة. لا يعود الأزواج دائمًا إلى المنزل ليلًا، وأنا أعلم هذا، فأنا فتاة كبيرة الآن.

تحوَّل عقلي من بول إلى كلير. عندما عاودتِ الاتصال بي في النهاية، بدتْ منزعجة أنني اتَّهمتها بمعرفة مكانه. قالت إنها كانت في الخارج

مع أحد الأصدقاء، وإنني أفسدتُ عليها أمسيتها، ثم أغلقت الخط. تعلم بالضبط ما أخشاه. أحب كليهما لكن يمكنني الشعور بأن كل ما حافظتُ عليه بأمان حتى الآن بدأ ينهار. سحبةُ خيطةٍ واحدةٍ، وستسقطُ كلها في ثَقبٍ لا يمكن إصلاحه. قد يكون الأوان قد فات بالفعل.

ما زال الظلام سائدًا، لذا أشعلتُ الضوء، ومسحتُ الغرفة ببصري بحثًا عن أي شيء من شأنه أن يكون دليلًا. أتذكَّر حقيبة الهدايا التي أخفت الملابس النسائية في قاع خزانة ملابس بول. جلبتُ الحقيبة مجددًا وأخرجتُ ما فيها، خامة الملابس من الساتان الأسود الرقيق، ولها إطار من الدانتيل. الملابس صغيرة للغاية حتمًا. خلعتُ بيجامتي، ووطأتُ عليها. تركتُ على الأرض كومة من الملابس القطنية ذات الألوان الفاتحة، وارتديتُ الملابس الجديدة، التي لا تزال تذكرة السعر عليها، غُرزت في جلدي أطراف الورق المقوَّى ذات الزوايا الحادة. حشرتُ نفسي في الملابس الضيقة للغاية، ثم وقفتُ أمام المرآة كاملة الطول. مرَّ وقت طويل منذ أن رأيتُ نفسي هكذا. الجسد المنعكس في المرآة ليس سيئًا كما تخيلتُ. أنا لستُ قبيحة من الخارج كما أشعر من الداخل، لكن لا يرُوقني ما أرى. استدارتْ معدتي قليلًا عن المعتاد، لكني أتناول كل ما أشتهيه الآن تقريبًا. أكره هذا الجسد بقدر ما أكره نفسي تقريبًا. لم يفعل ما يفترض به أن يفعل. لم يعطِه ما أراد. لم أُرد أن أنظر أكثر من هذا، لذا أطفأتُ النور، لكن ما زال بإمكاني رؤية شبح انعكاسي. أخذتُ رداء نومي وأخفيتُ نفسي مجددًا، الملابس الداخلية الجديدة تقرص لحمي تحتها وتعضه. فكرة أنها قد لا تكون من أجلي أصبحت أشد من أن أتجاهلها، لذا خلعتُها وأعدتُها حيث وجدتُها، ثم بدأتُ من جديد.

ما زال الظلام مخيمًا على الأرجاء، لكني أعرف هذا المنزل، يُمكنني إيجاد طريقي في الظلام. السقيفة مكان بول الخاص، لكن المكتب

الصغير في نهاية المنزل خاص بي. غرفة ملكي، بها مساحة كافية لمكتب صغير وكرسي فحسب. جلستُ وأشعلتُ المصباح. المكتب مُستعمَل لذا يحوي أسرارًا لا أعرفها وأخرى أعرفها. يوجد أربعة أدراج صغيرة ودرج كبير، يبدو كابتسامة معرفة من الخشب. فتحتُه برفق وارتديتُ بسرعة القفازات القطنية البيضاء التي وجدتها داخله. ثم أخذتُ ورقة، مع قلم الحبر خاصَّتِي، وكتبتُ. عندما انتهيتُ، عندما تأكدتُ أنني كتبتُ الكلمات الصحيحة وتيقنتُ أنني أريدها أن تُقرأ، طويتُ الورقة مرتَين وأدخلتُها في ظرف أحمر. استحممتُ بعدها، لأغسل أيَّ آثار للذنب أو القلق، وأستعد للعمل.

وصلتُ في وقت أبكر من المعتاد. كان المكتب الرئيسي فارغًا، لكن يُمكنني رؤية الضوء مشتعلًا بالفعل في مكتب مادلين. خلعتُ معطفي، وتركتُ حقيبة يدي على المكتب، ثم حاولتُ أن أنفض ضباب التعب الذي حاوطني. أحتاج إلى أن أبقى يقظة، أحافظ على تركيزي على المَهمة القادمة. سمعتُ الباب يُصرُّ مفتوحًا قبل أن أتمكن من الجلوس، وقالت: «أهذه أنتِ يا آمبر؟ هل لي بكلمة معكِ؟».

أدرتُ مُقلتيَّ وأنا أشعر بالأمان، لأن ما من أحد يستطيع رؤيتي. لا أحتاج إلى هذا الآن، لكنني أعدتُ ترتيب تعابير وجهي وتوجهتُ إلى المكتب الصغير القابع في الزاوية، في حين ظلَّت يداي ثابتتَين في قبضتهما الدفاعية داخل جيبيَّ.

طرقتُ طرقةً فاترة على الباب الموارب قليلًا، قبل أن أدفعه ليُفتح على مصراعيه. ها هي، في ملابسها السوداء، كعهدها دائمًا. مُنكبة على المكتب، وجهها مُقطَّب وقريب للغاية من الشاشة حتى تستطيع قراءة ما تعرضه. لا تزال طاحونة الشائعات في أوجها على تويتر، لينتج عن

هذا تكهنات أكثر برحيلها الوشيك. أتساءل إن كانت تقرأ التعليقات الجديدة على #مادلين_فروست، فهناك الكثير منها.

- لحظة فقط، أنا في مُنتصَف فكرة ما.

دائمًا ما تفعل هذا. وقتها هو الوقت الوحيد الذي تُقدِّره وتريدني أن أعلم هذا. كتبتْ على الحاسوب شيئًا لا يُمكنني رؤيته، ثم أردفتْ: «أنا سعيدة لأنكِ أتيتِ مبكرًا، كنتُ أتمنى أن نستطيع الدردشة قليلًا قبل وصول الآخرين».

حاولتُ ألَّا أُظهر أي ردة فعل، مُهيئةً كل عضلة في وجهي أن تبقى في مكانها بالضبط. رفعتْ نظارتها عن وجهها وتركتْها لتتدلى من الحبل الوردي المزين بالخرز المعلَّق حول رقبتها القوية. تخيلتُ أنني أشدُّه وأُضيِّقه حول رقبتها، ثم أبعدتُ الصورة عن ذهني.

قالت مادلين، وهي تشير إلى وسادة الجلوس الأرجوانية الجلدية التي جلبتها معها من المغرب قبل بضعة أشهر: «لمَ لا تجلسين؟».

- أنا بخير هكذا، شكرًا.

- اجلسي.

عزَّز طلبها صفيْن أنيقيْن من الأسنان. جعلتُ وجهي يرد لها الابتسامة وفعلتُ كما قيل لي. هذا ما يتوجب على المعدِّين فعله كل يوم، يأتون إلى تلك الغرفة الصغيرة الضيقة، ويقعدون على وسادة الجلوس في انتظار مادلين لتستجوبَهم بشأن كل قصة في حلقة اليوم. جلستُ القرفصاء وحاولتُ أن أوازن نفسي، إنه مُنخفض للغاية وغير مريح بالمرة. كل شيء يتعلق بالسلطة، كما هي الحال دائمًا، ومن الواضح بالفعل أنني لا أملك أي سلطة.

سألتني: «هل كنتِ تعلمين بشأن اجتماع ماثيو مع الضيفتَين بالأمس؟».

- أجل.

قلتُها وأنا أُحدِّق إلى عينيها. أومأتْ، ثم نظرت إليَّ من أعلى إلى أسفل كأنها تُقيِّم اختياري لزيي. إنه فستان جديد آخر، لكن من الواضح أنها لم تنبهر وقالت في النهاية: «أريدكِ أن تُسدي إليَّ معروفًا، إن سمعتِ أي شيء وظننتِ أني قد أرغب في معرفته، أريدكِ أن تخبريني إياه».

بدأتُ أظنها نسيت أنها تُحاول فصلي من العمل، أو ربما تظنُّ أنني لا أعلم فقلتُ: «بالطبع».

لن أخبرها لو هناك ثعبان سام مُلتفٌّ حول عنقها.

تابعتْ: «يجب أن نتآزر يا آمبر. إن تخلَّصوا مني، سيجلبون طاقم عمل جديدًا، دائمًا ما يفعلون هذا. سيُبدلونكِ أنتِ أيضًا، لا تظني أنهم لن يفعلوا. تذكَّري هذا، وفي المرة المُقبلة التي تسمعين فيها شيئًا، ستأتين وتُخبرينني، أليس كذلك؟».

وبهذا، أعادتْ نظارتها على أنفها، وبدأتْ تنقر على لوحة المفاتيح مجددًا لتشير إلى انتهاء الاجتماع.

عانيتُ لأنهض عن وسادة الجلوس، ثم غادرتُ مكتبها وأغلقتُ الباب خلفي.

همستْ لي چو التي وصلت للتو: «هل أنتِ بخير؟».

جلستُ على مكتبي وأجبتُ وأنا أعلم أن مادلين ستُراقبنا عبر نافذة بابها: «أجل، بخير».

- أنتِ لا تبدين بخير.

- لا أعلم أين بول. لم يَعُد إلى المنزل الليلة الماضية.

وحالما نطقتُ بتلك الكلمات، ندمتُ عليها إذ سألتني: «أهي كلير مجددًا؟». صفعتْني الكلمات وتحوَّل خوفي إلى غضب، لكن ثمة نظرة قلق صادق تغمر ملامح چو. ليس خطأها أنها تعلم الكثير عن ماضيَّ، أنا مَن أخبرتها.

لا أعلم الإجابة، لذا أجبتُ بما أريده أن يكون الحقيقة: «لا أظن هذا».

- ربما يجدُر بنا الذهاب لشرب القهوة؟

- لا، شكرًا، أنا بخير.

أشحتُ بنظري عنها، وشغَّلتُ الحاسوب، ثم حدَّقتُ إلى الشاشة.

فقالت: «كما تشائين»، ثم غادرتْ دون كلمة أخرى. عندما رحلَتْ، فتحتُ رسائلي الإلكترونية. صندوق بريدي مُكتظ بالالتزامات والدعوات. أغلبها عديمة الفائدة، تخفيضات على أشياء لا أرغب بها ولا أريدها، لكن ثمة رسالة واحدة خطفَت بصري. حامت الفأرة حول اسم مألوف، وثبتتْ عيناي على الكلمة الوحيدة التي في خانة الموضوع كأنه يصعب ترجمتها:

مرحبًا.

بدأتُ أنزع الجلد من فوق شفتيَّ بأظفاري. يجب أن أحذف هذه الرسالة، أعلم أن هذا ما عليَّ فعله. ألقيتُ نظرة سريعة على المكتب بشكلٍ عرضي. ما زلتُ وحدي. نزعتُ قطعة أخرى من جلد شفتي العليا ووضعتُها على مكتبي. إنها ملطخة باللون الأرجواني من نبيذ الليلة الماضية. أتذكَّر أنني أخرجتُ بطاقة العمل من محفظتي عندما لم أستطع النوم الليلة الماضية، ومررتُ إبهامي على الحروف البارزة. أتذكَّر كتابتي لاسمه في رسالة بريد إلكتروني على هاتفي، وتردُّدي في اختيار ما أكتبه في خانة الموضوع، وكتابتي لرسالة عفوية، قلقتُ أن إرسالها في وقتٍ متأخِّر للغاية من الليل قد يبدو غريبًا، ثم أرسلتُها على

أي حال. احمرَّتْ وجنتاي من الخزي، في حين لم أستطع تذكُّر ما قلته بالضبط.

فتحتُ الرسالة وقرأتُها، ثم قرأتُها مجددًا، بروية هذه المرة، لأترجم كل كلمة على حدة وبحذر.

لأجل الأيام الخوالي.

جربتُ الكلمات وأنا أقرؤها لأرى إن كانت مناسبة. لا يزال بإمكاني تخيُّل كاتبتها إن أغمضتُ عينيَّ.

الذكريات السعيدة.

لم تكن كلها سعيدة.

شرابٌ ليُخبر كلٌّ منَّا ما فاته من أخبار عن الآخر؟

نزعتُ قطعة أخرى من جلد شفتيَّ وتفقَّدتُ القشرة الضئيلة الآتية مني، وهي تجفُّ وتتصلب على طرف إصبعي. وضعتُها في الكومة الصغيرة مع القطع الأخرى.

يخبر. إخبار. أخبار.

بول مفقود. زواجي على شفير هاوية. ما الذي أفعله؟ الفكرة مقتولة في مهدها.

قالت چو، وهي تلوِّح بيدها أمام وجهي: «مرحبًا، من كوكب الأرض إلى آمبر؟» أغلقتُ نافذة الرسالة الإلكترونية وأزلتُ كومة الجلد الصغيرة من فوق مكتبي، ثم شعرتُ بوجنتيَّ تحمرَّان.

قلتُ دون تفكير: «هل كنتِ تلعبين غزاة الفضاء؟».

فابتسمت وسألتني: «ماذا؟ لا. لماذا؟».

- لأنكِ تغزين فضائي.

تلاشت ابتسامتها فقلت: «آسفة، سمعتُ أحدهم يقولها مرة وظننتُها مضحكة. لم أقصد أن أحدِّثكِ بغضب، كنتُ في عالم خاص بي تمامًا».

- لاحظتُ هذا، حاولي ألا تقلقي، أنا متأكدة أنه بخير.

- مَن؟

سألتها إن كانت قد رأت الرسالة التي وصلَتني من إدوارد، فقالت وهي تُقطِّب حاجبيها: «بول؟ زوجكِ؟».

- صحيح، أجل، آسفة. أنا مُشتَّتة قليلًا اليوم.

دوى صوت مادلين من مكتبها، ليُسكتنا، وهو يستدعي مساعدتها الشخصية. أخذَت تحوم عند مدخل المكتب وسلمتها بطاقتها الائتمانية وقائمة تعليمات. تريد استلام بعض الملابس من التنظيف الجاف، فأخبرتها برقم التعريف الشخصي وكل شيء آخر تحتاج إلى معرفته. طريقتها في الحديث إلى الناس تُغضبني كثيرًا.

كنتُ أفكر في رسالة إدوارد ونحن نتحدَّث في اجتماع الإعداد الصباحي. فكرتُ فيها ونحن في الاستوديو، وفي أثناء المقابلات، وفترة المداخلات الهاتفية. لم أسمع أي شيء قاله أي شخص طيلة الصباح تقريبًا. ينبغي لي أن أشعر بالذنب، لكنني لم أشعر. لم يقترب مني بول منذ شهور وأنا لم أفعل شيئًا خاطئًا. نحن نتعامل بود فقط، هذا كل ما في الأمر. إنها مجرَّد ذكرى من زمان ومكان آخرين. لا يُمكن للذكريات أن تُؤذي أحدًا، إلا إذا شاركناها.

سابقًا

السبت، 7 ديسمبر، 1991

مذكراتي العزيزة،

أتَت تايلور إلى منزلنا البارحة. خشيتُ هذه الزيارة. توجَّب على أبي العمل لوقت متأخر مجددًا، لذا كان عليَّ أن أقلق من إحراج أمي فقط. أخذتنا من المدرسة في سيارتنا المحطمة الفورد اسكورت، وهي عبارة عن علبة معدنية على أربع عجلات. عائلة تايلور لديها سيارة ڤولڤو، وأخرى رينو 5. تأكَّدَت أمي أن كلتينا ترتدي حزام الأمان -وهي لا تهتم بهذا عادةً- ثم أعطت كل واحدة منَّا علبة عصير «ريبينا» ونحن في طريقنا إلى المنزل. لا تفعل هذا عادةً أيضًا. نستغرق خمس دقائق فقط لنصل من المدرسة إلى المنزل بالسيارة، لذا ليس كأننا سنموت من الظمأ. ظننتُ أن السيارة لن تدور، لكن مع المحاولة الثالثة، سعَل المحرك مرات كافية ليجعلها تنطلق وسخرتْ أمي من الأمر كما تفعل دائمًا. هذا محرج للغاية.

لا نتحدث كثيرًا حقًّا في السيارة. ظلت أمي تنظر إليَّ في المرآة الأمامية وتسألني أنا وتايلور أسئلة غبية مثل «كيف كان يومكما؟» بصوت غنائي سخيف. قلت ما أقوله دائمًا عندما تطرح هذا السؤال، **كان جيدًا**، لكن استرسلتْ تايلور في ذكر تفاصيل أكثر بكثير وأخبرتها

عن اللوحات التي نعمل عليها في حصة الرسم. أزعَجَني هذا لأنني كنتُ أرسم صورة لجدتي، وأردتُها أن تكون مفاجأة.

عندما وصلنا إلى المنزل، راقَبتُ وجه تايلور لأرى رد فعلها. أول ما تلاحظه بشأن منزل جدتي هو الدهان. أحبَّت جدتي اللون الأزرق حقًّا. هناك باب أمامي أزرق، ونوافذ ومرأب، وكلها دهانها يتقشَّر، مثل أنفي عندما تحترق من الشمس. أمد له يد العون أحيانًا، فأنا أحب ملمس الدهان تحت أظفاري. هناك ستائر شبكية اعتادت أن تكون بيضاء عند كل نافذة، وممر سيارات أسمنتي دائمًا ما تتوسَّطه بركة من الزيت. ظلَّ وجه تايلور على حاله، حتى عندما ترجَّلت من السيارة من ناحيتي لأن بابها مكسور ويُعلِّق أحيانًا.

عندما دلفنا إلى المنزل أخيرًا، أخبرتني أمي أن أُري تايلور غرفتي، لذا فعلتُ. لم يطُل الأمر، فليس هناك الكثير لرؤيته. أخبرتُها أنها كانت غرفة جدتي وأنها ماتت هنا. ظننتُ الأمر سيفزعها، لكن هذا لم يحدث. ظلَّ وجهها على حاله. لم نُجدد ديكور المنزل، لذا غرفتي ما زال عليها ورق جدران جدتي الأزرق المقلَّم ذو الزهور البيضاء، وهناك سجادة زرقاء صارت مسطَّحة بالكامل من السير عليها لسنوات. سريران منفصلان مُتطابقان يتشابهان مع خزانة الملابس، وطاولة الزينة، كلها من الخشب البُني الداكن، وتفوح منها رائحة «السيد شين»[1]. الأمر أشبه بالعيش في متحف، لكن مسموح لي بلمس الأشياء. قالت تايلور أنها تروقها غرفتي، لكني أظنها تتصرف على نحو مهذَّب فحسب. هذا هو طبعها. أخبرتني أن سجادة غرفة نومها وردية، واتفقت كلتانا أنها قد تكون أسوأ حتى من الأزرق.

---

(1) نوع من المنظفات الأمريكية. (المترجمة)

سارت إلى أرفف كتبي، وشعرتُ بعدم ارتياح حقًّا. قلتُ إننا ربما ينبغي لنا العودة للأسفل لنرى أي طيبات في الميكروويف تُخطط أمي لتسميمنا بها، لكنها وقفَت هناك كأنها لم تسمعني. لا يروقني حقًّا لمس الناس لأغراضي، لكني حاولتُ الحفاظ على هدوئي. اتَّضح أن تايلور تقرأ كثيرًا، مثلي تمامًا. قرأتْ بعضًا من الكتب نفسها وتحدَّثتْ عن أخرى لم أسمع بها حتى، لكنها بدت رائعة. عندما نادتنا أمي من الأسفل لتناول العشاء، شعرتُ بانزعاج شديد في الواقع، ولكننا بعدها واصلنا حديثنا عن الكتب طوال طريق نزولنا على الدرج وفي أثناء تناولنا لأصابع السمك ورقائق البطاطس. كنا لا نزال نتحدَّث عن الكتب عندما أعطت أمي كلًّا منَّا وعاءً من الآيس كريم. مغطًّى بصلصة الشوكولاتة السحرية، التي تخرج من الزجاجة سائلة تمامًا، ولكنها تجفُّ بعدها لتتصلَّب، مثل الدم.

وبعد العشاء، قالت أمي أننا نستطيع مشاهدة التلفزيون الكبير، لكنَّنا صعدنا إلى غرفتي وتحدثنا بدلًا من هذا. عندما صعدَتْ أمي إلى غرفتي وقالت إنه وقتُ رحيل تايلور، حزنتُ وسألتها إن كانت تستطيع البقاء أكثر قليلًا. رفعتْ أمي حاجبَيها غير المرئيَّين بتلك الطريقة السخيفة التي ترفعهما بها. لا تملك حاجبَين مثلي لأنها نتفتهما في صباها، لذا ترسمهما الآن بالقلم وتبدو كالمهرِّج. سألت تايلور إن كانت تودُّ المبيت هنا، وقالت تايلور أنها تودُّ هذا، قبل أن أجد فرصة لقول أي شيء. لذا اتصلَت أمي بوالدة تايلور التي وافقَت أيضًا لأننا كنا يوم الجمعة. لدينا ثلاث غرف نوم في منزلنا فقط ولم تكن أيٌّ منها شاغرة. اعتاد والداي تشارك غرفة النوم في المنزل القديم، لكن لكلٍّ منهما غرفته الآن. تقول أمي إن هذا بسبب شخير أبي، لكني أعلم حقًّا أن هذا لأنهما لم يَعُد كلٌّ منهما يحبُّ الآخر. أنا لستُ غبية. نامت تايلور معي في

الغرفة، على فراش جدي القديم... لا أظنه كان سيُمانع. حالما أوينا إلى الفراش، جاءت أمي وقالت إن علينا إطفاء المصابيح خلال عشر دقائق. ثم وضعَت زجاجتَي ماء بلاستيكيتَين على طاولتَي السرير. وهذا أيضًا شيء لا تفعله أمي أبدًا في العادة، بدا أنها مُهتمة للغاية بعطشي فجأةً. وقفتْ عند الباب قبل أن تغادر وابتسمتْ لكلتينا وقالت أغرب شيء: «انظرا إليكما أنتما الاثنين، تبدوان كحبَّتَي بازلاء في قرن واحد».

ثم أطفأت الضوء الأساسي وشرعَت في غلق الباب، حتى شعرتُ بالهلع وطلبتُ منها ألا تفعل. فسندته بسنَّادة باب جدتي ليظل مفتوحًا. حالما عادت إلى الطابق الأرضي، اعتذرتُ لتايلور لأنها تتصرَّف بغرابة قليلًا، ولأنني لم أعلم ما قصدَته بتعليق «حبَّتَي بازلاء في قرن واحد». ضحكَت تايلور وقالت إنها سمعت هذا التعبير من قبل. قالت إنها عنت أننا مُتشابهتان للغاية فحسب. أنا لم أرَ البازلاء في أي شيء قط عدا حقيبة بلاستيكية داخل البراد.

لم نُطفئ المصابيح بعد عشر دقائق مثلما قالت أمي، بل تحدثنا لوقت أطول بكثير من هذا. تحدثتْ تايلور بعينين مغمضتَين، ثم غطتْ في سبات عميق فحسب. لا أظنها نامت لأنني مملة. رغم أننا أطفأنا كل شيء، ثمة ضوء كافٍ من القمر الذي اختلَس النظر عبر شقوق الستارة فرأيت وجهها وهي نائمة. لم أكن متأكدة مما عنته أمي في البداية، أنا أقصر قليلًا من تايلور، وهي نحيلة للغاية، لكنها بدت مثلي قليلًا حسبما أفترض. كلتانا لديها شعر بني طويل.

توجد ثلاثة أشياء علمتُ أنني أحبها في تايلور:

1. أنها مُضحكة للغاية حقًّا.
2. أنها تحب الكتب مثلي.

3. أن عيد ميلادها هو يوم عيد ميلادي نفسه بالضبط.

وُلدنا في المستشفى نفسه، واليوم نفسه، بفارق بضع ساعات فقط. لو كنتُ وُلدت لعائلة تايلور بدلًا من عائلتي، لصارت حياتي أفضل بكثير. فبادئ ذي بدء، كانا ليَصحباني من المدرسة في سيارة ڤولڤو كما أنَّ أجداد تايلور لا يزالون أحياء. ولكن وقتها لن تكون جدتي هي جدتي، وسيكون ذلك محزنًا. شاهدتُ تايلور وهي نائمة لساعة تقريبًا. كان الأمر أشبه بمُشاهدة نسخة أخرى مني. لقد حصلتُ على صديقة. حاولتُ ألا أفعل ذلك، لكن ربما سيكون الأمر على ما يرام لأنَّنا كحبتَي بازلاء في قرن واحد.

الآن

الثلاثاء، 29 ديسمبر 2016

أحدهم كان في غرفتي. أصغى إلى الرسائل على هاتفي، وحذَفها، ثم أخبرني أن وجودي في المستشفى كان خطئي. هذا لم يكن حلمًا. لا أستطيع النوم الآن، فأنا خائفة للغاية. خائفة مما أعلمه، وخائفة مما لا أعلمه. لستُ مُتأكدة كم من الوقت مر بعد زيارته، لكنه لم يَعُد على الأقل. امتد الوقت إلى شيء لم يَعُد بوسعي تمييزه. أتمنى لو يملأ شخص الفجوات، ثمة الكثير منها، كأنني حبيسة داخل جسد شخص عاش حياة لا أتذكَّرها.

- وها هي نهاية مُثيرة للاهتمام لجولاتنا الصباحية. مَن يمكنه أن يُحدثني عن هذه الحالة؟

سمعتُهم وهم يتجمَّعون عند نهاية السرير. جوقة أطباء تبدو أصواتهم كلها مُتشابهة لي. أريد أن أخبرهم أن يخرجوا.

أصلِحوني أو ارحلوا فحسب.

أُجبرتُ على الإصغاء إليهم وهم يتحدَّثون عني كأنني لستُ هنا. تناوبوا ليشاركوا مدى ضآلة معرفتهم عما أصابني ومتى سأستيقظ. يجب أن أقول بنفسي **متى**، ففكرة أنها **إن استيقظَت** ليست خيارًا

أنوي وضعه في الاعتبار. حالما نفدت منهم الإجابات الخاطئة، أخلوا الغرفة.

لا بد أنني نمتُ لأن والديَّ صارا هنا مجددًا. جلس كلٌّ منهما على جانب من الفراش، لم يُصدرا صوتًا تقريبًا، كأن ما من أحد هنا على الإطلاق. أتمنى لو يقولان شيئًا، أي شيء، لكن بدا أنهما حريصان أكثر أن يكونا هادئين قدر استطاعتهما بدلًا من هذا، كأنهما لا يريدان إيقاظي. جلستْ أمي على مقربة شديدة من الفراش لدرجة تجعلني أستطيع شم رائحة مرطب جسمها، وأعادت الرائحة إليَّ ذكرى ذهابنا إلى مُنتجع صحي بمنطقة البحيرات.

حجزتها كلير كإجازة فتيات لثلاثتنا وبحلول وقت ذهابنا، كان حملها بالتوءمين جليًّا تمامًا. تغير جسدها كثيرًا عن جسدي، صارت ضخمة ومُرهقة وقضت أغلب العطلة الأسبوعية في غرفتها، مما عنى أن أتدبَّر أنا وأمي أمرنا من دونها. في آخر يوم بالرحلة، عندما توقَّف المطر أخيرًا، وغربت الشمس التي لم نرَها قط، نزلتُ أنا وأمي إلى المطعم لتناول العشاء.

جلسنا على طاولة صغيرة، تطلُّ على بحيرة «ويندرمير» الشاسعة. أتذكَّر أنني نظرتُ إلى الخارج لأرى أول النجوم البازغة في سماء الليل فوق الماء المتموِّج، وكم ظننتها جميلة. قلت لأمي أن تلقي نظرة، كان الضوء مثاليًّا تمامًا. التفتَتْ لتنظر نظرة جانبية خاطفة، ثم عادَت باهتمامها إلى قائمة النبيذ دون أن تنطِق ببنت شفة. أصبحتْ كلير الغراء الذي لصقنا معًا بمرور السنين، من دونها، لم نملك خيارًا إلا أن نتفكَّك. قالت أمي إنها لا تهتمُّ بما سنَشربه ما دام مشروبًا كحوليًّا، ومررت القائمة لي. طلبتُ أول زجاجة نبيذ أحمر وجدتْها عيناي في القائمة، شعرتُ أنني أنا نفسي بحاجة إلى شراب.

بلغنا نصف الزجاجة قبل أن تصلَ إلينا المُقبلات. شربتْ أمي النبيذ بسرعة وجاريتُ وتيرتها، إذ لم يبدُ أن هناك الكثير لنفعله. جفَّ حديثنا تقريبًا ليلة وصولنا، لذا صارت بئر الكلمات فارغة الآن. وغيَّر النبيذ هذا.

قالت أمي: «كيف تشعُرين؟ أقصد تجاه كلير، وطفليها. هل أنتِ على ما يرام؟» تعثَّرت كلمات أمي وخرجَت على نحو أخرق. إن كانت تُحاول إظهار اهتمامها، فلا يزال الأمر يبدو كلكمة في معدتي، أرادت أحفادًا، هذا ليس سرًّا، كنتُ مُخيبة للآمال مجددًا.

عندما تواعدتُ أنا وبول في البداية، كان ديڤيد وكلير قد أجريا تلقيحًا صناعيًّا بالفعل. كم من المدهش حقًّا ما يمكن لتلك الكلمتَين أن تفعلا في زواج. وما يُمكنهما أن تفعلا بإنسان أسوأ بكثير. لقد غيَّرتا كلير، إذ كانت عاجزة عن امتلاك شيء تريده بشدة.

كان بول مُستميتًا للحصول على أطفال أيضًا، علم الجميع هذا، لكني لم أستطع التوقف عن أخذ أقراص منع الحمل حتى تُكوِّن كلير عائلتها. لم أستطع فعل هذا بها. أختي أصغر مني لكنها دائمًا ما سبقتني بخطوة: حصلت على حبيب أولًا، تزوجت أولًا، حملت أولًا، دائمًا ما تفوز في سباق غير مُعلن. هذا ما نحن عليه فحسب، هذا ما كنَّا دائمًا عليه.

نجحتْ معهما محاولة التلقيح الصناعي الثالثة. أصبحت كلير حُبلى وتوقفتُ عن أخذ أقراص منع الحمل، ظنًّا مني أن محاولتنا دون مضايقة أي أحد ستكون آمنة لنا. لم يخطر ببالي قط أننا قد نواجه مشكلات في الحمل أيضًا. أجرينا فحوصات، الكثير منها، لكنهم لم يجدوا أي خطب بأيٍّ منَّا. ظنَّ أحد الأطباء أنها قد تكون مسألة چينية، لكني علمتُ أنها ليست كذلك. ثمة شيء معطوب داخلي، أنا متأكدة تمامًا أن هذا... عقابي على شيء حدث قبل وقت طويل.

ظللنا نحاول، شهرًا تلو الآخر. أصبحت علاقتنا الحميمية واجبًا مُجدوَلًا. أراد بول الطفلَ الذي انتظره، الطفل الذي وعدتُه به، لكن كان من الواضح أنه لم يَعُد يُريدني. نحن لم نَعُد نُحاول بعد الآن، لم نعد نفعل أي شيء. فقدتُ اهتمامي بالأمر، وفقد بول اهتمامه بي. التزمَ النصَّ، قال إننا ما دُمنا معًا فهذا كل ما نحتاجه. لكننا لم نعد معًا، وهذه هي المشكلة. ظنَّ أنه كان عليَّ التوقف عن تناول أقراص منع الحمل في وقتٍ أبكر، وأننا أوقفناها بعد فوات الأوان. لم يَقُل هذا قط، لكنني أعلم أنه يلومني. أراد عائلة أكثر من أي رجل آخر قابلته في حياتي، وجلستُ أنا في الصف الأول لأرى حزنه يتحوَّل إلى شيء مظلم على هيئة استياء.

لم تعلم أمي أيًّا من هذا قط. ظنَّت أنني أؤجل تكوين عائلة لأنني أصبُّ جام تركيزي على مسيرتي المهنية. أتذكَّر تحديقها إليَّ تلك الليلة، في انتظار إجابة لم أعلم كيف أنطق بها، وأنا مشغولة بمَلءِ الفراغات في الوقت الحالي.

قلت في النهاية: «أنا بخير، أنا سعيدة لها». اختياري لتلك الكلمات المُنتقاة بعناية، جعلها تبدو خاطئة. فارغة وخاطئة. أفترض هذا لأنني أُخذتُ على حين غرة. أفضِّل أن أكون مستعدة عندما يتعلَّق الأمر بالمحادثات الصعبة. أحب أن أُدوِّرها في عقلي سلفًا، أضع في اعتباري كل السطور المُحتملة التي قد تُقال وأسمع الإجابات التي سأعطيها، حتى تصير مصقولة ومحفوظة عن ظهر قلب. المران لا يجعلُني مثالية، لكن يميل الناس إلى تصديقي أكثر عندما أتمرن.

تحدثنا عن كلير لبعض الوقت. واصلتْ أمي الحديث عن مدى نجاحِها في التعامل مع الحمل، وكم ستُصبح أمًّا رائعة. كل إطراء لكلير كان الغرض منه إهانتي أيضًا، لكني لم أخالفها الرأي. علمتُ أن كلير خُلقت لتكون أمًّا، دائمًا تحمي مَن تُحبهم بجنون. ومع كل رشفة نبيذ،

بدا الحديث الذي انسكب من فمِ أمي أكثر خطورة. هناك دائمًا لحظة ما قبل وقوع الحادثة، عندما تعلم أنك ستتأذى، لكن ما من شيء يمكنك فعله لحماية نفسك. يمكنك رفع ذراعيك أمام وجهك، يمكنك إغماض عينيك، يمكنك الصراخ، لكنك تعلم أن هذا لن يُغير ما سيحدث. عرفتُ ما سيحدث في تلك الليلة، لكن لم أحاول في أيِّ وقت أن أضغط المكابح حتى. إن كنتُ قد فعلتُ شيئًا، فإنني ضغطتُ دواسة الوقود.

سألتها: «هل سبق أن تساءلتِ لمَ ليس لديَّ أبناء؟» خرجت الكلمات. وُلدتْ في العالم لأن أختي لم تكن هناك لتسمعها. أجابت أمي بسرعة أكبر من اللازم: «ليسَت كل النساء مؤهلات أن يكنَّ أمهات».

أخذتْ أمي رشفة من النبيذ، وأخذتُ نفسًا عميقًا، لكنها قالت قبل أن أستطيع صياغة كلماتي في الترتيب الصحيح: «الأمر هو أنكِ لتكُوني أمًّا صالحة، يجب أن تُعطي أطفالكِ الأولوية. دائمًا ما كنتِ أنانية للغاية يا آمبر، حتى في طفولتكِ. أنا لست مُتأكدة إن كانت الأمومة ستُناسبكِ، لذا ربما ما يقولونه صحيح».

جُرحت مشاعري، انقطعتْ أنفاسي للحظة لتفسح المجال لكل الأفكار التي تناحرت بحثًا عن مكان بالداخل.

انبغى لي أن أتراجع، أحمي نفسي من أيِّ ضرر إضافي، لكنني دعوتُها لضربي مرة أخرى بدلًا من هذا وسألتها: «ماذا يقولون؟».

- إن كل شيء يحدث لسبب.

أنهتْ قدحها وسكبتْ لنفسها كأسًا أخرى. أتذكَّر أن قلبي خفق بصوت عالٍ للغاية داخل صدري لدرجة أنني ظننتُ المطعم بأكمله قادرًا على سماعه حتمًا. نظرتُ إلى البحيرة في الخارج وصببتُ جام تركيزي على عدم البكاء، في حين ظلت كلماتها تجوب رأسي. لم يكن الصمت الذي أعقب هذا مريحًا إطلاقًا، لذا قررتْ أمي مَلْأَهُ بمزيد من الكلمات

التي كان يُفضل عدم البوح بها وقالت: «كل ما في الأمر، أنني أظننا مُتشابهتَين أكثر مما تُدركين، أنتِ وأنا. لم أرغب في أطفال قط أيضًا». كانت مخطئة. ومن تلك اللحظة، أردتُ أن أُرزق بطفل مثل بول تقريبًا، لأثبتُ لها أنها مخطئة فحسب.

سألتها: «لم ترغبي بي؟» ظننتها ستشرح حتمًا أن هذا ليس ما قصدتْه، لكنها قالت: «لا، لم أشعر بالأمومة قط على الإطلاق. في الحقيقة، كنتِ مجرَّد غلطة. انجرفت أنا وأبوك ذات ليلة، ثم أصبحتُ حبلى، بتلك البساطة. لم أرد أن أحمل، وبالتأكيد لم أرغب بطفل».

- لكنكِ أحببتني عندما وُلدت، أليس كذلك؟

ضحكت، ثم أجابت: «لا، بغضتكِ! شعرتُ كأن حياتي انتهت، وكأنكِ أفسدتِ كل شيء لأننا أسرفنا في الشرب، ولم نكن حذرين! اعتنَت أمي بكِ في الأسابيع القليلة الأولى، لم أرغب حتى في النظر إليكِ وقلق الجميع أنني قد... ليس كأنني كنتُ قد أوذيكِ بالطبع».

جرحتني كثيرًا دون أن تعلم حتى، ثم تابعت: «لكن صارت الأمور أسهل كلما كبرتِ. لقد كبرت بسرعة هائلة، دائمًا ما سبقتِ سنكِ، حتى وقتها. بدأتِ المشي والتحدُّث قبل الأطفال الآخرين في مثل عمركِ، ثم أصبح وجودكِ، حسنًا، أصبح أمرًا طبيعيًّا، كأنكِ كنتِ معنا دائمًا».

- وماذا عن كلير؟

- حسنًا، كان الأمر مختلفًا مع كلير طبعًا.

طبعًا.

سمعتُ صوت كلير، في الوقت المناسب تمامًا، وعدتُ إلى الحاضر، في سرير المستشفى، حيث لا أحرز تقدمًا. المفارقة لم تفُتْني، أنا أجلس

مرة أخرى مع أمي بانتظار كلير لإصلاحنا، لتعليمنا كيف يكون بعضنا مع بعضٍ وتمنعُنا من التفكُّك.

قالت كلير: «ها أنتِ ذي». أتخيَّلهما تتعانقان، يتهلَّل وجه أمي من رؤية طفلتها المفضلة، وهي تدلف إلى الغرفة بخفة، بشعرها الأشقر الطويل وملابسها الأنيقة، لا شك في هذا. جلستْ كلير وأخذتْ إحدى يديَّ في يدها وقالت: «انظري إلى هاتَين اليدَين، تبدوان مثل يدَيْ أمي بالضبط لكن من دون تجاعيد». أتخيلهما تبتسمُ كلٌّ منهما بدفء للأخرى عبر الفراش. أنا أبدو حقًّا مثل أمي، هذا صحيح. لديَّ اليدان والقدمان نفسهما، الشعر نفسه، العينان نفسهما.

أردفت كلير: «في حال كان بإمكانكِ سماعي، أحتاج إخباركِ شيئًا، أتمنَّى لو لم يتوجَّب عليَّ هذا، لكن يجب أن تعلمي أنه كان ليأتي لو يستطيع». أشعر كأنني أحبس أنفاسي، لكن ظلَّت الآلة تضخ الأكسجين إلى رئتيَّ، وهي تتابع: «لم يعتقد بول أن الشرطة ستتركه وشأنه وكان محقًّا. يقولون إن بصماته كانت البصمات الأخرى الوحيدة داخل السيارة ويبدو أنهم مُتأكِّدون تمامًا أنكِ لم تكوني تقودين السيارة. ثم هناك الكدمات، والعلامات على رقبتكِ. قال جاركِ إنه سمعكما يصرُخُ كلٌّ منكما على الآخر في الشارع. أعلم أن بول لم يفعل هذا بكِ، لكن من المُهم أن تستيقظي الآن أكثر من أي وقتٍ مضى». ضغطَت على يدي لدرجة أنها آلمتني. أستطيع أن أشعر بدثار من الظلام يلتفُّ حول عنقي وذقني ووجهي. سأنام، لا يُمكنني مقاومته أكثر من هذا، لكن يجب أن أصمد. بدَت آخر كلماتها بعيدة ومشوشة، لكنني أسمعها:

«قُبض على بول».

سابقًا

الأربعاء، 21 ديسمبر 2016 – مساءً

سرتُ إلى بداية شارعنا، وأنا مفتونة بغيوم الأنفاس الساخنة الصغيرة القادمة مِن فمي، وأدركتُ أنني أبتسِم لنفسي. ارتسمَت ابتسامة صغيرة للغاية على وجهي الآن، لذا أعدتُ ضبط تعابير وجهي في الحال. السماء من فوقي تَنطفِئ ببطء في حين ومضَت أنوار الشارع لتعود إلى الحياة وتُريني طريقي إلى المنزل. أغلقتُ البوابة خلفي، في أثناء ما تحوَّلت أصابعي الباردة في يدي الأخرى إلى النظام التلقائي لتبحث عن المفتاح داخل حقيبة يدي. عندما صارت دافئة بما يكفي لتشعر بما تبحث عنه، دلفتُ إلى المنزل. يُمكنني سماع شيء. تعثرتُ عبر الممر الصغير دون أن أغلق الباب، وصلتُ إلى الصالة ورأيتُ بول ممددًا على الأريكة يُحدِّق إلى التليفزيون. عاد الزوج المفقود. رفع نظره للحظة قبل أن يعود به إلى الشاشة وقال: «عدتِ مبكرًا اليوم».

هذا كل شيء. لم أره أو أسمع منه لأكثر من أربعٍ وعشرين ساعة، وهذا كل ما لديه ليقوله. طويتُ ذراعيَّ دون أن أقصد، مثل الزوجة النمطية الغاضبة التي أصبحتُ عليها.

سألته: «أين كنت؟». ارتجفَ صوتي قليلًا فأنا لستُ واثقة حتى إن كنتُ أريد معرفة الإجابة حقًّا.

أنا أستشيط غضبًا، ورغم هذا أشعر بارتياح كبير لرؤيته بخير في الوقت نفسه. أجابني: «في منزل أمي، وكأنكِ تهتمين».

- ما الذي تتحدَّث عنه؟ قلقتُ بشدة. كان بإمكانك أن تتصل.

- نسيتُ هاتفي، والشبكة في منزل أمي سيئة للغاية على أي حال. كنتِ لتعلمين هذا لو كلفتِ نفسكِ عناء المجيء معي عندما أزورها. تركتُ لكِ ملحوظة واتصلتُ على الخط الأرضي. ظننتكِ قد تبذُلين جهدًا وتأتين معي بسبب الظروف.

أصررتُ على كلامي قائلةً: «أنت لم تتَّصل، ولا توجد ملحوظة».

فأجاب بول وعيناه مُثبَّتتان على عينيَّ: «تركتُ لكِ الملحوظة في المطبخ». سرتُ إلى المطبخ، وبكل تأكيد، كانت توجد ملحوظة على المنضدة. انتزعتُ القصاصة وقرَّبتها مني بما يكفي لأقرأها:

لقد سقطت أمي، سأذهب لأتأكَّد أنها بخير، قد يتوجَّب عليَّ أخذها إلى قسم الحوادث والطوارئ.

قُبلاتي ب.

حاولتُ أن أعود بتفكيري إلى الليلة الماضية، أعددتُ وجبة لكلينا. توجب عليَّ إعادة ترتيب خزانة التبريد. قضيتُ وقتًا طويلًا في المطبخ، ولا أتذكَّر رؤية هذه الملحوظة. وقف بول عند الباب فقلت: «لم تكن هنا. أنت وضعتها هنا الآن فحسب».

- ما الذي تقولينه هذا؟

- النور في السقيفة كان مُشتعلًا. ظننتك تكتب، وأنا طهيتُ لنا وجبة.

- هكذا إذن.

تبعتُ نظراته إلى أرجاء المطبخ، كل شيء حيث تركته الليلة الماضية بالضبط، الأواني والمقالي لا تزال ملآنة بالطعام فوق الفرن. زجاجة النبيذ الأبيض الفارغة. كل شيء في حالة فوضى، لا أصدق أنني تركتُ المكان في مثل تلك الحالة.

قال بول من عند عتبة الباب وأنا أواصل تفقُّد الفوضى: «أنتِ لم تسألي عن حالها حتى». بدأتْ كومة من قشر البطاطس تتحوَّل إلى اللون البني على لوح التقطيع الخشبي، كانت لحمًا أكثر منها قشرًا لأنني استخدمتُ سكينًا للتقشير. لا يُمكنني تحمل رؤية المطبخ بهذا المنظر، لذا شرعتُ في ترتيبه وهو يُواصل حديثه معي، ويقول: «أيُمكننا ألا نتشاجر لو سمحتِ، لقد مررتُ بوقت عصيب». أنا لا أريد الشجار أيضًا. ظلَّت الكلمات تتساقط من شفتَيه وأنا أُنظِّف، أنا لا أصدق أيًّا منها. لا يُمكنني تحمل الأوساخ والأكاذيب، أريدها أن تتوقَّف كلها فقط. لا أذكر متى أصبحت الأمور بهذا السوء، أعلم فقط أنها كذلك.

تابع قائلًا: «لقد كسرَتْ وركها يا آمبر، اتَّصلت بي، وهي ممدَّدة على أرض مطبخها، تركتُ كل شيء وذهبتُ». فتحتُ الفرن لأجد سيقان الضأن التي كنتُ أطهوها قد صارت جافة وذابلة إلى أبعد حد، وهو يُردف: «كنتِ لتفعلي الشيء ذاته إن كانت والدتكِ». لم أكن لأفعل الشيء ذاته مع أمي لأنها لن تتَّصل بي أبدًا في موقف كهذا، كانت ستتَّصل بكلير.

قلت وأنا ألقي العظام المكسوة باللحم في سلَّة المهملات، وأدير وجهي له: «إذن لماذا سيارتك في منزل كلير؟».

فقال من دون تردُّد: «ماذا؟ لأن صلاحية شهادة مُعاينة السيارة انتهت. لا يُمكنني إعادة التأمين على هذا الشيء حتى أتدبَّر تلك المسألة، لذا قال ديف أنه سيُلقي نظرة عليها من أجلي».

ديڤيد، وليس ديف، هي لا تحب هذا.

لديه إجابة لكل شيء وتبدو كل قطع اللغز في مكانها المناسب. بدأتُ أشعر بالحمق، ولان قلبي إثر ذلك فتمتمتُ وأنا لست متأكدة إن كان هذا واجبًا عليَّ: «أنا آسفة».

- وأنا آسف أيضًا.

- هل ستكون والدتك بخير؟

تركنا المطبخ القذر خلفنا وجلسنا وتحدثنا لبعض الوقت. ألعب دور الزوجة المهتمَّة التي يحتاجني أن أكونها ويُخبرني كم كان ابنًا رائعًا، مما بدا أنه سلَّط الضوء فقط على إخفاقاته كزوج. ما من وقتٍ أمامي للتدرب على عباراتي، لذلك أُجبرت على الارتجال. إنه ليس أداءً يستحق الفوز بجوائز، ولكنه يكفي لإرضاء جمهور مكون مِن فرد واحد. لم أكن مُغرمة بوالدة بول قط، فهي تعيش بمفردها في منزل قديم من طابق واحد في مهبِّ التيارات الهوائية بالقرب من ساحل منطقة «نورفولك». أنا أكره هذا المكان ولم أزُره سوى بضع مرات فقط. دائمًا ما أخذتُ عنها انطباع بأنها ترى ما داخلي مباشرةً ولا تحبُّ ما تراه.

تحدث بول عن ليلته في المُستشفى، وأنا أصغيتُ لأعثر على أي ثغرات في قصته، لكن لم أجد. شاهدتُ فمه وهو يُشكِّل كلماته وأرغب أن تكون أعلى من التعليق المُتواصل داخل رأسي. أريد أن أصدِّقه، أريد هذا حقًّا. هاتفي المحمول على طاولة القهوة ويُمكنني أن أرى وجود مكالمة فائتة... ربما اتَّصل بي بول ليُخبرني عن مكانه وأنا لم ألاحظ فقط.

سألتُه: «أترغب في بعض النبيذ؟».

أومأ بول، التقطتُ الهاتف وأنا متَّجهة إلى المطبخ وأصغيتُ إلى الرسالة، لكن لم يكن صوت زوجي الذي سمعته.

سابقًا

السبت، 14 ديسمبر 1991

مذكراتي العزيزة،

بقيتُ في منزل تايلور الليلة الماضية، ولم أرغب في الرحيل. تعيش في أروع منزل ولديها أطيب والدَين. وُلدت في هذا المنزل، ولم ينتقلا قط، ليس مثلنا. هناك علامات على الباب حتى لتُظهر كم كان طول تايلور في كل عام منذ أن وُلدتْ. خزانة التبريد هي خزانة كبيرة حقًّا للطعام فقط. يحتاجون إلى واحدة لأنهم يملكون الكثير من الطعام ولا يحتاج أيٌّ منها أن يصل إلى درجة التجميد. أريد منزل بخزانة تبريد أيضًا عندما أكبر.

قالت تايلور إن والدَيها غريبا الأطوار مثل والديَّ بالضبط، لكن هذا ليس صحيحًا إطلاقًا. والدتها لطيفة معي حقًّا، ووالدها لم يتعيَّن عليه العمل لوقت مُتأخر. عندما عاد إلى المنزل، تناولنا جميعًا العشاء على الطاولة، وكان لذيذًا. كان لازانيا أعدَّتها والدة تايلور بنفسها، في الفرن، وليس في الميكروويف، ومن الصفر. لم يتشاجر والداها ولا مرة وكان والدها مُضحكًا للغاية حقًّا، ويُلقي نكات سخيفة طيلة الوقت. أدارت تايلور مُقلتَيها، ربما سمعتها كلها من قبل، لكنني ضحكتُ.

وبعد العشاء، قالا إننا نستطيع إمَّا قضاء الوقت في غرفة تايلور وإمَّا مشاهدة فيلم معهما. لديهم أكبر تلفزيون رأيته على الإطلاق. أظنُّ تايلور أرادتنا أن نصعد إلى غرفتها، لكنني قلتُ إنني أودُّ مشاهدة الفيلم. صنعتْ والدتها الفشار وأطفأ والدها كل الأنوار، بحيث يكون الشيء الوحيد الذي نستطيع رؤيته هو أنوار شجرة عيد الميلاد والوهج المُنبعِث من التلفزيون. شعرتُ كأنني داخل الصور. جلس والداها على الأريكة وتشاركتُ أنا وتايلور كيس وسادة قماشية عملاقة على الأرض، كما لو كنَّا عائلة حقيقية. لم أُولِّ اهتمامًا كبيرًا للفيلم، ظللتُ أنظر إلى جميع أرجاء الغرفة. كان كل شيء مثاليًّا تمامًا، أتمنى لو كنتُ أعيش هناك.

غلب تايلور النوم بحلول وقت انتهاء الفيلم، لذا ظننتُ أنني ينبغي لي أن أتظاهَر بالنوم أيضًا. حملتْها والدتها وخامرني القليل من الخوف في البداية عندما حملني والدها بين ذراعَيه، لكنهما صعدا بنا الدرج بعدها كأننا لا نزال طفلتَين رضيعتَين ووضعانا في الفراش. تملك تايلور فراشًا واحدًا في غرفتها، لذا تشاركناه. فاحت من الأغطية رائحة جميلة للغاية، مثل المروج. كانت تايلور نائمة حقًّا، لكني لم أستطع النوم، كانت أفضل ليلة في حياتي كلها، ولم أُرِدها أن تنتهي. رفعتُ بصري إلى سقف غرفتها، ورأيتُ مئات النجوم. أعلم أنها لم تكن سوى مُلصقات تُنير في الظلام، لكنها لا تزال جميلة. رفعتُ يدي ووجدتُ أنني إن رفعتُ إصبعي في المكان الصحيح وضيَّقتُ عينيَّ، سيبدو الأمر كأنني استطعتُ لمسها.

حتى عندما سمعتُ والدَي تايلور يأويان إلى الفراش، ظللتُ لا أستطيع النوم، كانت الأفكار نشطة للغاية داخل رأسي. نهضتُ لأذهب إلى الحمام، وعندما وصلتُ هناك، لاحظتُ ثلاث فرشات أسنان في

الكوب. كنتُ قد سألتُ تايلور عنها سلفًا، وشرحتْ لي أن فرشاة أسنانها هي الحمراء، وفرشاة والدها الزرقاء، وفرشاة والدتها الصفراء. قالت إنهم دائمًا ما امتلكُوا الألوان ذاتها. ثم قالت إنني ربما يُمكنني الحصول على فرشاة خضراء ووقتها أستطيع أن أكون فردًا من جماعتهم. لكن أنا لا أريد واحدة خضراء. أريد أن أكون صاحبة الفرشاة الحمراء.

تسللتُ لأعود إلى غرفة النوم حيث ما زالت تايلور نائمة. ثم اقترفتُ شيئًا سيئًا. أنا لم أقصد، لكن حدث الأمر بطريقة ما. سرتُ إلى طاولة الزينة والتقطتُ صندوق جواهرها. طلبتْ مني ألا ألمسه في وقت سابق، مما جعلني أرغب حقًّا في لمسه. فتحتُه ببطء، وشاهدتُ راقصة بالية ضئيلة تدور داخله. كان ينبغي أن ترقص على شيء ما، لكن أحدهم عطَّل الموسيقى. شاهدتُ الدمية الصغيرة، وهي تدور وتدور، راقصةً في صمت بابتسامة صغيرة بألوان الفراولة مرسومة على محياها. ثمة سوار ذهبي داخل الصندوق. قرَّبته مني حتى أستطيع رؤيته جيدًا، ولاحظتُ أنه يحمل نقشًا بتاريخ ميلاد تايلور، وكان يمكن أن يكون لي، إنه عيد ميلادي أيضًا. وعلى الجانب الآخر، كُتبت عبارة «ابنتي العزيزة» في حروف صغيرة مُتشابكة. لم أقصد أن آخذه، أردتُ فقط أن أرى ملمسه، سوف أعيده.

عدتُ إلى الفراش بعدها، والتويتُ بجسدي حتى يكون وجهي أمام وجه تايلور مباشرةً، وكان أنفانا مُتلامسَين تقريبًا. رغم أنها كانت نائمة، فإنها بدت مُبتسمة، هذا غالبًا لأنها محظوظة للغاية. أراهن أن حتى أحلامها أفضل من أحلامي.

ثمة ثلاثة أشياء تملكها تايلور ولا أملكها أنا:

1. والدان رائعان.

2. منزل جميل.

3. نجوم خاصة بها وحدها.

أنا سعيدة لأنني أنا وتايلور صديقتان الآن. سأعيد إليها السوار، أعد أنني سأفعل. وأتمنى ألا ننتقل من منزلنا أبدًا، لأنني سأفتقدها حقًّا. أتمنى لو أعيش في منزل تفوح داخله رائحة الفشار وسقفه زاخر بالنجوم.

الآن

الخميس، 29 ديسمبر 2016

عائلتي ليست كالعائلات الأخرى. أظنني عرفتُ هذا منذ طفولتي. دائمًا ما تنميتُ لو يحبني والداي مثلما يحب الآباء الآخرون أطفالهم. دون قيد أو شرط. لم تكن الأمور مثالية قبل أن تأتي أمي بكلير من المستشفى، لكنها كانت أفضل مما أصبحتْ عليه. ما من أحد كان بجانبي وقتها، وما من أحد بجانبي الآن.

بول لم يَعُد، في كل مرة يُفتح الباب، آمل أن يكون هو، لكن لم يزُرني منذ جولات الصباح إلا مَن يتقاضون رواتبهم لقاء هذا. يتحدثون إليَّ، لكنهم لا يخبرونني ما أحتاج إلى معرفته. من الصعب أن تمنح شخصًا ما إجابات وأنت لا تعرف الأسئلة حسبما أفترض. إن كانوا ألقوا القبض على بول حقًّا، فأنا بحاجة إلى الاستيقاظ أكثر من أي وقت مضى. يجب أن أتذكَّر ما حدث.

تتسم جولات المساء بالقِصر، لم أعد عامل الجذب الرئيسي. أصبحتُ خبرًا قديمًا الآن. لقد جاء شخص محطم أكثر مني. حتى الأناس الصالحون يسأمون من محاولة إصلاح ما لا يمكن إصلاحه. كانت ممرضة الأربعين في اليوم تتحدث عن إجازتها القادمة مع إحدى الممرضات الأخريات في وقت سابق من اليوم. ستذهب إلى روما مع رجل قابلته على الإنترنت

وتبدو أسعد من المعتاد، وألطف قليلًا. أتساءل ما هو اسمها الحقيقي: كارلا، ربما؟ يبدو من صوتها أنها قد تكون كارلا. هي ليست مُمرضتي المفضلة، لكنني ما زلتُ سأفتقدها في أثناء غيابها، أصبحت جزءًا من روتيني الآن وأنا لم أُغرم بالتغيير قط.

في عالمي الجديد، أنا مُعتمدة على أغراب تمامًا: يُغسلونني، يغيرون لي ثيابي، يُطعمونني عبر أنبوب في معدتي. يجمعون بولي في حقيبة، ويمسحون برازي. يفعلون كل تلك الأشياء ليعتنوا بي، لكني لا أزال باردة، جائعة، ظمآنة، خائفة. يُمكنني شم رائحة العشاء في الجناح خارج غرفتي. أشعر باللعاب يتجمَّع داخل فمي ترقبًا لشيء لن يأتي. يشق طريقه لينزلق ويدور ويصل إلى نهاية الأنبوب في حلقي، في حين تَنفخ الآلة التي تتنفَّس نيابةً عني كأنها سئمتْ من الأمر برمته. قد أضحي بأي شيء لأذوق الطعام مرة أخرى، لأستمتِع بملمسه على لساني، لأمضغه وأبتلع حرارته في بطني. أحاول ألا أفكِّر في كل الأشياء التي أفتقد تناولها وشربها والقيام بها. أحاول ألا أفكر في أي شيء على الإطلاق.

سمعتُ أحدهم يدلف إلى الغرفة؛ رجل على ما أظن، بناءً على رائحة جسده الخافتة فقط. أيًّا مَن كان، فهو لم يتحدَّث، ولا يُمكنني تخمين ما يفعله. شعرتُ بأصابع تلمس وجهي دون سابق إنذار، ثم فتح أحدهم عيني اليمنى وسلَّط عليها نورًا ساطعًا. أعماني الضوء الأبيض حتى ترك جفني يُغمض مجددًا. وبينما بدأتُ أهدأ، فعل الشيء نفسه مع عيني اليسرى، وأشعر أنني أكثر تشوشًا حتى من ذي قبل. وأيًّا مَن كان هذا، فقد رحل بعدها بوقت قصير، وأنا سعيدة بهذا. لم أفكر قط أن الاستلقاء في الفراش قد يكون غير مُريح لهذه الدرجة. كنتُ على جانبي الأيمن لأكثر من ستة آلاف ثانية، أخطأتُ العدَّ بعدها. ينبغي لهم أن يقلبوني

قريبًا. ما من شيء جيد يحدث عندما يتركونني مُستلقية على جانبي الأيمن، أظنه قد يكون منحوسًا.

أشعر بشيء يتقطَّر على وجهي، شيء بارد. ثم حدث هذا مجددًا. قطرات ماء صغيرة، تهبط على وجهي. كأنها مطر، لكن هذا ليس منطقيًّا بالمرة. فتحتُ عينيَّ بصورة غريزية ورأيتُ سماء الليل من فوقي. كأن السقف رُفع بالكامل وصار المطر يَهطُل داخل غرفتي. يمكنني فتح عينيَّ، لكني لا أستطيع الحركة. خفضتُ بصري لأرى فراش المستشفى تحوَّل إلى قارب يطفو فوق أمواج لطيفة. قلتُ لنفسي ألَّا أخاف، هذا حلم، مثل الأحلام الأخرى بالضبط. هطل المطر بغزارة أكثر وبدأتُ أشعر أن الأغطية الموضوعة على أطرافي المرتخية بدأت تصير رطبة باردة. شرع الجسد، الذي انفصلتُ عنه في الارتجاف. ثمة ما يتحرك تحت الأغطية، ليس أنا. خرجت الفتاة ذات الرداء الوردي من تحت الأغطية عند نهاية السرير، وجلست هناك وحدها حتى تكون كلٌّ منَّا انعكاسًا للأخرى. تقطَّر الماء من شعرها المُبلَّل بالفعل ولا تزال بلا وجه. لا يُمكنها التحدث، لكن ليس عليها هذا، فالصمت لغتنا المشتركة. هي مَن اختارتها، وأنا أتقبَّل اختيارها. أشارت إلى السماء السوداء ورأيتُ النجوم، المئات منها، قريبة للغاية لدرجة أنني أستطيع مدَّ يدي ولمسها، لو كنتُ أستطيع الحركة. لكنها ليست حقيقية. إنها مُلصَقات مضيئة متنوعة، بدأتْ تتقشَّر وتسقط على الفراش، زوايا مُدبَّبة من البلاستيك الأبيض بدأت حوافها تَلتف. ثمَّة ثقوب على هيئة نجوم في السماء الآن. بدأت الصغيرة تُغني وأتمنَّى لو لم تفعل.

جدف، جدف برفق، داخل الماء الدافق.

أخرجتْ يدَيها من تحت الأغطية ورأيتُ لمحة من شيء ذهبي في معصمها.

بنغم، بنغم، بنغم.

أمسكتْ بجانبي الفراش، الذي تحوَّل إلى قارب، وبدأتْ تتأرجَح من جانبٍ إلى آخر. حاولتُ إخبارها ألَّا تفعل، لكني لا أستطيع التحدُّث.

فالحياة مجرَّد حلم.

أغمضتُ عينيَّ قبل أن تقلبنا في الماء تمامًا. الماء بارد ومُظلم. لا يُمكنني السباحة لأنني لا أستطيع الحركة، لذا ظللتُ أغرق بعجز في الظلام مثل حجر بلون اللحم. ما زلتُ أسمع صوتها المشوش تحت الأمواج:

فالحياة مجرَّد حلم.

هناك صوت صفير عالٍ والكثير من الضوضاء المصحوبة بصوت ماء، لكنَّني لم أعد تحت الماء. هناك أصوات بشرية أُميِّزها ووجوه لا أميزها.

عيناي مفتوحتان.

أستطيع أن أرى الأطباء والممرضات يثيرون جلبة من حولي.

هذا حقيقي.

ثم صمتَت كل الأصوات، عدا واحد قال: «ڤي إف[1]، تحتاج صدمة كهربائية».

هذان ليسا حرفَي اسمي الأولين.

- ارجعوا للخلف.

اختفَتِ الوجوه، وكل ما يُمكنني رؤيته هو السقف الأبيض.

كل شيء أبيض.

(1) اختصار Ventricular fibrillation وهو الرجفان البطيني. (المترجمة)

أغمضتُ عينيَّ، لأنني خائفة مما قد ترياه.

ثم سمعتُ صوت أبي عند نهاية الفراش، وهو يقول: «تماسَكي يا فستقة». كأنني أسمع شبحًا.

فتحتُ عينيَّ مجددًا وابتسم لي، أدركتُ أنني يُمكنني رؤيته حقًّا. يبدو لي مسنًّا للغاية الآن، ضعيفًا للغاية، متعبًا للغاية. كل شيء آخر أبيض، أنا وأبي فحسب، وأشعر بدموع بدأتْ تُذرف على وجنتيَّ.

قال: «أنا آسف بشأن ما حدث». أردتُ أن أقول له لا بأس، لكنني ما زلتُ لا أستطيع التحدث. أردتُ أن أمسك يده لمرة أخرى، لكنني ما زلتُ لا أستطيع الحركة.

ثم أردف: «لو كان لديَّ أي فكرة أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي نتحدَّث فيها، لم أكن لأقول أبدًا تلك الأشياء. أنا لم أعنِها. أنا أُحبكِ، كلانا يحبكِ. دائمًا ما كنَّا نحبكِ. الحياة مجرد حلم».

استدار ليُغادر، ولم ينظر خلفه. أنا هي مجددًا، تلك الفتاة الصغيرة التي تُحاول بيأس أن تجاري خطوات والدها. إنه أبطأ مما اعتاد أن يكون في السابق، لكنه لا يزال يتركني خلفه.

سابقًا

الخميس، 22 ديسمبر 2016 - صباحًا

تقول مادلين: «وإن كنت انضممت لتوِّك إلينا في «قهوة الصباح»، فمرحبًا بك، كنَّا نتحدث حتى الآن بصدق وصراحة عن الخيانة الزوجية. سنتناقَش هنا في الاستوديو عن السبب الذي يجعل بعض النساء يشعرن أنهنَّ لا يمكنهن التغافل عن شريك الحياة الخائن، بينما يختار البعض الآخر أن ينسى ويسامح. سنتحدث أيضًا عن السيدات الخائنات. ينضم إليَّ الآن آمبر التي تقول إنك لا يمكن أن تعرف أي إنسان حق معرفة، ولا سيما نفسك. أخبرينا أكثر يا آمبر».

قالت مادلين هذا قبل أن تُدير عينيها وتتفقَّد نصها لترى ما القادم في الحلقة. رفعتْ نظرها إليَّ بعدها وسألتني: «حسنًا؟ ماذا لديك لتقوليه لنفسكِ؟» تغيَّر صوتها مع كل كلمة، كأن بطارياتها تنفد. ثم تقيَّأتْ على المكتب كله في الاستوديو. رفعَت بصرها ومسحتْ فمها وتابعتْ: «آمبر؟» ليخرج صوت بول من فم مادلين الآن.

- آمبر؟

جلستُ في الفراش، ثم قال بول: «راودكِ كابوس».

رمشتُ في الظلام. جلدي مُغطًّى بالعرق ولا أشعر أنني بخير، لكنه قال: «أنتِ بخير الآن».

لكني لستُ كذلك. رفعتُ اللحاف عني وركضتُ إلى الحمام. قبضتُ على منشفة الحمام بيد، ورفعتُ شعري عن وجهي باليد الأخرى. لم يستمرَّ الأمر طويلًا. سمعتُ بول ينهض عن السرير فأغلقتُ باب الحمام.

سأل من الجانب الآخر لحدود خشب الباب الصنوبري: «هل أنتِ بخير؟».

- سأكون بخير. الجو بارد، عُد إلى الفراش، سأخرج قريبًا.

أنا أكذب. لم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن يعود للفراش دون اعتراض.

سحبتُ سيفون المرحاض، ثم غسلتُ وجهي وشاهدتُ نفسي وأنا أُفرِّش أسناني في المرآة. حدَّقت إليَّ امرأة مجنونة لذا نظرتُ إلى الأرض بدلًا من ذلك. بصقتُ معجون الأسنان، القليل من اللون الأحمر الممزوج باللون الأبيض، ثم مسحتُ فمي. التقتُ سبابتي بإبهامي وارتفَعَت يداي إلى وجهي. نتفتُ الشعر من كل حاجب تباعًا ونثرتُ القليل من الشعر في الحوض. لا أتوقف إلا عندما أستطيع عد عشر شعرات سُود صغيرة مني على الخزف الأبيض. يجب أن تكون عشرًا دائمًا. عندما مرَّ وقت كافٍ، فتحتُ الصنبور البارد واستحممتُ.

فتحتُ الباب بهدوء قدر استطاعتي وتفقدتُ بول. عاد للنوم بالفعل، وهرب شخير لطيف من فمه المفتوح. أخذتُ رداء نومي من على ظهر باب غرفة النوم، وتسلَّلتُ بطول بسطة الدرج إلى مكتبي الصغير. كل شيء نظيف ومرتَّب، مثلما تركته بالضبط. أخرجتُ قفازيَّ الأبيضيْن وقلمي الحبر، وحدَّقتُ إلى الورقة البيضاء. أنا أكثر إرهاقًا من أن أفكِّر فيما أكتب، ثم تذكَّرتُ الأستاذة ماكدونالد مُعلمة المدرسة وقاعدة الأشياء الثلاثة خاصتها. جاءتني الكلمات وابتسمتُ لنفسي:

عزيزتي مادلين،

أتمنَّى أن تكوني مُستمتعة بخطاباتي حتى الآن.

أعلم كم تحبِّين قراءة خطابات مُعجبيكِ.

أنا لستُ من مُعجبيكِ.

ثمة ثلاثة أشياء ينبغي لكِ أن تعلميها عني:

1. *أعلم أنكِ لستِ كما تتظاهرين.*
2. *أعلم ما فعلتِه وما لم تفعليه.*
3. *إن لم تفعَلي ما أطلبه منكِ، سأُخبر الجميع مَن أنتِ حقًّا.*

سأستمر في الكتابة حتى تفهمي الرسالة. الحبر لا يدُوم للأبد بالطبع، لذا لنتمنَّى ألا نضطرَّ أن نراسل بعضنا بعضًا أكثر من اللازم. إن نفد الحبر، سأضطر أن أجد طريقة أخرى لأجعلكِ تصغين للكلام.

- ما الذي تفعلينه؟ لماذا لم تعُودي إلى الفراش؟ وما أمر قفازات الساحر تلك؟

أخذ بول يُمعن النظر حول باب المكتب بقميصه قصير الأكمام وسراويله الداخلية القصيرة. لقد أمسك بي فتلعثمتُ قائلةً: «لم أستطع النوم. ظننتُ أنني قد أبدأ العمل على كروت مُعايدة الكريسماس في وقتٍ متأخِّر، لكنَّ يديَّ شعرتا بالبرد».

توجَّه إليَّ بنظرة غريبة وقال: «حسنًا، راسلتني أمي للتو، تظنُّ أن الأطباء يُحاولون قتلها. سيتوجَّب عليَّ العودة إلى هناك».

لم أظنَّها تعلم كيف تراسل هاتفيًّا.

- الآن؟

- أجل، الآن، إنها تحتاجني.

فاقترحتُ: «سآتي معك».

- لا، لا بأس. أعلم كم أنتِ قلقة بشأن عملكِ في الوقت الحالي. أنا لن أغيب طويلًا.

وغادر من الباب قبل أن أمتلك وقتًا للرد. سمعتُ الدش يُفتح، والسخَّان يُقرقر عائدًا للحياة. هو ليس في عجلة كبيرة من أمره إذن. طويتُ خطابي، ووضعتُه في الظرف الأحمر، ثم أعدتُ القفازين الأبيضيْن إلى الدرج. مررتُ بجانب الحمام، الباب موارب قليلًا والبخار يتصاعَد إلى الخارج بالفعل في محاولة للهرب. اختلستُ النظر عبر الغيوم الرطبة ورأيتُ زوجي، في أثناء الاستحمام. مرَّ وقت طويل منذ أن رأيته هكذا، ويُخامرني مزيج غريب من الرفض والراحة. تحركتُ نحو فراشنا بسرعة، وأخذتُ هاتفه من المنضدة الجانبية بجوار الفراش: 06:55، لم أدرك كم كان الوقت متأخرًا، شعرتُ كأننا في منتصَف الليل. كتبتُ رمز بول السري على هاتفه. أتذكَّر المرة الأولى التي حاولتُ فيها تخمينه قبل بضعة أشهر، كتبتُ تاريخ زواجنا، وتاريخ ميلادي، ثم كتبتُ تاريخ ميلاده في النهاية. بالطبع كل شيء يدور حوله. فتحتُ رسائله النصية. آخر واحدة قبل أكثر من أربعٍ وعشرين ساعة، مني. ما من رسائل من والدته. سمعتُ الماء يتوقف، تركتُ الهاتف مكانه وعدتُ إلى الفراش لأقابل الحائط. أصغيتُ له وهو يجفف نفسه، ويرتدي ملابسه، ويرش

نفسه بمزيل العرق، ثم يربط حزامه ويعيد مَلء جيوب بنطاله الچينز بالفكة.

سألته: «كيف ستذهب هناك؟ بالقطار؟».

- لا، بالسيارة أسرع.

- ظننتُ السيارة تحتاج شهادة مُعاينتها، أليس كذلك؟

- يقول ديڤ إنها جاهزة الآن. سآخُذها من الفناء الأمامي فحسب. لديَّ المفتاح الاحتياطي.

- هل راسلك أيضًا؟

- لا، اتَّصل بي الليلة الماضية، لماذا؟

- ليس لسبب معين.

لديه إجابة لكل شيء.

ودَّعني بقبلة وأخبرني إنه يُحبني. قلتُ له إنني أحبه أيضًا. كلمات مبتذلة تقلصتْ وفقدتْ معناها. استلقيتُ في مكاني تمامًا لأسمع صوت زوجي وهو يُغادر ويتركني، لم يستمرَّ هذا طويلًا. عندما أُغلق الباب الأمامي، نهضتُ من الفراش وشاهدته من وراء ستارة غرفة النوم وهو يسير مُبتعدًا.

تبعتُ خطوات بول، توجهتُ إلى المطبخ وأشعلتُ الضوء. جفَّ حلقي لذا سكبتُ لنفسي كأسًا من الماء لآخذها معي إلى الأعلى. وقفتُ أمام الفرن وتأكدتُ إنه مُطفأ اثنتي عشرة مرة، وأنا أنقر بأصابع يدي اليُسرى الفارغة. لاحظتُ وميض الضوء الأحمر في جهاز الرد الآلي على الخزانة الجانبية بالصالة. الوحيدان اللذان يستخدمان الخط الأرضي هما والداي، وحتى هما لم يعودا يتصلان بهذا الرقم. لاحت سبابتي بتردُّد فوق زر التشغيل، كنتُ أكثر خوفًا من أن ألمسه تقريبًا، كأنه

سيَحرقني. ابتلعتُ شربة ماء، لأتركها تغسل خوفي، ثم ضغطتُ الزر. إنه اتصال بول قبل يومين. إذن اتصل حقًّا ليُخبرني إنه عند والدته، لا أعلم كيف فوَّتُ وميض جهاز الرد الآلي، أنا أسير من أمامه طوال الوقت. حذفتُ الرسالة، ثم توقفتُ بإصبعي فوق زر تشغيل الكل. لا ينبغي أن أحتاج إلى سماع صوته مجددًا، لكني أحتاجه. أغمضتُ عينيَّ في حين ملأ صوت أبي المألوف قلبي وأذني. **مرحبًا، إنه أنا، والدكِ، عاودي الاتصال بي عندما تصلكِ هذه الرسالة يا فستقة.** لم ينادِني هكذا قبل وقت طويل للغاية. تحرَّرت الدموع التي نجحتُ في كبحها وسقطَتْ من عينيَّ. صنعتْ طرقًا وصلت إلى نهاية وجنتي وتشبَّثت بذقني طويلًا قدر استطاعتها، قبل أن تسقط على قميصي الليلي وتشكِّل بقع حزن رطبة. حفظتُ هذه الرسالة فترةً طويلة الآن. يقول بول إنه تصرف مريض، فهو لا يفهم. من باب بعض الفضول الغريزي، رفعتُ سماعة الهاتف وضغطتُ زر **آخر رقم مُتَّصَل به.** وبعد عدة دقَّات، سمعتُ نقرة، ثم تحدثتْ رسالة مسجلة سابقًا في أذني. أغلقتُ الخط بسرعة، وحدَّقتُ إلى السماعة كأنها المُلامة. أنا لم أتصل بكلير من هذا الهاتف قط.

سابقًا

الخميس، 22 ديسمبر- 2016 صباحًا

تأخرتُ بضع دقائق على العمل. وصلَتْ مادلين بالفعل، لكن هذا لا يُهمُّ، ليس اليوم. أنا ما أزال مشوشة، كأنني ربما أحلم داخل حلم. تفقَّدتُ قاع خزانة بول بعد مغادرته. اختفت الحقيبة الوردية الجميلة ومحتوياتها المزينة بأشرطة سوداء، لقد أخذها معه. أشك أنها هدية لوالدته.

جلستُ بهدوء على مكتبي، في حين تجمُّع بقية طاقم العمل. يقول زملائي «صباح الخير» وأنا أرد عليهم بإيماءة، الأمر أشبه بالإصغاء إلى شريط عالق. لا أشعر برغبة في إجراء أي محادثات اليوم، لا لطيفة ولا غيرها، وصباحي لم يكن جيدًا على وجه التحديد. درستُ وجوه السيدات الجالسات في المكتب، حينما ظننتُ أن ما مِن أحد ينظر إليَّ. بَدَونَ كلهن ضيقات الأفق، مرهقات قليلًا، تائهات كثيرًا. مجموعة من النساء يمشين فوق الماء، يُحاولن أن يبقين طافيات في بحر غير متوقَّع. هنَّ لَسْنَ صديقاتي، ليس حقًّا، قد يدفع بعضنا بعضًا إلى الأسفل لو عنى هذا أننا لن نغرق. وأستنتج أنه ليس هناك ما يدعوني إلى القلق، لا يُمكنهن رؤية حقيقتي، لا يُمكنهن حتى رؤية أنفسهن.

خرجت مادلين من مكتبها لتَصيح في وجه أحدهم ولفتُّ انتباهها. إنها تتحدث إليهم، لكنها تُحدِّق إليَّ، واقتنعتُ للحظة أنها تعلم. ثمة مذاق مروع داخل فمي لا يُمكنني التخلص منه فحسب. ارتفع الغثيان عبر حلقي مرة أخرى، واتجهتُ إلى دورات المياه وأنا أبذل أقصى جهدي لأبدو هادئة. حالما صرتُ بالداخل، اندفعتُ داخل إحدى القمرات، وسحبتُ السيفون، ثم أملتُ رأسي فوق المرحاض في الوقت المناسب، وأنا أتمنى ألا يسمعني أحد. إنها العصارة الصفراء فقط، أنا لم أتناول أي شيء. أتساءل إن كان هذا توترًا، أم شعورًا بالذنب، أم كليهما. على أي حال، أحتاج إلى أن أصلح مظهري وبسرعة، ليس لديَّ وقت لهذا. سمعتُ صوت چو خارج الباب. تظنُّني عليَّ الذهاب بسرعة إلى الصيدلية قبل أن نُصبح على الهواء مباشرةً، فهناك واحدة ليست بعيدة عن بنايتنا. أظنُّها محقَّة. انتظرتُ لبعض الوقت حتى أتأكَّد من انتهاء كل شيء، ثم فتحتُ الباب وغسلتُ يديَّ، وأنا أشعر بالراحة لأنَّني وحدي مجددًا.

شعرتُ بتحسن كبير بعد الحلقة. لكن مادلين، لم تكن بخير على الإطلاق. كانت تتمايل ذهابًا وجيئة إلى دورات المياه طيلة الصباح، وهي مُسربلة بالعرق. تَعتقده تسمُّمًا غذائيًّا. أظنه على الأرجح مفعول الملينات التي وضعتُها في قهوتها قبل أن تُصبح على الهواء مباشرةً. تحب مادلين القهوة، تشرب الكثير منها، ولا تقول لها لا قط، ما دامت سادة. تحب أيضًا أن تقود سيارتها من وإلى العمل. تظنُّ المواصلات العامة «قذرة وملأى بالعامة المحمَّلين بالجراثيم». هي ليست في حالة تسمح لها بقيادة سيارتها إلى المنزل الآن، لذا اقترحتُ أن أقودها، مما أثار دهشتها كثيرًا ولقي موافقة ماثيو. لم أعتقدها ستُوافق في البداية، لكن بعد زيارة مُرتجلة أخرى لدورة المياه، بدا أنها اقتنعَت بالفكرة وأنا سعيدة بهذا.

حملتُ حقيبتها ونحن نُغادر المكتب لأنها «تشعر بوهن شديد» وتظاهرتُ بعدم معرفتي لسيارتها عندما وصلنا إلى موقف السيارات. فتحت السيارة الجولف ڤي دابليو، ثم مررتْ لي المفتاح، قبل أن تطوي نفسها في المقعد الخلفي كأن سيارتها تحولت إلى سيارة أجرة. صاحت لتخبرني برمزها البريدي لأكتبه في نظام الملاحة، ثم حذَّرتني أن «أقود بحذر لعين» و«احترس من الأجانب على الطريق».

نامت وأنا أقود، وقررتُ أنني أحبها أكثر بكثير وهي هكذا. مُجبرة على الصمت. السمُّ حبيس داخلها، وهي نائمة، عكس الذي يتسرَّب من شفتَيها وهي مُستيقظة.

أكره القيادة في لندن. إنها مُزدحمة وصاخبة للغاية. هناك عدد كبير من الناس على الطرق، وجميعهم في عجلة من أمرهم، رغم أن القليل منهم هم مَن لديهم مكان يحتاجون الذهاب إليه حقًّا. أصبح الوضع أفضل حالما خرجنا من وسط المدينة، وبدَت الطرق أوسع وأقل ازدحامًا.

عندما أشار نظام الملاحة أننا على بعد عشر دقائق فقط من وجهتنا، أصدرت السيارة صوت إنذار، وتوهجَتْ علامة حمراء غاضبة على لوحة القيادة.

قلت وأنا أشاهد عيني راكبتي تضيقان عبر المرآة الأمامية بعدما استيقظت مجددًا: «نفد البنزين من سيارتكِ تقريبًا».

- لا يُمكن.

- لا تقلقي، أنا متأكدة أن هناك ما يكفي لأصل بكِ إلى المنزل.

- هل أبدو قلقة؟

التقت أعيننا في المرآة مجددًا. ظللتُ أنظر إلى عينيها لأطول مدة معقولة وأنا أقود بسرعة أربعين ميلًا في الساعة، ثم عدتُ بنظري إلى الطريق من أمامي.

لم نتحدث ثانيةً بعدها، ليس قبل أن أنعطف يسارًا إلى الشارع الذي تقطن فيه. صاحت بي مجددًا وقتها لتُخبرني أين وكيف أصفُّ السيارة، لكني لم أسمعها حقًّا. كنتُ مشغولة للغاية بالتحديق إلى المنزل الذي قالت إنه منزلها، وأنا غير متأكدة مما أشعر تجاه ما أرى. أنا أعرف هذا المكان، كنتُ هنا من قبل.

سابقًا

عيد الفصح، 1992

مذكراتي العزيزة،

ذهبتْ تايلور في عطلة مع والدَيها طيلة عيد الفصح، وأنا أشعر بالبؤس. لم أرها منذ آخر يوم في المدرسة، ولن أراها مجددًا حتى الثلاثاء القادم عندما نعود إلى المدرسة. أرسلتْ لي بطاقة بريدية. اقتحمَتْ أمي غرفة نومي بابتسامة عريضة على محياها لتعطيَها لي قبل يومين. ظننت أن هذا سيجعلني سعيدة، لكنه لم يفعل. بدت تايلور مُستمتعة كثيرًا من دوني، وأنا لا أظنُّها **تفتقدني** على الإطلاق.

أنا لن أذهب في عطلة هذا العام، ليس في مكان داخل إنجلترا حتى، تقول أمي إننا لا يُمكننا تحمُّل تلك النفقات. ذكرتُ أن أبي كان يعمل كثيرًا، لذا ينبغي لنا أن يكون معنا الكثير من المال، فبكت فقط. أصبحت تبكي طوال الوقت مؤخرًا، ولم تَعُد بدينة، أتساءل إن كانت ربما أكثر حزنًا من أن تأكل. كانت حزينة للغاية في إحدى ليالي الأسبوع الماضي، لدرجة منعتها من إعداد الغداء أو العشاء. ليس مسموحًا لي أن ألمس الفرن، لذا تناولتُ رقائق البطاطس والبسكويت فقط. سألتُ أمي إن كانت لا تزال حزينة بشأن جدتي، وقالت إنها حزينة بشأن كل شيء.

قالت إنها ستأخذني إلى مدينة برينجتون مجددًا في يوم من الأسبوع القادم إن كنتُ فتاة جيدة. سألتُها أين ستأخذني إن كنتُ فتاةً سيئة، لكنها لم تضحك. ذكَّرتها أنني في العاشرة والنصف الآن، لذا أنا أكبر قليلًا من أن أركب ألعاب الأطفال، لكني لا أمانع السير بطول الرصيف البحري، وأنني أحب صوت البحر. بما أنني صرتُ أكبر الآن، بدأت أمي البحث عن وظيفة بدوامٍ جزئي، مثل والدة تايلور. لم تحصل على وظيفة حتى الآن، رغم أنها قدَّمت على الكثير منها. في كل مرة تحصل على مُقابلة عمل، ترتدي بدلتها السوداء ابنة الأعوام المئة وتضع مكياجًا مبالغًا فيه، ثم تعود إلى المنزل وتَثمل طيلة المساء. لم أكن لأعطيها وظيفة أنا أيضًا، فهي حزينة وكسولة للغاية. اضطررتُ إلى ارتداء التنورة نفسها لثلاثة أيام مُتتالية في المدرسة قبل العطلة. قالت إن هذا لا يهمُّ، وأن ما من أحد سيلاحظ، ثم رشَّت بعضًا من عطرها المقرف عليَّ حتى تفوح مني رائحتها الكريهة طوال اليوم.

أخذ غدائي المعبأ مُنعطفًا مثيرًا للاهتمام أيضًا. جزء من عمل أبي هو ملء ماكينات الحلوى في محل عمله. إحدى مزايا وظيفته هي قُدرته على إحضار صناديق من الشوكولاتة ورقائق البطاطس المجانية إلى المنزل. أحضر إلى المنزل صندوقًا داخله أربعين قطعة من شوكولاتة «الكيت كات» (KitKat) في الأسبوع الماضي. نفد الخبز منَّا قبل آخر يوم بالفصل الدراسي، لذلك أعطتني أمي قطعتي شوكولاتة «كيت كات» في غدائي المعبأ بدلًا من سندويشات رقائق البطاطس بالزبدة، وأنا لا بأس معي في ذلك. لكن بعدها لاحظتْ مُراقبة الغداء ما كنتُ أتناوله واعتقدَتْ أنني نسيتُ غدائي، رغم إخباري لها أنني لم أنسَ. أرسلتني للانضمام إلى الأطفال الذين يتناولون وجبات ساخنة، وكان ذلك رائعًا، لأنَّ هذا ما تفعله تايلور.

كانت تجلس بمفردها، كالمعتاد، لذا جلستُ إلى طاولتها. لكن حدثتْ جلبة بعدها لأن أمي لم تدفع للمدرسة ثمن وجبات الغداء الساخنة في آخر مرة اضطررتُ فيها إلى تناولها هناك على ما يبدو. شعرت الأستاذة ماكدونالد بالأسف نحوي في النهاية أو شيء من هذا القبيل، لأنها دفعَت ثمنها بنفسها وأخبرتني ألا أقلق. بحلول الوقت الذي حصلتُ فيه على وجبة السمك ورقائق البطاطس الخاصة بي، كانوا أرسلوا الجميع إلى الخارج لبدء وقت اللعب. استطعتُ أن أرى المدرسة بأكملها في الملعب وأنا أتناول غدائي. لاحظتُ مجموعة من فتيات فصلي ورأيتُ تايلور تقف وسطهن. دفعنها بينهن كأنها دمية قماشية ولم تبدُ كأنها مُستمتعة بالأمر. عندما حاولت المغادرة، أمسكن بأيدي بعضهنَّ بعضًا وسددنَ الفجوات بينهن، ليدفعنها إلى مركز دائرتهنَّ مرة أخرى. تركتُ رقائقي وقلت إنني لا أريد أي تحلية أيضًا، رغم أنني ما أزال جائعة. ركضتُ إلى الملعب، لكني لم أستطع العثور على تايلور أو أي من الفتيات الأخريات. ركضتُ إلى الساحة الرباعية حيث تجلس على الدرج بمفردها أحيانًا. لكنها لم تكن هناك أيضًا.

عدتُ إلى فصلنا، رغم أننا لا نزال وقت الاستراحة، لكنه كان فارغًا. ثم لفت انتباهي شيء، شيء في غير موضعه. سرتُ إلى حوض سمك الفصل، ونظرتُ إلى السمكة الذهبية الميتة الطافية على سطح الماء المصبوغ بالخضرة. ساعدنا أنا وتايلور في تنظيف الحوض قبل بضعة أسابيع. علَّمتنا الأستاذة ماكدونالد أن إفراغ الماء من الحوض يكون بوضعك لجزء من الخرطوم في الماء، ثم شفطه بفمك من الطرف الآخر. سيسرع الماء بالخروج من تلقاء نفسه إن فعلتها بالطريقة الصحيحة، ويُمكنك تجميعه في دلو. الأمر كله يتعلَّق بالجاذبية. مثل القمر والنجوم.

امتلأ فمي بمياه حوض الأسماك في المرة الأولى التي جرَّبتُها فيها وضحكت تايلور عليَّ. لا أعتقد أن أي شخص قد نظفه من وقتها.

علمتُ أن السمكة ماتت ولم أستطع تحديد شعوري حيال ذلك. كان لديَّ سمكة ذهبية وماتت وأنا صغيرة. سحبَتْ جدتي عليها السيفون في المرحاض وحزنتُ لهذا. لكنها كانت سمكتي، ملكي. هذه السمكة ليست ملكي، لكن بينما حاولتُ أن أجد الشعور الصحيح تجاه موت السمكة، قامت يداي بمهمتهما وفتحت غطاء الحوض. لا أعرف لماذا أردتُ حملها. كان مُبللة وزلقة وباردة. ثم أتت تايلور إلى الفصل. نظرت إلى السمكة الميتة، ثم نظرت إليَّ. أخذت السمكة من بين يديَّ، وأعادتها إلى الحوض، ثم أغلقت الغطاء. أخرجَت منديلًا من كُمها، مثل ساحر يُخرج أرنبًا من قبعة، ثم جفَّفتْ يديَّ قبل يدَيها. شعرتُ بالسعادة لأنها بخير.

في العام الماضي، حصلتُ على بيضتَين في عيد الفصح. واحدة من أمي وأبي، والأخرى من جدتي. كانت بيضة جدتي أفضل لأن بيضة الشوكولاتة كان داخلها حلوى. عددتها ووجدتها ثلاث عشرة قطعة، وأنا أتذكَّر هذا لأنه رقم يجلب الحظ والنحس في الوقت نفسه. حصلتُ على بيضة واحدة فقط هذا العام، لكن لا بأس بهذا لأنها من تايلور. لم أحضر لها أي شيء، لكنني سأفعل. قد أعطيها بعض شوكولاتة «الكيت كات»، فلدينا منها الكثير.

الآن

الخميس، 29 ديسمبر 2016

والداي مُتوفيان. لا أعلم كيف نسيتُ شيئًا كهذا، لكني نسيتُ. كانا هنا في غرفتي بالمستشفى، كانا حقيقييْن كأي شخص آخر، إلا أنهما لم يأتيا هنا على الإطلاق. يستحيل أن يكونا هنا، فقد رحلا قبل أكثر من عام الآن. العقل أداةٌ قوية، يمكنها أن تخلق عوالم كاملة، وبالطبع هو أكثر من قادر على لعب القليل من الحيل ليساعد في الحفاظ على الذات. لم نكن حتى على علاقة طيبة عندما تُوفيا. أذكر آخر كلمات قالها أبي لي... ما زلتُ أستطيع سماعه يقولها، تسجيل قاسٍ عالق في ذاكرتي:

«أصغي إليَّ يا آمبر. أي مسافة في علاقتنا أنتِ من خلقتِها. منذ أن كنتِ مراهقة وأنتِ تنسحبين إلى عالمكِ الصغير الخاص. أنتِ لم تُريدينا معكِ هناك، ولم نكن لنستطيع العثور عليكِ حتى وإن حاولنا. أعلم هذا لأننا حاولنا حقًّا لسنوات. العالم لا يدور حولكِ، إن كنتِ رُزقتِ بأطفال لكنتِ علمتِ هذا الآن».

لم يتصلا بي مجددًا بعدها، ولا اتصلتُ أنا أيضًا. كانت كلير هي مَن اتصلت بي لتخبرني أنهما توفيا. في حادث حافلة بإيطاليا. رأيتُ الحادثة على الأخبار، لكن حتى عندما تحدَّث المذيع عن السائحين البريطانيِّين اللذَين يُخشى أنهما توفيا، لم أملك أي فكرة أن الصوت

القادم من التلفزيون كان يتحدث إليَّ مباشرةً. لم نعلم ما حدث قط، ليس حقًّا. تكهنوا أن سائق الحافلة غفا وهو يقود. تناولت الأخبار الحادثة ليوم أو ما شابه، ثم نسي الجميع والديْنا مجددًا، ما عدانا نحن. حدث شيء سيئ لأحدهم في مكان آخر وأصبح الأخبار الجديدة، في حين ظللنا نحن نشاهد قصتنا وحدنا. كتبا اسم كلير في خانة أقرب الأقربين بجوازي سفرهما، وليس اسمي. حتى في الموت، فضَّلاها عني.

قامت كلير بكل شيء: رتبت عودتهما إلى إنجلترا، نظمت جنازتهما، تعاملت مع المحامي. أخليتُ أنا منزلهما، وتخلصتُ من أغراضهما، ووزعتُ أجزاء من حياتهما على أناس أخرى في أماكن أخرى. قالت كلير إنها لا يمكنها تحمل فعل هذا.

لا أزال مصدومة كم بدوَا حقيقييْن للغاية لي في المستشفى. لا بد أنني أردتُ بشدة مشاركة وحدتي مع أحد لدرجة أن عقلي اضطر أن يعيد لي والديَّ على هيئة ذكريات حية. الأموات ليسوا على مبعدة كبيرة عندما تحتاجهم حقًّا، إنهم فقط على الجانب الآخر من جدار خفي. الحزن ملكك أكثر من أي وقت مضى، وكذلك الذنب. هذا ليس شيئًا يمكنك مشاركته. تحطم قلب كلير بصدق عندما ماتا. بكت من الخارج لأسابيع، وبكيتُ أنا من الداخل للأبد. بدأتُ أشكك في كل ما يقدِّمه عقلي لي الآن، وأنا أحاول فرز ما هو حقيقي وما قد يكون حلمًا.

فُتح الباب وسحب أحدهم كرسيًّا. أمسك يدي وأعلم أنه بول من طريقة حمله لها فحسب. يداه ناعمتان تقريبًا، عدا كتلة من الجلد القاسي على وُسْطَاهُ حيث يقبض على قلمه بقوة شديدة وهو يكتب. لقد عاد. لا بد أن الشرطة أطلقت سراحه. جلسنا في صمت لوقت طويل. يمكنني الشعور به وهو يحدِّق إليَّ، لا ينطق ببنت شفة، يمسك يدي فقط. عندما أتت الممرضتان لِقلْبِي وتغيير ملابسي، انتظر في الخارج كما طلبتا منه.

وعندما غادرتا، عاد إلى هنا مجددًا. أريد أن أعلم ما الذي حدث معه، أريد أن أعلم ما قالته الشرطة، ماذا تظن أنه فعل.

أتت ممرضة لتخبره أن ساعات الزيارة انتهت. لم يعلِّق لكن لا بد أن وجهه أجابها بشيء، لأنها قالت له لا بأس أن يبقى قدر ما يريد. مهما اعتقدت الشرطة أنه فعل، فمن الواضح أن الممرضات يعتقدنه زوجًا جيدًا. جلسنا في صمت لوقت أطول، لا يمكنه العثور على الكلمات الصحيحة وكلماتي سُلبت مني.

ثم قال: «أنا آسف».

حالما تساءلتُ لماذا، شعرتُ به يتكئ فوقي وبدأ الذعر الروتيني. لا أعلم لماذا أنا خائفة، ثم عادت إليَّ تلك الذكرى الخافتة مرة أخرى، يدا رجل حول عنقي، أشعر أنني لا أستطيع التنفس رغم وجود الآلة التي تجبر دخول الأكسجين إلى رئتي. يدا بول على وجهي، وليس عنقي، لكنني لا أعلم ماذا يفعل. أريد أن أصرخ وهو يدفع شيئًا ما في أذنيَّ. انخفضت موسيقى عالمي التصويرية قليلًا ولا أنا لا يروقني هذا على الإطلاق؛ السمع هو كل ما تبقى لي.

سألت كلير: «ما الذي تفعله؟» وصُدمتُ عندما سمعتُ صوتها. لا أعلم منذ متى وهي هنا، لم أعلم أنها كانت هنا.

أجاب بول، وهو يأخذ يدي بين يديه مجددًا: «قال الطبيب أن هذا قد يساعد».

- أطلقت الشرطة سراحك؟

- هذا ما يبدو.

- هل أنت على ما يرام؟

- ماذا تظنين؟

- أظنك تبدو في حالة يرثى لها، وتدل رائحتك على أنك بحاجة إلى الاستحمام.

- شكرًا. جئت إلى هنا مباشرةً.

- حسنًا، انتهى الأمر الآن.

- لم ينتهِ، ما زالوا يظنونني ...

لكن انتهى الحديث بالنسبة لي لأنني لم أعد أستطيع سماعهما. امتلأت أذناي بالموسيقى التي نبضت ونزفت إلى جسدي، لتخفت الأحاسيس الأخرى حتى أصبحت الموسيقى كل ما أعرفه. اختفى كل شيء آخر، وكل شخص آخر، وأُخذتُ بعيدًا عن هذا المكان مع مجموعة نوتات بلغتْ ذروتها في ذكرى، هذه الأغنية التي سرتُ معها إلى نهاية ممشى العُرس عندما تزوجتُ أنا وبول. الكلمات عن محاولة إصلاح أحد تحبه، وهذا يعيدني بالزمن إلى الوراء. حتى وقتها، أراد أن يصلحني، عندما لم أعلم أنني معطوبة. وما زال يحاول.

الذكرى ممزقة قليلًا من الأطراف، لكنها شيء حقيقي، لذا أبطأتُها مباشرةً وتمسَّكتُ بها. يمكنني رؤية بول في زاوية الذكرى، وهو يمرر خاتمًا في إصبعي، ويبتسم لي ونحن سعيدان. كنا سعيدين وقتها، أتذكَّر الآن كم كانت سعادتنا. أتمنى لو نستطيع أن تكون تلك النسخة من نفسينا مجددًا. فات الأوان الآن.

كان احتفالًا صغيرًا، لم أحظَ بأصدقاء كثر قط. في الحقيقة أنا لا أحب الكثير من الناس، ليس حقًّا. جميع مَن تقابلهم معيبين حتمًا. حالما أعرف شخصًا بقدر كافٍ لرؤية كل الثغرات والعيوب، لا أريد أن أقضي وقتًا معه أكثر من هذا. أنا لا أتجنب الأشخاص المحطمين لأنني أظنني أفضل منهم، أنا لا أحب النظر إلى انعكاسي فقط. كما أنني كلما اقتربتُ من أحد تأذى في النهاية، ولهذا لم أعد أكلف نفسي عناء تكوين

صداقات جديدة أكثر من هذا. تعلمتُ أن من الأفضل أن تتمسك بما لديك فحسب.

انتهت الموسيقى، وعدتُ. تبدل بالموسيقى إيقاع جهاز التنفس الصناعي المصحوب بصوت نقرٍ أقل ألفةً. انضمَّت إلينا ممرضة. يُمكنني معرفة هذا من خشخشة مئزرتها البلاستيكية وهي تسير هونًا أمام الفراش. حققت المئزرة رغبتها، وأصبحت الغرفة صامتة. ألوِّنُ حياتي بالأصوات الآن، وليس الأرقام، أذناي المرهقتان هما ما تَحملان الفرشاة. توقَّف صوت النقر. عندما غادرت الممرضة، واصل بول وكلير محادثتهما، ولا يسعني سوى أن أتساءل عن الكلمات التي فوَّتها.

- يجب أن تكف عن لوم نفسك يا بول. لقد كانت حادثة.

- لم يكن عليَّ أن أتركها تذهب.

- يجب أن تتمالك نفسك. هي تحتاجك وأنت في حالة من الفوضى الآن. تحتاج أن تغتسل، وتحصل على قسطٍ من الراحة، وترتب أفكارك.

- ما زالوا يظنون أنني مَن كنتُ أقود السيارة، وأنني رجل يضرب زوجته، وهو ثمل، ثم ينسى الأمر. أنا لستُ هذا الشخص.

- أعلم.

- إنهم يكرهونني، ولن يَستسلموا، سيعودون، أنا أعلم هذا. أنا لن أتركها مجددًا. اذهبي أنتِ إن كنتِ تُريدين.

عندما أريدهما أن يتحدَّثا أكثر من أيِّ وقت مضى، يصمتان. أحد آخر كان يقود السيارة، أنا متأكدة، لكن ليس بول. أشعر بالارتياح لأن كلير تُصدقه أيضًا وقالت: «سأبقى لبعض الوقت، سأظلُّ برفقتك إن كان يروقك هذا».

- كما تشائين.

استقرا في الصمت. شغَّل لي بول ذكرى أخرى، أغنية وقعنا في حبها في عطلتنا الأخيرة. سمعتُ المزيد من الأغاني، ورأيتُ المزيد من الذكريات، لكن توقَّفت الموسيقى بعدها، استأنف الصمت وأصبح مطبقًا للغاية، ثم سألت كلير: «أتريد التحدُّث بشأن الطفل؟».

أي طفل؟

أجاب بول: «لا».

- هل كنت تعلم؟

يعلم ماذا؟

- قلت إنني لا أريد التحدُّث عن الأمر.

أريدهما أن يتحدثا عن الأمر.

لكنهما لم يفعلا. أخذ جهاز التنفس الصناعي ينفخ ليُردد صدى الإحباط في الغرفة. قالت كلير: «حسنًا، حسنًا، أنا عائدة إلى المنزل، لقد تأخر الوقت. يمكنني أن أقلَّك معي أو ألتقط لك بعض الملابس النظيفة وإحدى حقائب مستلزمات الحمام، إن أردت هذا أعطني مفاتيح منزلك».

لا تُعطِها المفاتيح.

- يمكن أن تُقلِّيني إلى المنزل، ثم سأعود خلال ساعتَين.

- أنت بحاجة إلى قسط من الراحة.

- يجب أن أكون مع آمبر.

- حسنًا.

قبَّلتني كلير على وجنتي ويُمكنني شم شامبو النعناع الذي تستخدمه. أتساءل كيف يبدو **شعري** بما أنه لم يُغسل لوقت طويل للغاية. قبَّلني بول أيضًا، ثم سحب السماعتَين الصغيرتين من أذنيَّ. لا أريده أن يرحل،

شعرتُ أن حالتي المزاجية تزداد ظُلمة، وهما يغلقان الباب خلفهما، ليتركاني وحيدة مع صمتي وآلاتي. سمعتُ الباب، وظننتُ أن بول غير رأيه وعاد ليبقى معي، لكنه ليس بول.

قال صوت ذكوري: «مرحبًا يا آمبر». سمعتُ قفلًا يُغلق، وأعلم أنه هو، الرجل الذي أتى سابقًا، الرجل الذي حذَف بريدي الصوتي.

- صادفت زوجكِ للتو. شاب أشعث نوعًا ما، لست متأكدًا مما ترينه فيه. سمعتُ من أحد زملائي أننا كدنا أن نفقدكِ. لكنكِ وجدتِ طريقكِ للعودة، لذا لم يُصِبكِ ضرر إذن.

زملاء.

هل يعمل هنا؟

- هل تعلمين أن أحد المُخدِّرات التي يستخدمونها لإبقاء الناس في غيبوبة هو المخدر نفسه الذي يستخدمونه في أمريكا لعقوبة الإعدام؟ ولهذا فُوجئتُ كثيرًا برؤيتكِ الليلة، لأن تلك الجرعة كان ينبغي لها أن تقتلكِ **حقًّا**. لقد أخطأتُ تقدير الجرعة كما ترين.

هذا لا يُمكن أن يكون حقيقيًّا، هذا لا يحدث، استيقظي، استيقظي!

- يقترف الجميع أخطاءً. المُهم أن يتعلموا منها. أنا سأُحسِن الاعتناء بكِ أكثر بكثير من الآن.

هذا ليس حلمًا.

- على الرحب والسعة. أعلم أنكِ كنتِ ستشكرينني لو استطعتِ.

أعرف هذا الرجل.

إنه يلمس وجهي.

أتذكَّره الآن.

انخفض على الفراش وقبَّلني، كأنه يتذوَّق جلدي. ارتعدتُ من الداخل. أزاح أنبوب التنفس جانبًا، وقبَّلني بينما وضع يده على جسدي. عندما انتهى أعادني كما وجدني. وقال قبل أن يُغادر الغرفة: «أنتِ محقة، علينا التمهل».

سابقًا

الخميس، 22 ديسمبر 2016 – مساءً

أنا لا أفعل هذا لأن بول لن يعود إلى المنزل الليلة. ولا لأن الحقيبة ذات الأشرطة السوداء اختفت، فقد يكون لهذا الأمر تفسير منطقي تمامًا. أنا أفعل هذا لأنها رغبتي ولا بأس بذلك. الكثير من الناس يُصادقون أحباءهم السابقين، وهذا لا يجب أن يعني شيئًا، وأنا لا أفعل أي شيء خاطئ. أشجع الكلمات لتتكرَّر داخل رأسي لربما أصدقها. كل خطوة أتقدمها أشعر كأنني ذاهبة بها في الاتجاه الخاطئ، لكني أواصل المسير إلى نهاية طريقي الذي اخترتُه.

مقاطعة «ساوث بانك» نابضة بالحياة مع أناس يبتسمون بعضهم لبعض. رقص نهر «التميز» تحت ضوء القمر وارتفعت البنايات بشموخ من بعيد لتتمعَّج حول شاطئي النهر. أحب المدينة ليلًا، لا يُمكنك رؤية الطين أو الحزن في الظلام.

رأيتُه في الحانة على الفور، خياله لا يزال مألوفًا على نحو غريب حتى بعد كل تلك السنوات. يدير ظهره لي، لكن يُمكنني رؤية أنه يحمل كأسًا في يده بها شراب ما بالفعل. الأوان لم يفُت بعد. يمكنني أن أستدير فقط وأخرج من الباب، وأنسى الأمر برمته كأنه لم يكن.

إنه مجرد مشروب.

بدت قدماي ذواتا الكعب العالي مُلتصقتين بالأرض حتى اندفع الغثيان خلال جسدي وصرخ بي لأركض. رأيتُ علامة نيون تُشير إلى دورات المياه وشققتُ طريقي لأدفع الثملين من وقت مبكر من المساء خوفًا مني ألا أصل في الوقت المناسب. لكن اختفى الشعور حالما أصبحتُ أمام المرحاض، ربما هذا من التوتر فحسب. غسلتُ يديَّ. لا أعلم لماذا، فهما ليستا متسختين. أخذتُ منديلًا وجفَّفتهما بعنف، انصب انتباهي فجأة على خاتم الزواج في يدي اليسرى. أخذتُ نفسًا عميقًا، وزفرتُ، ثم حدَّقتُ إلى انعكاسي في المرآة، وأنا ممتنة أن ما من أحد هنا ليرى هذه النسخة مني. بدت العينان اللتان حدَّقتا إليَّ مرهقتَين وشاردتين، ولكن الأمور مرضية بشكل عام. فستاني الأسود الجديد القصير يبدو جيدًا، ويُضفي جاذبية على جسدي المهمل، كما يمنحُني الكعبان العاليان ثقة، رغم أنهما ليسا مريحين. روضتُ شعري الكثيف البُني وطليتُ وجهي وأظفاري. لا أعرف لما الأمر مهمٌّ كثيرًا، لكني أريده أن يراني بمظهر جيد.

حاولتُ طمأنة انعكاسي بابتسامة، لكنها ردَّت عليَّ بابتسامة فاترة. أعدتُ ملامحي إلى الوضع المحايد. السكون الهادئ الذي منَحني الطمأنينة واحتضنني تحطم حالما فُتح الباب بقوة. غمرت المكان فوضى الحانة الصاخبة وسحبت الهواء من الغرفة الصغيرة. عانيتُ لأحافظ على هدوئي رغم الضوضاء وقبضتُ بيديَّ على الحوض، وخوفي يتَّجه إلى المخرج. تعثَّرَت سيدتان إلى الداخل، مُنهكتان قليلًا، تضحكان على شيء لا أتطلَّع لمعرفته. تَبدوان أصغر مني سنًّا، رغم أنني أشك أننا في السن نفسها على الأغلب. تنورتاهما قصيرتان، وشفتاهما حمراوان وذكرتني قبعتاهما الورقيتان أننا في الكريسماس. لم يَعُد يعني لي أي شيء... الكريسماس. كانت الثرثرة العالية المتسرِّبة من السيدتين

صاخبة بما يكفي لإغراق الأصوات التي في رأسي التي تُطالبني بالرحيل، لذلك أخذتُ نفسًا عميقًا واتجهتُ إلى الحانة.

وقفتُ إلى جانبه، لأتنفَّس رائحته التي بدَت مألوفة للغاية ومحرَّمة للغاية. لا يبدو أنه يلاحظ وجودي على الإطلاق.

قلتُ للنادل: «سآخُذ كأسًا من «المالبيك» لو سمحت». ومن رؤيتي الجانبية، رأيتُ رأس إدوارد يلتفِت، يستوعبني بعينيه من رأسي إلى أخمص قدميَّ، كما كان يفعل دائمًا. قلت له: «مرحبًا، يا إدوارد» ثم استدرت لأقابله. بذلتُ قصارى جهدي لأحافظ على مستوى صوتي وتعبير وجهي. ابتسم لي. غيَّرني الوقت، لكن من الواضح أنه تركه على حاله. يبدو أن مرور أكثر من عقد في الحياة عليه زاده تحسنًا فحسب. لا يسعُني سوى أن ألاحظ الجلد المسمرَّ والأسنان البيضاء والعينَين البُنيتَين الشقيتَين اللتَين بدَتا كأنهما ترقصان فرحًا، وهو يحدق إليَّ.

قال: «سأطلب هذا ونصف لتر آخر من «آمبر آل»، فأنا أحب الاسم». ثم أخرج ورقة متموجة بعشرين جنيهًا من محفظته الجلدية ووضعها على الطاولة. يبدو قميصه القطني الأبيض ضيقًا للغاية عليه إذ تمدَّد وشُد ليخفي العضلات تحته. دائمًا ما كان في صالة الألعاب الرياضية عندما كنا طلابًا، ومن الواضح أنه لا يزال يتمرَّن إلى الآن.

- إذن، لقد أتيتِ.

- أتيتُ.

شعرتُ أن نظرته قوية للغاية وعانيتُ لكيلا أشيح بنظري.

- يسرني رؤيتكِ.

ثمة شيء ما بشأن الطريقة التي نظر بها إلى عينيَّ، جعلني أنقبض قليلًا. وصل النبيذ وأنا متعطشة له.

قلت: «حسنًا، كنتُ متفرغة لساعتين هذا المساء وظننتُ أنه قد يكون من الجيد أن أعرف أخبارك».

فعلَّق، وهو يُمرر لي كأسي: «ساعتان؟ أهذا كل ما سأحصل عليه؟».

- لا، لديَّ عشر دقائق فقط لأقضيها معك، ثم لديَّ موعد آخر مع بعض الأشخاص الرائعين.

ابتسم، بعد فوات الأوان قليلًا وسألني: «**موعد** آخر؟».

احمرَّ وجهي خجلًا فقال: «فهمتُ، حسنًا، من الأفضل أن أستفيد من الوقت الذي سأقضيه معكِ إذن. نخبكِ». رفع كأسه إلى كأسي وظل ينظر إلى عينيَّ ونحن نشرب. أشحتُ بنظري أولًا، وابتلعتُ نبيذًا أكثر مما ينبغي لي. صارت الأمور أكثر أريحية بيننا بسرعة. شحذ الكحول حديثنا واسترسل كلانا دون تحفظات. كانت صحبته مجددًا هينة طبيعية، رغم السنوات المفقودة. نحن قبل الكريسماس بثلاثة أيام والحانة ملأى بشكل غير مُريح، لكني بالكاد لاحظتُ هذا. تجدد الغرباء من حولنا بانتظام، حماني من العودة إلى شخصيتي النزقة التي كنتُها معه، رددتُ ابتسامات إدوارد ومجاملاته ولمساته الخفيفة وأنا مدركة تمامًا أن الأمر سيستغرق قطعًا صغيرًا لتمزيق النسيج المفعم بالحياة الذي أرتديه الآن. بدأتُ بعد كأسين أشعر أنني ثملتُ أكثر قليلًا من القدر المعقول. أكثر قليلًا مما يبدو حكيمًا. أنا لم أتمكن من تناول الكثير من الطعام اليوم. قال كأنه يقرأ أفكاري: «لا أعلم كيف تشعرين، لكني أتضور جوعًا، هل لديكِ وقت لتناول شيء سريع؟» فكرتُ في عرضه. أنا جائعة. أستمتع بوقتي. **لا أفعل أي شيء خاطئ**. من واقع بحثي وإن كان قصيرًا، لا يمكنني العثور على سبب لأقول لا، فسألتُه: «في مكان ما بالجوار؟».

- هذا يبدو مناسبًا لي.

قالها، ثم وقف ليساعدني على ارتداء سترتي. وبعد أن عانَينا لنشق طريقنا بين الحشود، دفع الباب ليفتحه أمامي وقال: «من بعدكِ». كنتُ قد نسيتُ شعور أن أكون مع رجل نبيل، كأنني مع شخص من الماضي، ماضيَّ.

الهواء بارد لدرجة تُفيق من الثمالة، لكن يقول إدوارد إنه يعلم مكانًا ليس ببعيد. أنا قليلة الخبرة في السير بكعب عالٍ على الشوارع المرصوفة بالحصى. وفي المرة الثانية التي تعثرتُ فيها، أخذ بذراعي وتركتُه يفعل هذا وأنا مدركة أننا نبدو كزوجين حتمًا، ولا أعتقد أنني أمانع هذا. وقفنا عند بناية ما تشبه منزلًا سكنيًّا مدنيًّا، وشعرتُ بالارتباك عندما ترك ذراعي وطرق الباب الأسود المخيف.

فهمستُ له: «ماذا تفعل؟» شعرتُ كأنني طالبة بالمدرسة، قبل أن يُجيب: «أجد مكانًا نتناول فيه الطعام، إلا إذا لم تعودي جائعة بعد الآن؟».

وقبل أن أحظى بفرصة للرد، فُتح الباب الكبير اللامع وظهر عند العتبة رجل في أواسط العمر يرتدي بدلة سوداء. كان طويلًا بشكل غير مريح، كأن هناك مَن مدَّده ولديه وجه شخص تلقى الكثير من الأخبار السيئة. سأله إدوارد: «أهناك طاولة لشخصين بأي فرصة؟».

فُوجئتُ عندما أومأ الرجل وأجاب: «بالطبع، يا سيدي، تفضَّل من هنا».

أشعر كأنني أليس في بلاد العجائب وأنا أتبع الرجل ذا البدلة في ممر طويل مبلط بالرخام. نظرتُ جانبًا لأتأكد أن إدوارد لا يزال يتبعنا. يبدو راضيًا عن نفسه وأدركتُ أن هذا كله ربما كان جزءًا من خطته للمساء. أنا لا أمانع هذا، ليس كأنه أجبرني على المجيء. انعطفنا عبر باب صغير على اليمين ودلفنا إلى غرفة طعام كبيرة مُضاءة بالشموع،

حيث أرانا الرجل الطاولة الشاغرة الوحيدة المتبقية. هناك أربعة أزواج آخرين يجلسون بالفعل، ولم يرفعوا أبصارهم إلينا.

قال الرجل ذو البدلة قبل أن ينسحب بمعطفَينا عبر الممر المزين بالستائر: «سأجلب لكما قائمة النبيذ يا سيدي».

كل ما نجحتُ في قوله كان: «حسنًا، هذا باهر».

- شكرًا لك، أنا أحب هذا المكان، إنه مخصص للأعضاء فقط.

التقطت يداه السمراوان منديلًا قطنيًّا أبيض عن الطاولة من أمامه، وفرده بحذر كأنه يتعامل مع كفن تورينو[1]، قبل أن يضعه على ساقيه. فعلتُ الشيء نفسه مع منديلي، ثم تساءلتُ لما استغرق الأمر وقتًا طويلًا لإحضار قائمة النبيذ. قلقتُ أننا قد نكون استنزفنا كل سبل الأحاديث المثيرة للاهتمام من دونها.

سألتُه: «كيف تبلي في وظيفتك الجديدة؟».

- حسنًا، أبلي بلاءً حسنًا للغاية في الحقيقة. كان من المفترض أن تكون وظيفة مؤقتة، لكنهم عرضوا عليَّ منصبًا دائمًا، وقررتُ أن أبقى لفترة أطول قليلًا.

- مبارك لك، في أي مستشفى؟

- الملك ألفريد.

- إنه قريب مني.

ابتسم فاستطردتُ: «وحبيبتك، هل تعمل في لندن أيضًا؟».

---

(1) قطعة كتان يُقال إنها كانت الكساء الذي كُفن به السيد المسيح في أثناء دفنه، واحتفظوا بها منذ عام 1578 في المصلى الملكي بكاتدرائية سان چيوڤاني باتيستا في مدينة تورينو الإيطالية. (المترجمة)

- أجل، لكن في وسط المدينة، وبسبب وردياتي وجدول عملها، لا يتسنَّى لي رؤيتها قدر ما أريد. لا توجد قائمة طعام هنا، أخشى أنكِ تحصلين على ما يقدمونه لكِ، لكنه دائمًا ما يكون شهيًّا.

- وإن لم يرُقني ما قُدم لي؟

- أنا متأكد تمامًا أنه سيروقكِ.

أصغيتُ له وهو يتحدَّث عن عمله. دائمًا ما أراد أن يُصبح طبيبًا، وها هو كذلك الآن. أظن أن هذا كان أحد الأشياء التي وجدتُها جذابة للغاية بشأنه عندما التقينا أول مرة. أراد أن يساعد الناس، أراد أن يُنقذهم. لا يتحدَّث عن الأمر كثيرًا، لأنه أكثر تواضعًا من هذا، يواصل تغيير الموضوع ليُصبح عني. تبدو قصصي ضحلة وفارغة مقارنةً بقصصه. ما أفعله لا ينقذ حيوات، أنا أفعل ما أفعله لأساعد نفسي.

كانت الوجبة أشهى طعام تناولتُه من وقت طويل، لكن، حالما أعادوا ملء كأس نبيذي، لم أستطع منع نفسي من وخز هذه الأمسية المثالية فسألته: «هل تعلم حبيبتك أنك في الخارج الليلة مع حبيبتك السابقة؟».

- بالطبع! ألا يعلم زوجكِ؟

لم أقل أي شيء وضحك مني. لا يروقني هذا. أضاف بعدها: «كان هذا قبل وقت طويل، تجاوز كلانا الأمر، ونضجنا كثيرًا من وقتها». أشعر أنني حمقاء عجوز تجاوزتُ التاريخ الذي «يُفضل استخدامي قبله».

قال إنه لا يُريد تحلية، وفعلتُ مثله. وهو يتحدث، لا يسعُني سوى أن أتذكَّر الوقت الذي كنَّا فيه حبيبَين. عانى ليُبقي يدَيه بعيدتَين عني، لكن كان هذا قبل أكثر من عشر سنوات. قد يبدو على حاله، لكني تغيرتُ. رغم الملابس الجديدة والمكياچ، لا أزال نفسي العجوز ولستُ الفتاة التي يتذكَّرها.

قال: «سأُوصلكِ إلى مقاطعة وترلوو».

- لا حاجة لهذا حقًّا، أنا قادرة تمامًا على إيصال نفسي إلى هناك.

- أنا متأكِّد أنكِ قادرة على ذلك، لكني جديد هنا، ألا تتذكَّرين؟ قد أضل طريقي، لذا سأقدِّر صحبتكِ.

قدَّم لي ذراعه مع مغادرتنا للمطعم، ولم أرَ أي ضرر في تأبطه. يُمكنني الشعور بدفئه عبر معطفه ولاحظتُ الطريقة التي حدَّقت بها السيدات إليه، ونحن نتجول إلى المحطة. سرنا معًا إلى الرواق ومسحتُ مواعيد لوحات المغادرة بعينَين مُتعبتَين، وأنا حريصة ألا أفوِّت آخر قطار إلى منزلي.

- وجهتي عند الرصيف الثالث عشر. شكرًا جزيلًا لك على الأمسية الجميلة.

ثم قبَّلتُه على وجنته قبل أن يقول: «يجب أن نُكررها في وقت ما».

فأجبتُه وأنا لستُ متأكدة أنني أود هذا تمامًا: «أود هذا».

أمسك يدي وشعرتُ بعدم الارتياح على الفور فقلت وأنا أحاول إفلات أصابعي من قبضته: «يجب أن أذهب».

- لا، ليس عليكِ هذا. تعالي لنَحصُل على شراب أخير. يمكنكِ أن تستقلي القطار التالي...

- لا أستطيع حقًّا، أعتقد أن هذا قد يكون القطار الأخير.

- إذن ابقَي معي. يمكننا أن نحصل على غرفة في أحد أفضل فنادق لندن.

أحكم قبضته على يدي ورأيتُ نظرة في عينيه كنتُ حذفتُها من ذكرياتنا. سحبتُ يدي وقلتُ: «أنا مُتزوجة يا إدوارد».

- ولستِ سعيدة. لم تكوني لتأتي الليلة لو كنتِ سعيدة.

- هذا ليس صحيحًا.
- أحقًّا هذا؟ أنا أعرفكِ.
- نسختي التي عرفتها عفا عليها الزمن قبل عدة سنوات.
- أنا لا أظن هذا. أخفق كلانا في الماضي، لكن يُمكننا تجاوز هذا. أنا لم أعلم ما كان بين يديَّ وقتها، لكني أعلم الآن، وأريد أن أستعيده. أظنكِ تريدين الشيء نفسه أيضًا. ولهذا أتيتِ.
- أنا آسفة حقًّا أنني أعطيتُك الانطباع الخاطئ. يجب أن أذهب.

سرتُ مبتعدةً. لستُ بحاجة إلى النظر للوراء لأرى أنه لا يزال واقفًا هناك، أو أنني اقترفتُ خطأً فادحًا.

سابقًا

الأربعاء، 14 أكتوبر 1992

مذكراتي العزيزة،

اليوم كان عيد ميلادي. أنا في الحادية عشرة الآن. وهو يوم عيد ميلاد تايلور أيضًا، لكننا لم نقضِه معًا. كان اليوم أسوأ عيد ميلاد مرَّ عليَّ قط رسميًّا. تحطم كل شيء ولا يُمكنني التفكير في طريقة لإصلاحه. سارت الأمور على نحو خاطئ للغاية، وبسرعة بالغة، ثم ظلت تزداد سوءًا فحسب. لم تكن غلطتي، لم تكن كذلك حقًّا.

كنتُ أرتدي سوار تايلور في الفراش ليلًا، السوار الذهبي الذي حُفر عليه عيد ميلادنا. يبدو هذا سخيفًا، لكن شعرتُ أن ارتداءه يجعلها معي نوعًا ما، وهذا يسعدني. كنتُ متحمِّسة للغاية في الصباح لدرجة أنني نسيتُ خلعه قبل نزولي إلى الطابق السفلي. كان من الغباء أن أفعل هذا.

قالت أمي أن عليَّ تناول الفطور قبل أن أتمكَّن من فتح أي هدايا. تفكر في الطعام طيلة الوقت، وصارت بدينة مجددًا، بدينة للغاية هذه المرة، لدرجة أنها توجَّب عليها قص الجزء العلوي من طماقها بمقص المطبخ لأنه ضيق للغاية. رأت السوار عندما مددتُ يدي لأمسك حبوب الإفطار وكانت هادئة في البداية، فسألتْ فحسب ما كان هذا، ومِن أين حصلتُ عليه. نظرتْ إلى النقش وقرأتِ الكلمات بصوت عالٍ. **ابنتي**

العزيزة. لم أرغب بالوقوع في مشكلة يوم عيد ميلادي فقلتُ إنها هدية من والدة تايلور.

كانت مجرَّد كذبة بيضاء صغيرة ووعدتُ الرب أنه إن سامحني وجعل أمي تنسى بشأنه سأعيده إليها حتمًا في اليوم التالي، لكنه لم يستجب لي. غضبتْ أمي وجنَّ جنونها، حتى أبي الذي أخذ إجازة مرضية مجددًا، أخبرها أنها تبالغ في رد فعلها، لكن بدا أن هذا زاد من سوء الوضع فحسب. أخبرتني أن أخلعه لذا بدأتُ أتظاهر بالعبث في المشبك. ثم سارتْ مبتعدةً وظننتُ أن الأمر انتهى، لكنها التقطت الهاتف عن الجدار في نهاية المطبخ.

سكب أبي لي وعاءً من حبوب الإفطار، لكني لم أستطع تناولها، علمتُ أنها تتَّصل بوالدة تايلور، وأن هذا سيُصبح سيئًا. طقطقتْ حبوبي وانفجرتْ وأنا أشاهد أمي تتحدث بغضب. يصعب أحيانًا فهم محادثة ما عندما تستطيع سماع جانب واحد منها فقط، لكن أحيانًا يمكنك ملء الفراغات كأنك سمعت المحادثة بأكملها. قالت لوالدة تايلور إننا سنعيد الهدية. قالت أمي أنها لم تُقدِّر إنفاق والدة تايلور الكثير من المال على ابنتها أكثر مما تستطيع هي إنفاقه عليها، وأن ارتداء الطفل للجواهر يُعدُّ قرارًا يرجع لوالديه.

أنا لست طفلة.

صارت أمي هادئة بعدها. كأن المحادثة انتهت، لكنها لا تزال ترفع الهاتف إلى أذنها، في حين التف السلك الأحمر حول أصابعها بشدة. رفعتْ نظرها إليَّ بعدها، وعرفتُ أنها علمتْ بكذبتي، وأنها لا تهم إن كانت بيضاء أم لا. علَّق فمها فاغرًا كأنها تقول حرف الواو بصمت لوقت طويل للغاية. ثم قالت «وداعًا» و«آسفة»، وعلمتُ أنني في ورطة. تركت

الهاتف وأخبرتني بهدوء شديد ألا أكذب، ثم سألتني إن كنتُ سرقتُ السوار.

قلت لا.

أنا أكذب أحيانًا. يكذب الجميع أحيانًا.

أخبرتني أمي أن أخلعه. هززتُ رأسي نفيًا وبدأتْ تتقدَّم نحوي، لذا ركضتُ. تصبح أمي سريعة للغاية إن لم تكن ثملة، رغم أنها تهمل في نفسها. ربحتْ سباق الآباء مرتَين في أيام الرياضة، لكنها لم تلحق بي إلا عندما وصلنا أعلى الدرج. وضعتْ وجهها أمام وجهي مباشرةً وصاحت بي كي أتوقف عن الكذب، واستقر شيء من بصاقها عليَّ، ثم سألتني مجددًا إن كنتُ سرقتُ السوار. حالما شرعتُ بقول كلمة «لا»، صفعتْني بقوة حقًّا على وجنتي. صاحت أمي بي وصاح بأمي أبي الذي وقف عند نهاية الدرج، ثم جذبتْ معصمي ونزعت السوار.

كان من ذهب رقيق فقط، فكُسر ووقع على الأرض. كان شيء يسهل كسره. لم أقصد أن يحدث ما حدث بعدها، أردتُ فقط أن أبعدها عني وأجعلها تتوقَّف عن إفساد كل شيء، لذا دفعتُها. لم أقصد أن أجعلها تسقط من فوق الدرج، كانت حادثة.

بدا كأن كل شيء تباطأ وتغيَّرتْ عيناها من كونهما ضيقتَين وغاضبتَين إلى متسعتين عن آخرهما، وهي تسقط إلى الوراء.

استقرت عند نهاية الدرج ولم تتحرَّك، ثم صار كل شيء هادئًا. في البداية، ظننتُ حقًّا أنها قد تكون ماتت. لم أعلم ماذا أفعل ولا أظن أبي علم أيضًا لأنه وقف هناك فحسب لوقت بدا طويلًا للغاية حقًّا. ثم تأوهت وكان الأمر فظيعًا. لم يعد صوتها يبدو كصوت أمي، لكن جاء هذا الصوت منها حتمًا. بدا أبي قلقًا حقًّا وقال إنه سيتَّصل بسيارة إسعاف، لكن قالت أمي إنه سيكون أسرع له أن يقود بها السيارة إلى المستشفى.

تساءلتُ إن كانت ستدور، وتمنيتُ هذا. ساعدها أبي وظلت تتذمَّر فقط بشأن الطفلة.

أنا لست طفلة، أنا في الحادية عشرة.

لم يقولا شيئًا لي، ولا حتى وداعًا. خرجا من الباب الأمامي فحسب وقادا السيارة ليبتعدا دون أن ينظرا إلى الوراء.

التقطتُ السوار المكسور ونزلتُ الدرج. ثمة بقعة من الدم الأحمر الفاتح على السجادة حيث وقعت أمي، لا بد أنها جرحت نفسها بشدة. ذهبتُ إلى المطبخ والتقطتُ الهاتف. ضغطتُ زر إعادة الاتصال بآخر رقم، على أمل أن أتمنَّى لتايلور عيد ميلاد سعيدًا، لكن لم يُجِبني أحد. وُضعت كعكة عيد ميلادي على طبق أعلى الفرن. كانت جدتي تخبزها بنفسها، لكن اشترت أمي واحدة من المتجر فحسب. كانت وردية تعلوها راقصة مصنوعة من الثلج، ذكَّرتني بصندوق جواهر تايلور وجعلني هذا أرغب في البكاء.

اتكأتُ على أحد أزرار الموقد بالخطأ وقفزتُ للوراء فزعًا عندما رأيتُ الشرارة، لا يُفترض بي أن ألمس الفرن. هذا سخيف حقًّا، لأنَّ ناره لن تشتعل من دون أعواد ثقاب، شاهدتُ جدتي تفعل هذا مئات المرات.

ضغطتُ زر الإشعال مرارًا وتكرارًا، فقط لأن ما من أحد هنا ليُخبرني ألا أفعل.

وبحلول موعد الغداء، لم أكن تناولتُ أي إفطار بعد. أصبحتْ حبوب الإفطار أكثر تشبعًا باللبن من أن أتناولها وقتها، لكني كنتُ جائعة، لذا ذهبتُ إلى الدرج العلوي وأخرجتُ أكبر سكينة يُمكنني العثور عليها. ثم قطعتُ لنفسي قطعة كعك كبيرة حقًّا وتناولتُها بأصابعي على طاولة المطبخ. نفختُ أولًا بعينين مغمضتين وتمنيتُ أمنية رغم عدم وجود شموع. يجب أن أُبقي أمنيتي سرًّا وإلا لن تتحقق.

عندما انتهيتُ من كعكتي نظرتُ إلى كومة الهدايا الصغيرة، وقررتُ أن أمي ستغضب أكثر إن فتحتُها وهما بالخارج. فتحتُ إحدى بطاقات التهنئة، لأن خط تايلور كان على الظرف، ولم تقل الكثير:

عيد ميلاد سعيد!

مع محبتي،

تايلور

وتحت اسمها، رسمَت دائرتَين خضراوَين لهما وجهان مُبتسمان. بكيتُ وقتها حقًّا، انهمرتْ دموع كبيرة حقيقية على وجنتيَّ ولم تتوقَّف. لا أظنُّ أنه سيُسمح لنا أن نكون كحبتَي بازلاء في قرن واحد بعد الآن.

الآن

الجمعة، 30 ديسمبر 2016

قال بول: «أنتِ هنا بالفعل؟».

لتجيبه كلير: «لم أستطع النوم».

- ولا أنا.

ولا أنا، يبدو أن أرَقَنا مُعدٍ.

- سأذهب حتى تحظيا ببعض الوقت معًا.

- لا، انتظري. إن كنتِ تريدين. فأنا لا أمانع.

يبدو أن الساعات تنقضي دون أن ينبس أيٌّ منهما ببنت شفة. جاءت الممرضتان لتغيير وضعية نومي، لكن ظلت الإطلالة على حالها. أردتُ إخبارهما عن الرجل الذي يحتجزني رهينة في أثناء نومي. لستُ مُتأكِّدة إن كانا سيُصدقانني، حتى وإن كنتُ أستطيع التحدث. أتذكَّر مَن هو الآن، لكنني لا أعلم لمَ يفعل هذا بي، كل ما قلته هو لا.

جلس زوجي وأختي على جانبَي الفراش، ليُشكِّل جسدي المعطوب حاجزًا بينهما. الوقت الممتد الذي تحمَّلناه نحن الثلاثة كساه صمت الكلمات غير المعلَنة. يُمكنني الشعور بجدران منها، كل حرف، كل مقطع، يتراكم بعضها فوق بعض لتُشكِّل منزلًا غير مستقر من الأسئلة غير المُجابة. الأكاذيب تصنع الملاط الذي يمسك الجدران معًا. لو لم

يكن هناك الكثير من الأكاذيب، لكانت الجدران قد انهارت الآن. بنيْنَا لأنفسنا سجنًا بدلًا من هذا.

لم يُمسك بول بيدي اليوم، ولم يُشغِّل لي أي موسيقى. طُويت الصفحات، مضى الوقت قدمًا، تخلَّل جهاز التنفس الصناعي كل لحظة بالجهد الذي يبذله ليتنفَّس نيابةً عني، حتى صارت الغرفة زاخرةً بالصمت، على أحدنا أن ينفجر ويقولها. لا يُمكنني هذا، وهي لن تفعل، لكنه فعل وقال: «كانت فتاة».

كلمتان طعنتاني في معدتي وأحدثتا ثقبًا في الوجود الصامت الذي اعتدنا عليه.

كانت فتاة.

كنتُ حُبلى.

كانت فتاة.

ماضٍ.

كانت فتاة.

أنا لم أَعُد حبلى.

والآن بعد أن اكتملت الذكرى، أنا لا أريدها. أريد أن أعيدها مجددًا. ثمة جنين كان ينمو داخلي، لكني قتلتُه بأخطائي، والآن لا يمكنني حتى تذكُّر نوعه، أتذكَّر فقط ما فقدتُه نتيجةً لأفعالي. قالت كلير: «يمكنكما دائمًا أن تحاولا مجددًا».

لم نعد نحاول حقًّا. استسلمنا.

كانت مجرد مصادفة.

مصادفة في هيئة معجزة جميلة وخُرِّبت.

أتخيَّل كلير، وهي تُحاوط بول بذراعَيها، وتضمُّ جسدها إلى جسده لتمنحه شعورًا بالطمأنينة. حتى حزني على طفلتي التي لم تُولد بعد،

لم يَعُد حزني، فهي تأخذ هذا مني أيضًا. تُثير الفكرة موجة من الغيرة نشرت نفسها في جميع أنحاء جسدي الجامد، جاذبية عاطفية تدفعني لأسفل، إلى أسوأ نسخة مني.

كنتُ لأُبقيها.

كنّا لنُحبها.

والآن فقدتُها كما فقدنا أنفسنا.

أتت مُمرضة الشمال إلى الغرفة، تفوح منها رائحة الشاي، غير مُدركة إطلاقًا أنها تقاطع شيئًا يمكنني بالكاد فهمه. شعرتُ أن كل كرهي يتوجَّه نحوها، لكنها ظلت غافلة تنجز بعض المهام البسيطة في أرجاء الغرفة كأنَّ العالم لم ينتهِ للتو.

اخرجي واتركيني وحدي!

أشعر أنني أبتعد وأن قبضتي على الواقع ترتخي. ثمَّة شيء يُضخ داخلي، شيء لا أريده. يُمكنني الشعور به، وهو يتسلَّل تحت سطح جلدي، ليشلَّ عقلي، وينتزع الحياة مني. فكرتُ للحظة أن موتي الآن قد لا يكون أمرًا سيئًا، مُفارقتي للحياة فحسب. باختصار، لا أريد أن أستيقظ. لن يفتقدني أحد حقًّا إن رحلتُ، بل سيكونون أفضل حالًا من دوني على الأغلب. أظنُّني أبكي، لكن الممرضة تمسح وجهي بفوطة صغيرة لذا لا تلاحظ. هي ليست لطيفة مثل الآخرين. ربما يُمكنها رؤية جميع الأوساخ المختبئة تحت سطح جلدي. صفعتني الفوطة الرطبة على وجهي وفتحتُ عينيَّ.

أراهم يقفون فوقي، يرتدي جميعهم ملابس سوداء. أنا لم أَعُد على فراش المُستشفى، أنا داخل نعش مفتوح. جميعهم هناك: بول، كلير، چو، وحتى **هو**. إنه يجرف التراب فوقي، ولا أفهم لما لا يمنعونه. صار في شعري، وداخل فمي، ودخل بعضه إلى عينيَّ.

صرختُ بهم لأجعله يتوقَّف، لكنهم لم يصغوا إليَّ لأنهم لا يستطيعون سماعي.

أنا لستُ ميتة.

ابتسم لي، ثم مال للأسفل نحو النعش وهمس في أذني: «بلى، أنتِ كذلك، لكن لا تقلقي، ستكون لديكِ صحبة». حمل الفتاة الصغيرة ذات الرداء الوردي، ووضعها في نعش إلى جانبي، لفَّت ذراعها حول خصري. تحوَّل كل شيء إلى اللون الأسود مجرَّد أن بدأ النعش يهبط إلى جوف الأرض. بدأتُ أصرخ وشرعتْ في الغناء.

ليلة ساكنة، ليلة مقدسة، يعم هدوؤها، يسود بريقها.

أشارت إلى الأعلى نحو سماء دون نجوم وحدَّقت إلى القمر.

هناك حول العذراء، الأم وابنها.

عانقتني بقوة.

رضيع مقدس، وديع وحنون.

التفتَتْ ليُقابل وجهي وجهها ورفعَتْ إصبعها إلى حيث ينبغي لشفتَيها أن تكونا. ششش.

ينام في نعيم مصحوب بالسكون.

ينام في نعيم مصحوب بالسكون.

رفعَتْ يدها وسحبتْ حبلًا غير مرئي، سمعتُ صوتًا أشبه بصوت ضوء حمَّام منزلي، وهي تُطفئ نور القمر، لتغمرنا بظلام لا يرحم. ثم بدأ التراب ينهال علينا بسرعة أكبر. صرختُ بهم مجددًا ليتوقَّفوا لو كانوا يسمعونَني، لكنهم لا يسمعون. كانت الحفرة أعمق من أن أتسلَّق للصعود منها، لكن يجب أن أفعل شيئًا. خدشتُ الجدران الترابية، في محاولة مني للعثور على أيِّ شيء أتمسَّك به، نبشت أظفاري في التراب.

بدأت تمطر وانهمر الماء والتراب بقوَّة فوقي حتى استسلمتُ وتكورتُ على ذاتي. اختبأتُ داخل خوفي وجعلتُه منزلي. استقرَّت عملة معدنية بجانب قدميَّ كأني في قاع بئر حيث يتمنَّى الناس أمنيات. ولا تملك العملة وجهًا على أي جانب.

قالت الفتاة الصغيرة: «إن كنتِ تُريدين الخروج، أشيري فقط إلى المخرج». تقف الفتاة فوقي الآن، وثمة كتل من التراب الرطب في شعرها المتشابك. تبعتُ نظرتها إلى علامة مخرج الطوارئ ذات اللون الأخضر المُضيء المدفونة في الطين أسفل قدميَّ.

- أشيري فحسب عندما تريدين الخروج، هذا كل ما عليكِ فعله.

خفضتُ بصري إلى العلامة، التي غطَّى الطين نصفها بالفعل، وحاولتُ أن أشير إليها، لكني لا أستطيع تحريك يديَّ. صرختُ مجددًا عندما شعرتُ بالألم، ثم رأيتُ دمًا. تَقطَّر الدم على علامة مخرج الطوارئ بالأسفل، دم على رداء المستشفى، دم على يديَّ وأنا أضعهما بين ساقيَّ في محاولة مني أن أوقف الحياة التي تخرج مني. أغمضتُ عينيَّ وأنا أشعر بالألم وعندما فتحتُهما ورفعتُ بصري، كان الوجه الوحيد الذي ما زلتُ أستطيع رؤيته هو وجه كلير. مدت الفتاة الصغيرة يدها إلى يدي، وساعدتني على الإشارة بإصبعي إلى العلامة تحت قدميَّ. استهلك هذا كل ذرة قوة تبقَّت لديَّ.

قال صوت كلير من بعيد: «هل رأيت هذا؟» فسألها بول: «ماذا؟».

- انظر! يدها ... إنها تُشير بإصبعها.

- آمبر، هل يُمكنكِ سماعي؟

- ما الذي يعنيه هذا؟

- هذا يعني أنها لا تزال هنا.

سابقًا

الجمعة، 23 ديسمبر 2016 – صباحًا

سحبتُ سيفون المرحاض، ثم مسحتُ فمي بقطعة رفيعة من منديل مُعاد التدوير. مسحتُ شفتيَّ بقوة أكثر من اللازم، لأدعَ الحوافَّ الخشنة تُسنفر بشرتي. أخذتُ لحظة لأتنفَّس، وأنا ممتنة أن ما من أحد من زملائي رآني على هذه الحالة. هذه آخر حلقة قبل عطلة الكريسماس، سأتخطَّى يومًا آخر فحسب، ثم سنَنتهي. بضع ساعات أخرى فحسب، يُمكنني تدبر هذا. أخرجتُ حبة نعناع من حقيبة يدي، ووضعتُها في فمي. أنا متمرِّسة في إخفاء آثار الثمالة، لكن هذه ليست آثار ثمالة.

تفقدتُ دفتري وأنا في القطار هذا الصباح، ثلاثة عشر أسبوعًا، وأنا لم أُلاحظ حتى. ليس الأمر كأننا نفعل هذا كثيرًا وأنا افترضتُ أن الأمر لن يحدث أبدًا. كل ذلك الوقت الذي قضيناه في المحاولة والآن، عندما استسلمتُ، الآن أصبحتُ حُبلى. هذا ليس منطقيًّا على الإطلاق، ورغم هذا يبدو منطقيًّا نوعًا ما، وأنا متأكِّدة أنني حبلى. سأشتري اختبارًا للحمل بعد العمل، هذا ما سأفعله. أنا متأكدة مما أعرفه بالفعل، لكن يجب أن أتأكد.

لا يُمكنني سماع أي شيء، لذا سحبتُ السيفون مرة أخرى، وفتحتُ باب الحجيرة. ظننتُ أنني بمفردي، لكني مخطئة. سألتني مادلين: «ها

أنتِ ذي. هل أنتِ بخير؟» شعرتُ بوجنتيَّ تحمرَّان. أنا لم أرها هنا من قبل قطُّ، يبدو الأمر في غير محله بطريقة ما. ظننتُها لديها مرحاض تحت مكتبها أو شيء من هذا القبيل.

سألتني، وهي تُحدِّق إلى جبهتي: «ماذا فعلتِ برأسكِ؟» نظرتُ إلى المرآة ودفعتُ شعري فوق الكدمة بأصابعي، قبل أن أجيبها: «تعثرتُ في شيء ما في الصالة عندما عدتُ إلى المنزل الليلة الماضية، ليس بالشيء الجلل». هذه هي الحقيقة، ومع ذلك تترك الكلمات طعمًا بغيضًا في فمي.

- في وقت متأخر من الليل، أليس كذلك؟ أكنتِ تُغرقين أحزانكِ؟

فتحتُ الصنبور لأغسل يديَّ، ولم أرد فأردَفَتْ: «حسنًا، هذا أفضل من غثيان الصباح. لا شيء يُدمر مسيرة الفتاة المهنية أكثر من الحمل!»

لم أُبدِ أي ردة فعل، ظللتُ أغسل يدي مرارًا وتكرارًا فحسب. تبدو مختلفة، نوعًا ما، كأنها مزَّقت النص. ترتجل، وأنا لا يُمكنني مجاراتها... السطور التي تدربتُ عليها لم يَعُد لها أي معنى. أغلقتُ الصنبور وأخذتُ منشفة ورقية، ثم التفتُّ لأقابلها. أحيانًا يقول الصمت الكثير، لكن الكلمات لم تخطُر على بالي.

ثم قالت: «أنا سعيدة للغاية لأني صادفتكِ».

أريد أن أركض. قلبي يخفق بقوة شديدة الآن وأنا متأكدة أنها يمكنها سماعه.

تابعتْ كأننا صديقتان قديمتان متآمرتان معًا وأنني محلُّ ثقة: «أريد أن أعلم أن تلك المحادثة ستبقى بين حدود هذه الجدران». ما زلتُ لا أستطيع إجبار الكلمات على الخروج، لذا أومأتُ. مدَّت يدها داخل حقيبتها وأخرجتْ مجموعة من الأظرف الحمراء وقالت: «أريد أن أعلم ما تعلمينه بشأن هذه».

نظرتُ إلى الأظرُف، ثم نظرتُ إلى عينيها وسألتُها: «بطاقات مُعايدة الكريسماس؟».

- هذه ليست بطاقات معايدة الكريسماس. كما أنني متأكدة أنكِ تعلمين بوجود مَن ينشر شائعات عني على الإنترنت. تلقيتُ بعض رسائل التهديد في المكتب أيضًا وفي المنزل هذا الأسبوع. أنا مُتأكدة أن الأمرَين لهما علاقة ببعض وأريد أن أعرف إن كنتِ رأيتِ أي شيء غريب، أو أي شخص غريب يتجول في الأرجاء.

- لا، لا أعتقد ذلك.

- وأنتِ لم تفتَحي أي رسالة بغيضة؟

- لا

ابتسمتُ. لم أقصد هذا.

- هذه ليست مزحة، هذا أمر جاد. أعتقد أن أيًّا مَن كان قد كتب هذه الرسائل فهو شخص كان داخل المبنى.

وقتها أدركتُه، الشيء الذي تغيَّر بشأنها. هكذا تبدو مادلين وهي خائفة، أنا لم أرَ هذا من قبل فحسب. قالت، وهي تُمسك بأول ظرف أحمر: «وُضع آخر ظرف هذا على مكتبي ذلك الصباح، قبل وصولي».

- ماذا يقول؟

- لا يهم ما يقول.

ثمة فجوة من الكلمات التي لا نقولها.

سألتها: «هل أخبرتِ ماثيو بشأن الخطابات؟».

- لا، ليس بعد.

- حسنًا، ربما ينبغي لكِ أن تخبريه.

نظرت إليَّ من أعلى لأسفل وقالت قبل أن تغادر: «سأراكِ بالخارج».

بقيتُ لبعض الوقت وغسلتُ يديَّ مجددًا.

شاهدتُ مادلين من كثب في أثناء الحلقة. أنا أكرهها، لكنها تجيد عملها، رغم أنها لا تستحق وجودها هنا. تفحصتُ وجهها، ما زلت أبحث عن تشابه لا يُمكنني رؤيته. أومأتْ عندما استأذنتُ لأذهب سريعًا إلى دورة المياه، كأنها تفهم كيف أشعر، كأنها تهتم. هرعتُ إلى الخارج تاركةً هاتفي المحمول في الاستوديو. أتت چو لتجدَني في دورة المياه، وترى إن كنتُ بخير. جعلتني أنثر بعض الماء على وجهي وهذا ساعدني قليلًا، ثم قالت: «يجب أن تتجاوزي الحلقة فحسب، لم يتبقَّ وقت طويل الآن. أنتِ تُبلين بلاءً حسنًا للغاية، سيغدو كل شيء على ما يرام».

أتمنى لو صدَّقتها. أتمنى لو كانت الكلمات حقيقية. اتَّجهت إلى الاستوديو من دوني، لتعطيني لحظة ألتقط فيها أنفاسي. سرتُ في طريق عودتي، وتوقفتُ بسرعة عند مكتب ماثيو. يكون المكتب فارغًا عندما نكون على الهواء مباشرةً، ودائمًا ما يترك هاتفه بالخارج هنا. ليس وكأن أحد سيسرقه حسبما أفترض... فهاتفه قديم للغاية ولا يطلب كلمة مرور حتى. استغرق الأمر أقل من ثلاثين ثانية لأرسل الرسالة النصية، ثم حذفتُها من الرسائل المرسلة.

كنَّا في منتصف موضوع الكريسماس المسجل مسبقًا عندما عدتُ إلى مقعدي ... وكانت الميكروفونات مغلقة، أمامي بضع دقائق.

قالت مادلين: «أنتِ لا تبدين بخير على الإطلاق. يُمكنني إنهاء الحلقة من دونكِ».

جلستُ على مقعدي ونجحتُ في قول: «أنا بخير، شكرًا لكِ».

شاشة هاتفي لا تزال مُضاءة لتظهر الرسالة غير المقروءة التي أرسلتُها للتو من هاتف ماثيو.

حُجز العشاء لك ولي، وللمقدم الجديد الأسبوع القادم.
قبلاتي م.

نظرة واحدة لوجه مادلين أكَّدت أنها رأت الرسالة بالفعل، وتوجهتُ إليها بابتسامة اعتذار. شاهدتُ عنقها وصدرها يحمرَّان كأن الغضب يحرق جلدها.

جميع المداخلات الهاتفية كانت عن العائلات في الكريسماس. أصغيتُ بصبر لكايت من مدينة كارديف التي لا تُريد زيارة حماتها، وأنَّا من مقاطعة إيسكس، التي لم تتحدث إلى أخيها لأكثر من عام ولا تعلم أي هدية تشتريها له. كل هذا محض هراء، هراء بالكامل، كله. هؤلاء الناس ليس لديهم شيء حقيقي ليقلقوا بشأنه. هذا مُثير للشفقة. طفا الغثيان داخلي مرة أخرى عندما تحدثتْ مادلين عن أهمية المغفرة. قالت وأنا أعاني لكيلا أتقيَّأ على المكتب: «الكريسماس يدور حول وجودنا مع العائلة، أيًّا مَن كانوا». كيف لها أن تعلم؟ لم يتبقَّ لها أي عائلة.

عندما اقتربت الحلقة من نهايتها أخيرًا، كنتُ أشعر بالإنهاك، لكني أعلم أن هناك عملًا أكثر بكثير سيُنجز اليوم. هذه هي فرصتي الأخيرة، وأنا في البداية فحسب.

مادلين ليست محبة لمشاهدة التلفزيون، لكن الشيء الوحيد الذي تحبه أكثر من صوتها على الراديو، هو رؤية نفسها على شاشة التلفزيون. بما أنها الوجه الإعلامي لمنظمة «أزمات الطفولة»، يُطلب منها أن تُجري المقابلات التلفزيونية الغريبة التي تتحدَّث فيها نيابةً عن المؤسسة الخيرية، واليوم أحد تلك الأيام. حجز البرنامج الإخباري الذي اعتدتُ أن أكون مراسلته موعدًا مع مادلين ليُجري معها مقابلة في نشرة وقت الغداء، للحديث عن الأطفال الذين يُعانون الفقرَ في الكريسماس. كل ما تطلَّبه الأمر هو مكالمة هاتفية واحدة، أتظاهر فيها بأنني من

المؤسسة الخيرية، وأقترح فيها لقاءً مع متحدثتِهم الرسمية الشهيرة، ورقم هاتف مساعِدتها الشخصية إن كانوا مهتمين. وهم اعتنوا بالباقي بأنفسهم.

هناك شاحنة تحمل طبق قمر صناعي ضخم مصطفَّة في الشارع، منتظرة ومستعدة بالأسفل. عندما نظرتُ إلى الخارج عبر النافذة، استطعتُ رؤية كاميرا مثبتة على حامل ثلاثي بالفعل أمام شجرة الكريسماس المقابِلة لبنايتنا. وحالما انتهى اجتماع الإعداد، نزلنا الدرج. صاحت مادلين في أحد المهندسين سائلةً: «كم من الوقت سيستغرق الأمر؟».

أجابها چون، أحد زملائي القدامى: «ليس وقتًا طويلًا، يجب فقط أن نعثر على القمر الصناعي ونُثبِّت الميكروفون لكِ». التفَتَ ورآني أقف خلفها، فارتسمت ابتسامة عريضة على محياه وأردف: «آمبر رينولدز! كيف حالكِ؟ سمعت أنكِ تعملين هنا الآن». عانقني وفوجئت من إظهاره للمودة. أرغمتُ نفسي على الابتسام له، وحاولتُ ألا أبدو خرقاء للغاية وأنا غير قادرة على معانقته أنا أيضًا وأريده أن يتركني.

سألتُه عندما تركني أخيرًا: «أنا بخير، شكرًا، كيف حال عائلتك؟» لم يحظَ بفرصة لإجابتي إذ قالت مادلين، وهي تُحدِّق تجاهي: «لماذا أنتِ بالخارج هنا؟ لا أحد يرغب في إجراء لقاء معكِ».

- طلب مني ماثيو المجيء معكِ.
- لا عجب أنه فعل.

تلاشت ابتسامة چون. ظلَّ يعمل في هذا المجال لأكثر من ثلاثين عامًا. قابل أناسًا كثيرين على شاكلة مادلين طوال فترة عمله. يتلاشى إبهار المشاهير عندما تَحذف التواضع.

عبث چون بالميكروفون وهو يقول: «لو أستطيع فقط أن ...»، لكن يصعب العثور على مكان مُناسب بين كل ثنايات القماش الأسود الذي ترتديه ليُثبِّت المشبك ويخفي حزمة البطارية. فقدت مادلين أعصابها وقالت: «أبعد يديكَ عني، أعطيه لها، هي مَن ستثبته. اعتادت أن تعمل في التلفزيون بعد كل شيء، إنهم يتركون أي أحد يُسمِّي نفسه صحفيًّا الآن».

أومأ چون، وأدار عينَيه، وهي لا تنظر إليه، ثم أعطاني الميكروفون. قالت مادلين وهي تعبث بسماعتها حالما انتهيتُ: «ما زال يُمكنني بالكاد أن أسمع الاستوديو»، فقلت لچون: «لقد رفعتُ الصوت عن آخره». قال وهو يخلع سماعاته ويترك الكاميرا: «سأذهب وأرى إن كان يُمكنني تعديله من داخل الشاحنة، هل تمانعين؟» أستطيع رؤية سعادته بعثوره على عذر ليبتعد فأجبتُه: «إطلاقًا ... قد أفعل شيئًا مفيدًا أيضًا». استعرتُ سماعاته حتى أسمع المُعدَّ على الجانب الآخر وأشير لمادلين عندما يحين وقت حديثها. لم تَعُد منزعجة وضبطتْ نفسها بسهولة على وضع السفيرة المهتمَّة وهي تظن أن العالم يُشاهدها. تدفَّقت الإجابات من لسانها، كذبة وراء الأخرى.

قلت وأنا أخلع السماعات: «أعتقد أننا انتهَينا».

- متأكدة؟ اللقاء لم يدُم طويلًا.

- أعتقد هذا، إنهم يتحدَّثون إلى الضيف الآخر الآن.

اختفت ابتسامتها المزيفة من على محياها فورًا. قلت لها: «آسفة أنكِ رأيتِ تلك الرسالة النصية قبل قليل».

- هراء.

بدت مُنزعجة وتفقَّدت ساعتها فقلت: «إن كنتِ ستتركين «قهوة الصباح» حقًّا، فعلى الأقل ستُوفِّرين مزيدًا من الوقت لعملكِ الخيري وصنائع المعروف».

- أنا لستُ ذاهبة إلى أيِّ مكان، أنا لديَّ عقد، والأقربون أولى بالمعروف. ألم يُعلِّمكِ أحد هذا قط؟ أهذا الأحمق عائد أم يُمكنني الذهاب؟

- سأتأكد مجددًا فحسب أنكِ انتهيتِ من اللقاء.

قلت هذا وأنا أضع السماعات على أذنيَّ مرةً أخرى. يُمكنني سماع البرنامج بصوت عالٍ وواضح وأنا أقول: «لا بدَّ أن الأمر مجزٍ، فهذا لنشر الوعي بشأن الأطفال الضعفاء، أليس كذلك؟» لقد خضنا هذا النقاش مرات عديدة للغاية من قبل، أعلم أفكارها عن هذا الأمر وقالت: «ضعفاء، يا للهراء. أغلب هؤلاء الأطفال حقراء صغار وأنا ألوم آباءهم. ينبغي أن يكون هناك اختبار ذكاء ما ليُحدِّد مَن أكثر غباءً من أن ينجب أطفالًا، ثم يجب أن يخضع الحاصلين على درجات مُتدنية للتعقيم. الأغبياء الكُثر الذين يزحمون الأرض بنسلهم المتخلف عقليًّا هم جزء كبير من مشكلة هذه البلاد». رأيتُ چون يترجل من الشاحنة التي اصطفت في نهاية الطريق، وأخذ يلوح بكلتا يدَيه فوق رأسه بشكل محموم كأنه يُحاول أن يُهبط طائرة بسرعة فقلتُ لها: «أظن يمكنكِ الذهاب الآن حتمًا».

- جيد، في الوقت المناسب.

أتفق معها بشدة. دارت على عقبَيها وسارت عائدةً داخل البناية. تبعتها وأنا عاجزة عن رفع بصري عن حزمة البطارية التي لا تزال مُثبتة على وشاحها البشميني الأسود العملاق. نكزت الزر بإصبعها لتستدعي المصعد، ثم استدارت لي وابتسمت وهي تقول: «ثم هناك هؤلاء اللعينات اللاتي يحملن عن طريق الخطأ، وغالبًا ما يحملن من أشخاص لا ينبغي

لهنَّ أن يحملن منهم. ولهذا الإجهاض موجود. للأسف الكثيرات من العاهرات الغبيات لا يجرين عمليات إجهاض».

فتح المصعد أبوابه فسألتني: «هل ستدخلين أم ماذا؟» هززتُ رأسي نافيةً فقالت: «آه، نسيت، أنتِ تخشين المصاعد». طقطقتْ بلسانها في عدم استحسان وأدارت عينيها، ثم دلفت داخله، لتطعن الزرَّ مرارًا حتى تتأكَّد من غلق الباب قبل أن يتمكن أي أحد من استخدامه.

بحلول الوقت الذي صعدتُ فيه الدرج الحجري إلى الطابق الخامس، شعرتُ كأنني فوَّت حلقة من مسلسلي الدرامي المفضل. حدَّق الجميع إلى مكتب مادلين الصغير. ماثيو معها بالداخل، وكلاهما يصيحان، مما جعل كل كلمة من محادثتهما، التي من المُفترض لها أن تكون خاصة، تصبح عامة رغم الباب المغلق.

سألتُ دون أن أوجِّه سؤالي لأحد بعينه: «ما الذي يحدث؟».

- ميكروفون مادلين كان لا يزال يعمل. استضافوا ضيفًا في الاستوديو، ثم عادوا إليها. كل ما قالته للتو أُذيع على التلفزيون المحلي مباشرةً.

بذلتُ قصارى جهدي حقًّا لأبدو متفاجئة.

سابقًا

الجمعة، 30 أكتوبر 1992

مذكراتي العزيزة،

أتت أمي اليوم من المستشفى، وهذا بدا مناسبًا فعيد الهالوين غدًا وهي ساحرة. كانت الأمور أفضل في غيابها. ظننتُ أن والدة تايلور ستغضب مني بشدة بعد ما حدث مع السوار، لكنها كانت أكثر لطفًا معي من المعتاد، وأخذتني إلى المدرسة ومنها لأسبوعين كاملين بعدها لأن أبي كان مشغولًا بالعمل.

حاولتُ إعادة سوار تايلور إليها واعتذرتُ لاستعارته بالخطأ لفترة طويلة، لكنها قالت إنه لا بأس بهذا وأخبرتني أن أحتفظ به. حتى إنها أصلحته لي بتركيب دبوس أمان صغير في الحلقات المكسورة. اعتقدتُ أنه يبدو رائعًا، بل يبدو أفضل من ذي قبل. أظنها شعرت بالامتنان حقًّا بعد ما حدث في المدرسة الأسبوع الماضي، وكانت هذه طريقتها لشكري.

لا أعرف حقًّا ما الذي يجعل الفتيات الأخريات يكرهن تايلور كثيرًا. هي جميلة ولطيفة وذكية، لكن هذه ليست أسبابًا لنتصرف بلؤم معها. أنا سعيدة لأنني وجدتُها وقتها في دورة مياه الفتيات. كانت هناك اثنتان منهن: كيلي أونيل وأوليڤيا جرين. كانتا تحملان كتلًا من المناديل المبللة

في أيديهما وتضحكان. وقفتا على مقعدي المرحاض في المقصورتين على جانبي مقصورة تايلور، وتنظران إليها من فوق الفواصل الخشبية. كان بإمكاني سماع بكائها خلف الباب المغلق في المنتصف. أخبرتْها كيلي أن تقف وتدور أمامهما. صفَّرت الفتاة الأخرى وقالت: «سنرحل إن جعلتِنا نرى»، ثم ضحكتا مرة أخرى قبل أن تردف: «لا تخجلي، أرينا». بدأ الغضب يغلي داخل بطني وركلتُ بابي مقصورتيهما. حدَّقت كيلي إلى وجهي، ثم عادت لتنظر إلى تايلور من فوق الجدار وقالت: «حبيبتكِ هنا وهي تغار عليكِ. من الأفضل أن ترفعي ملابسكِ».

فُتح باب دورة المياه، وظهرت السيدة ماكدونالد لتُخبرنا أن جميعنا يجدر بنا المغادرة. غادرت كيلي والفتاة الأخرى، وابتسمتا لي وهما تسيران من جانبي. قلت لها إنني بحاجة إلى استخدام الحمام وإنني سأخرج بعدها مباشرةً. عندما خرجن جميعًا، طرقتُ باب المقصورة الوسطى، لكن ظلت تايلور بالداخل. لذا صعدتُ فوق المرحاض المُجاور لها، مثلما فعلت كيلي بالضبط، ونظرتُ إليها، كانت تجلس على المرحاض وهي مُغطاة بكتل من مناديل الحمام المبلَّلة المكورة مثلما يكورها مَن يرغبون في إلقائها على السقف. لا أظنها وقعتْ عليها بالخطأ. أخبرتُها أن تفتح الباب وفتحته هذه المرة.

نزلتُ من فوق المرحاض ودفعتُ بابها برفق لأفتحه. وقفتْ هناك فحسب. عيناها مُغرورقتان بالدموع تمامًا، وجنتاها حمراوان، وملابسها في حالة من الفوضى، لذا ساعدتُها في رفع ملابسها. نحن لا نتحدَّث عن هذا اليوم. لستُ متأكدة إن كان يجدر بي الكتابة عنه حتى. نحن مُتلازمتان طيلة الوقت الآن، وبقية الفتيات يتجنَّبننا، وهذا لا يزعجني.

كانت الأمور مثالية تمامًا حتى عادت أمي إلى المنزل. كنتُ غاية في السعادة عندما ترجلتُ من السيارة الڤولڤو ذلك المساء لدرجة أنني

رقصتُ وأنا أسير بطول ممر السيارات. كانت والدة تايلور تجلب لي العشاء وأبي يُسخِّنه في الفرن أيضًا، طعام طهته هي بنفسها له رائحة ومذاق رائعان. لم يثمل أبي كثيرًا مثلما يفعل أحيانًا وسُمح لي المبيت في منزل تايلور عشرات المرات وهو يعمل لوقت متأخر أو يزور أمي في المستشفى. لم **تُرِدْ** أمي أن أزورها. لم يُخبرني أحد بهذا، لكنني أعلم فحسب. لم أرغب في الذهاب على أي حال، فالمستشفيات تُذكِّرني بموت جدتي. قال أبي إن أمي أجرت عملية بسيطة في معدتها، ولهذا لم تعُد إلى المنزل طوال هذه المدة. قال إنها كانت مريضة للغاية. قال إنه لم يكن خطئي.

علمتُ أنها قادمة اليوم، لكن أظنني نسيتُ. لذا عندما رأيتُها تقف أعلى الدرج حالما عدتُ من المدرسة، جفلتُ نوعًا ما وشعرتُ بالخوف. لم تقل أي شيء في البداية، وقفتْ هناك فحسب لتنظر إليَّ من الأعلى بمنامتها البيضاء الكبيرة، مثل شبح. ازدادت الهالات السوداء حول عينيها قتامةً عن ذي قبل، وبدَت نحيلة حقًّا، كأنها نسيت أن تتناول طعامها وهي في المستشفى.

لم أعلم ماذا أقول، لذا ذهبتُ إلى الصالة لأشاهد التلفزيون الكبير. جهاز التحكُّم عن بعد لم يعد يعمل، لذا يتوجَّب عليك أن تضغط زرًّا أسفل الشاشة وتنتظر قليلًا حتى تومض الصورة وتعود للحياة. أتت رسوم مُتحركة لا أحبها، لكنني كنتُ جالسة على الأريكة بالفعل، لذا شاهدتُها على أي حال. كنتُ ما أزال أرتدي قبعتي وقفازيَّ لأن الطقس باردٌ دائمًا داخل منزلنا منذ أن تعطلت أجهزة التدفئة. لدينا مدفأة ونُشعل نارًا حقيقية أيام الأحد، لكنهما لا يسمحان لي بالاقتراب منها كثيرًا قط واليوم ليس الأحد.

يمكنني سماعها، وهي تنزل الدرج ببطء شديد، مثلما اعتاد جدي أن يفعل عندما انخلع وركه. أراد جزء مني أن أركض مُبتعدة، لكن ما من مكان لأركض إليه. هممتُ لأقضم أظفاري، لكن حال القفاز دون ذلك، لذا جلستُ على يديَّ وأرجحتُ ساقيَّ بدلًا من هذا كأنني على أرجوحة وليست أريكة.

وقفتْ عند عتبة الباب وسألتْني إن كان لديَّ ما أقوله لها. هززتُ رأسي نافيةً وواصلتُ مشاهدتي للتلفزيون. طارد القط الفأر في الرسوم المتحركة، لكنه نجح في الهرب مجددًا، فأر ذكي، ضحكتُ، رغم أن الأمر لم يكن مضحكًا للدرجة.

قالت: «الأمر يتكرر، أليس كذلك؟».

أخذ الفأر بعض أعواد الثقاب وغرزها بين أصابع قدمي القط، لم يُلاحظ القط حتى، كان مشغولًا تمامًا بالنظر في الاتجاه الخاطئ. ثم أشعل الفأر كل أعواد الثقاب وركض مُبتعدًا. استطاع القط أن يشم رائحة الدخان، لكنه لم يرَ ألسنة اللهب إلا بعد فوات الأوان. ضحكتُ مجددًا، تظاهرتُ أنني أضحك بصوت عالٍ على أمل أن ترحل فقط وتتركني وشأني.

قالت: «قلتُ، الأمر يتكرَّر، أليس كذلك؟» تحدثت بصوتها الغاضب الذي يعني أنني في مأزق. هززتُ كتفي ووقفتُ، ثم ذهبتُ إلى المطبخ. أدوات تلويني لا تزال على الطاولة من الليلة الماضية، لذا بدأتُ ألوِّن في حين تبعتني أمي وجلستْ على الكرسي المقابل. لم أرفع بصري. كانت الأقلام مقصوفة للغاية، كلها. نظرتُ إليها وقتها وسألتُها هل يمكنها بري الأقلام من أجلي، فأنا ليس مسموحًا لي ببري الأقلام بنفسي. تحدثتْ أعيننا في حين لم تتحرك شفاهنا. هزَّت رأسها لتقول لا. زادت رغبتي في استخدام القلم الأحمر وقتها، لكنه كان مقصوفًا للغاية، لدرجة أنه

بالكاد ترك أثرًا على الورقة. ضغطتُه أكثر، لأتسبب في نمط واضح من الخدوش الخشنة على الورقة. حاولت أمي الإمساك بيدي لتوقفني لكني سحبتُها. قالت إننا بحاجة إلى التحدث، لكني لم يكن لدي أي شيء لأقوله لها، لذا واصلتُ التظاهر بأنها ليست هنا والتقطتُ القلم الأسود الذي ما زال يتبقى فيه بعض اللون. تعسَّر عليَّ أن أبقى داخل حدود الخطوط وأنا مرتدية القفازين، لذا جاب القلم الأسود جميع أنحاء الرسمة حتى لم يعد باستطاعتي رؤية ما كانت عليه.

أخبرتني أمي أن أنظر إليها. لم أنظر. قالتها مجددًا، لكنها فصلت الكلمات لتُصبح كل كلمة على حدة:

انظري ... إليَّ.

ما زلت لا أنظر إليها، لكني همستُ بشيء ما في هدوء شديد. سألتني ما الذي قلته وهمستُ به مجددًا. ثم وقفتْ بسرعة بالغة، لدرجة أن كرسيها وقع للوراء ليجعلني أجفل. مالتْ على الطاولة وجذبتني من ذقني، لتُجبرني على رفع بصري إليها. بصقت على عينيَّ قليلًا، وهي تسألني مرة أخرى عمَّا قلته. كانت تؤلم وجهي، لذا قلت لها:

أنا ... أكرهكِ.

كان هذا بنبرة عكس الهمس.

تركتني وركضتُ لأخرج من المطبخ وأصعد إلى غرفة نومي. ما زلتُ أسمع من الطابق العلوي ما صاحت به، رغم أنني أغلقتُ بابي وغطيتُ أذنيَّ بيديَّ.

- أنتِ لن ترَي تايلور بعد الآن. لا أريدها أن تأتي إلى هذا المنزل.

لا يمكنها منعي من رؤية تايلور، فنحن نذهب إلى المدرسة نفسها.

حاولتُ أن أقرأ لبعض الوقت، لكني لم أستطع التركيز، ظللتُ أقرأ العبارة نفسها دون قصد مني. رميتُ الكتاب على الأرض وأخرجتُ سوار تايلور المكسور من الدرج المجاور لفراشي حيث أخفيه. فتحتُ دبوس الأمان وحاولتُ ارتداءه، لكن طرف السلسلة ظل يَنزلق من فوق معصمي. أريد أن أذهب لطلب حلوى الهالوين ليلة الغد، لكن أعلم أن ما من جدوى من طلب هذا حتى بما أنها عادت. يُمكنني سماعها بالأسفل، وهي تجر قدمَيها في الأرجاء، وتكشط ما داخل الأطباق الفخارية لترميه في سلة المهملات، وتُدمر حياتي.

الآن

الجمعة، 30 ديسمبر 2016

أنا أطير على ظهري، أدفع من عند رأسي. استغرق الأمر مني بعض الوقت لأتذكَّر أنني في المستشفى. لا أزال عاجزة عن الحركة أو فتح عينيَّ، لكني أستطيع رؤية الضوء يتبدَّل فوقي، كأنني أمرُّ داخل نفق، تغييرات طفيفة من النور إلى الظلام، ثم من الظلام إلى النور.

أدرك أنني موضوعة داخل فراشي وأنهم ينقلُونني إلى مكان ما، لستُ متأكِّدة ما الذي يعنيه هذا، وأتمنَّى لو يشرح لي أحد. أطرح أسئلة في رأسي لكن ما من أحد يجيب:

هل أنا أنتقل إلى عنبر؟

هل تحسَّنت حالتي؟

هل أنا ميتة؟

لا يُمكنني إبعاد الفكرة الأخيرة عن ذهني، ربما هذا هو شعور الموت.

لا أعلم إلى أين أنا ذاهبة، لكنه مكان أهدأ بكثير من ذي قبل. توقَّف الفراش عن الحركة. قال صوت غريب: «ها أنتِ ذي، إذن. انتهَت ورديتي الآن، لكن ثمة مَن سيعود ليعتني بكِ بعد قليل».

تحدَّث إليَّ كأنني طفلة، لكني لا أمانع هذا. حديثه معي على أي حال يعني أنني لا أزال على قيد الحياة حتمًا.

شكرًا لك.

تركني وصار المكان هادئًا للغاية. هادئًا أكثر من اللازم، ثمة شيء مفقود.

جهاز التنفُّس الصناعي.

لقد أخذوه مني واختفى الأنبوب الممتد داخل حلقي. انتابني الهلع حتى أدركتُ أنني أتنفَّس من دونه. فمي مغلق لكن صدري لا يزال يتضخَّم بالأكسجين. أنا أتنفس بمفردي. حالتي **تتحسن.**

أسمع خطوات أقدام، ثم هناك أيادٍ تمسك جسدي وأشعر بالخوف مجددًا. إنهم يرفعونني عن الفراش وأخشى السقوط، أخشى أن يسقطوني، وضعوني على شيء بارد. اقشعرَّ جلد ظهري عبر رداء المستشفى المفتوح من برُودة السطح. أنا مُستلقية على ظهري ويداي إلى جانبي، أحدِّق إلى الفراغ، غير قادرة على رؤية ما هو أبعد مني. تركوني هناك وأصبح المكان أهدأ من أيِ وقت مضى، لفترة من الوقت.

أيًّا كان ما أنام عليه، فقد رفعني ثم أعادني للوراء من ناحية رأسي مجددًا، ليبتلعني داخله. صمت الهدوء بسبب ضوضاء حادَّة، مثل صرخة آلية مكتومة. لا أعلم ما الذي يحدث، ومهما كان، فأنا أريده أن ينتهي. كان الهدير المتواصل عاليًا غريبًا وبدا أنه يقترب مني، وأخيرًا توقف.

بالكاد لاحظتُ عندما تحرَّك جسدي إلى عتمة أكثر إشراقًا. تحوَّلت الصرخات الميكانيكية إلى صوت بكاء طفل، وأصبحَت أسوأ بكثير. أشعر ببلل، وأدرك أنني بللتُ نفسي. لم تَعُد هناك حقيبة متَّصلة بي لتجمع السائل، وخنقتني الرائحة لذا أطفأتُ حواسي.

أعادني صوت صفير إلى مكان ما أقل ظلمة قليلًا، أكره صوت الصفير. أنا على فراشي من جديد، وأحدهم يدفعُني من ناحية رأسي

إلى سلسلة أخرى من الممرات الطويلة التي لا نهاية لها. ارتفعَت الظلال وانخفضتْ فوق رأسي ثانيةً كأنني أدور أسفل سيرٍ ناقل من الأنوار. توقَّف الفراش، انعطف وتوقَّف مرارًا. شعرتُ كأنني أصبحتُ مكنسة كهربائية أتحرك ذهابًا وجيئة، أحاول امتصاص كل قاذوراتي. توقَّفنا فجأة وانتهت نبرة الصفير في اللحظة نفسها.

قال صوت سيدة عجوز: «آسفة للغاية على إزعاجك، أيُمكنك أن تذكِّرني بمكان المخرج، دائمًا ما أتوه هنا».

فأجاب صوت لا أريد أن أسمعه: «لا عليكِ، هذا يحدث معي طوال الوقت، المكان مثل المتاهة. عودي من حيث أتيتِ وانعطفي مع أول يمين، هذا هو المخرج الرئيسي إلى موقف سيارات الزوَّار». قلتُ لنفسي إنه ليس صوته، وأنني أتخيَّل أشياء.

- شكرًا لك.

- على الرحب والسعة.

إنه هو، هذا صوت الرجل الذي خدَّرني لأنام، أنا متأكِّدة.

عاد صوت الصفير مرةً أخرى وأيقظ شيئًا، أخرج ذكرى منسية. اعتاد أن يُصفِّر طوال الوقت عندما كنَّا طلابًا. أزعجني هذا حينها، ويُخيفني الآن. ظللتُ أخبر نفسي أنني مخطئة، مشوشة، لكن كل الشكوك المتبقية التي منحتني أملًا، انهارت. الرجل الذي يحتجزني هنا هو إدوارد. أعلم هذا الآن. لا أعلم السبب فحسب.

نحن نتحرَّك من جديد وأنا يتملَّكني الهلع وأتساءل إلى أين يأخذني. سيُوقفه أحد بالتأكيد، لكني تذكَّرتُ حينها أنه يعمل هنا. ما من أحد

سيُشكّك في واحد من الفريق الطبي يدفع مريضة في أرجاء المستشفى. أشعر بالغثيان، يفترض بالأطباء أن يُساعدوا الناس لا أن يُؤذوهم.

لماذا تفعل هذا بي؟

وصل الفراش ذو العجلات إلى محطته الأخيرة وتبدَّل بالصفير شيء أسوأ. سمعتُ الباب يُغلق وقال: «ها نحن أولاء، نحن الاثنان فقط، بمفردنا مجددًا أخيرًا».

سابقًا

الجمعة، 23 ديسمبر 2016 - مساءً

أفترض بالفريق كله أن يَستمتِع بغداء الكريسماس معًا قبل العطلة، لكن هناك شخصان مفقودان: مادلين وماثيو. بالنظر إلى آخر عاصفة من الفئة الخامسة[1] على وسائل التواصُل الاجتماعي والقصة التي تناولتها محطات البث، فأنا لستُ مدهوشة. نُشرت المقابلة بأكملها على اليوتيوب، وأصبح #ذوبان_فروست أكثر شعبية من أيِّ وقت مضى على تويتر، لكن لأسباب مختلفة قليلًا عن ذي قبل. أتساءل إن كان لديها الوقت حتى لملاحظة رسالة ابتزازي الأخيرة المدسوسة داخل حقيبة يدها. لا داعي للقلق، يمكنها أن تنتظر.

مادلين وماثيو مشغولان بمحادثات طارئة مع رؤساء المحطة في الطابق السابع. لا أستطيع أن أتخيَّل كيف يُمكن لهذه القصة أن تنتهي نهاية سعيدة لأي منهما. أخبر ماثيو بقيتنا أن نذهب لتناول طعام الغداء من دونه. حجزه في مطعم إيطالي صغير قريب، لأن ما مِن شيء يعادل الكريسماس مثل كرات اللحم في صلصة الطماطم!

بدا صاحب المطعم سعيدًا للغاية برؤيتنا. هناك طاولة واحدة طويلة، كأننا سنَجلس على مأدبة في العصور الوسطى، مجهزة بالكامل

---

(1) مقياس شدة العواصف مكوَّن من خمسة مستويات. (المترجمة)

بالمناديل والمفرقعات والتيجان الورقية. ناقش الآخرون ترك المقعد الذي على رأس الطاولة فارغًا لماثيو عند وصوله، أظنُّ هذا لأنه رب أسرة العمل المفكَّكة هذه. جلستُ في نهاية الطاولة بالقرب من المخرج وشعرتُ بلحظة ارتياح عندما جلست چو في المقعد الفارغ بجانبي. حمدًا للرب أنها هنا.

سألتْ قبل أن تمد يدها إلى قنينة مفتوحة من النبيذ المنزلي الموضوع على الطاولة: «ڤينو روسو؟».

- ليس لي، شكرًا لكِ.

تعجبتْ، لكن لا يمكنني إخبار چو بالحقيقة حتى، ليس قبل أن أتأكد فقلتُ: «لا بأس، لقد ثملتُ أكثر من اللازم قليلًا الليلة الماضية».

- مع بول؟

- لا، مع صديق قديم.

- صديق ليس أنا؟

- لديَّ أصدقاء آخرين كما تعلمين.

قلتُ هذا لأدرك بعدها أنني لا أملك أصدقاء آخرين، ليس بعد الآن. استلمنا بطاقات مُعايدة للكريسماس أقل حتى من التي كتبتُها هذا العام.

مالت نحوي إحدى المعدات وبيدها واحدة من المُفرقعات في محاولة منها لجذب انتباهي. رددتُ لها الابتسامة ولففتُ أصابعي حول حافة الورقة الذهبية اللامعة. جذبتُها بقوة، لكن لم يحدث شيء وضحكت كلتانا. جذبتُ الطرف بقوة أكبر وفرقعتْ لتجعلني أجفل، رغم أنني توقعتُ هذا. لقد فزتُ. وضعتُ التاج الورقي على رأسي وقرأتُ النكتة بصوت عالٍ لبقية الفريق: «ما الذي يقع في قاع البحر ويترجف؟» نظرتُ حولي إلى الوجوه المترقِّبة. أشك أنني سأراها مجددًا، لكني

أردفتُ: «حطام مُتوتِّر». ثمة بضع ابتسامات، وتنهيدة انزعاج، لكن لم يضحك أحد. هناك مَن قرأ نكتة أفضل بصوت عالٍ.

أشارت چو إلى السمكة البلاستيكية الحمراء التي سقطت من داخل المُفرقعات. التقطتُها ووضعتُها على راحة يدي، أتذكَّر تلك الأسماك من طفولتي أنا وكلير. كُتب على الغلاف «السمكة المعجزة - قارئة الطالع»، وابتسمتُ لهذه الذكرى. انكمش رأس السمكة على يدي. لا أستطيع تذكُّر ما يُفترض أن يعنيه هذا، لذا قرأتُ المربع الورقي الأبيض الضئيل المليء بالتعليمات، ألقيتُ عليه نظرة عاجلة بحثًا عن ترجمة: **رأس متحرك = غيرة.**

أزلتُ السمكة عن يدي، والابتسامة عن وجهي. أنا أشعر بالغيرة. لديَّ كل الحق لأشعر بها.

فُتح باب المطعم، واندفعت هبَّة من الهواء البارد لتسرق بعض القبعات الورقية من فوق الرؤوس وتقذفُها على الأرض، وصل ماثيو، مادلين ليست معه.

بالغ في أدائه، وهو يخلع معطفه، ويجلس على الطاولة. ثم نقر بسكِّينه على كأس البروسيكو الذي معه، وهو ما لم يكن ضروريًّا حقًّا، فالمطعم فارغ تمامًا باستثناء طاولتنا، وقد جفَّ بالفعل حديث الزملاء غير الثملين المؤدبين، رغم كل ما لدَيهم ليُثرثروا بشأنه.

استهلَّ: «أريدكم جميعًا أن تستمتعوا بغداء الكريسماس ويوم الإجازة الذي تستحقونه عن جدارة ...»، ثم صمت لإضافة تأثير درامي، وأنا أريد أن أرمي الطبق على رأسه. فتحتُ منديلي الورقي ووضعتُه على ساقيَّ، ثم أردف: «لكن قبل أن نفعل هذا، لديَّ بعض الأخبار المحزنة»، والآن جذب انتباهي: «أعلم أنكم جميعًا تُدركون الحادثة المؤسفة التي وقعت بسبب ميكروفون مادلين في أثناء أخبار الغداء اليوم».

أخذتُ رشفة من عصير الليمون، إنه ثلج أكثر من كونه عصيرًا، وآلمَ أسناني.

- ما سأقوله الآن ليس له أي علاقة إطلاقًا بالحادثة.

كاذب، تركتُ كأسي ودفعتُ يديَّ معًا أسفل الطاولة في وضعية الصلاة، كمُحاولة مني أن أمنع نفسي من نزع جلد شفتيَّ علنًا.

- أنا آسف لإخباركم أن مادلين قررت بكل الحزن أن تترك البرنامج لأسباب شخصية وأنها لن تقدم برنامج «قهوة الصباح» بعد الآن.

تعالت الشهقات الآن، ومن بينهم شهقتي.

- أنا أخبركم هذا الآن لأن الصُّحف اللعينة ستنشر الخبر غدًا، وأنا أريد أن أطمئنكم جميعًا بأن البرنامج مستمر، وأن وظائفكم في أمان. سنجد بعض المقدمين خلال عطلة العام الجديد ... آمبر، أتمنى أن تساعديهم قدر استطاعتكِ ... ثم سنبحث عن حل طويل الأمد.

أومأتُ له. هذه هي طريقته في إخباري أنني آمنة الآن.

تصاعدت الأحاديث والثرثرة مجددًا. الآن بعد أن أصبح لدينا شيء جديد لنتحدث عنه، ثمة موضوع نقاش واحد فقط. قال ماثيو أن أسباب رحيل مادلين شخصية... أتوقَّع أنني الشخص الوحيد على هذه الطاولة الذي يعلم كم هي شخصية بالضبط.

وصل خبز الكريسماس بالثوم، بدا جافًّا ومُفسدًا للشهية. كنت أتساءل كيف أُخرج نفسي من هذا الموقف عندما سمعتُ نقرة على نافذة المطعم من خلفي. استدرتُ واستطعتُ أن أرى خيال أحدهم، لكن الثلج الصناعي صعَّب عليَّ التعرف على الوجه الباسم المحدِّق إليَّ.

سألتْ چو: «هل تعرفينه؟».

لم أستطع التحدث في البداية. كنتُ مشغولة للغاية، أحاول أن أفهم كيف وما الذي يفعله هنا. إنه إدوارد يبتسم لنا نحن الاثنين. قلت دون التوجه بحديثي إلى أحد بعينه: «عذرًا للحظة»، ونهضتُ عن الطاولة. خرجتُ إلى الشارع، ذكَّرتني الرياح الباردة أنه كان عليَّ إحضار معطفي. قال كأن وجوده هنا مقبول نوعًا ما: «مرحبًا».

- ما الذي تفعله هنا؟ هل تتبعني؟

- **واه!** لا، أنا آسف. قد يبدو الأمر كذلك لكنني لا أطاردكِ، أقسم لكِ. قلتِ الليلة الماضية أنكِ ستأتين هنا لتناول غداء الكريسماس اليوم.

هل فعلتُ؟

- كان لدي اجتماع في نهاية الطريق، وعندما رأيتكِ من خلال النافذة، شعرتُ برغبة في إلقاء التحية.

أنا لا أصدقه.

لاحظتُ أنه لم يحلق لحيته، نما ظلٌّ داكن للحية خفيفة فوق ذقنه الأسمر، كما أنه يرتدي ملابس البارحة بالضبط، وظهر قميصه الأبيض تحت المعطف الصوفي الطويل. انتظرني أن أقول شيئًا، وعندما لم أفعل حاول مجددًا بقوله: «أنا أكذب، أنا آسف. لا ينبغي أن أفعل هذا. أنتِ تُدركين حقيقتي تمامًا، على أي حال، دائمًا ما كنتِ كذلك. لا يوجد اجتماع. تذكَّرتُ أنكِ قادمة هنا، وكان عليَّ أن أجد طريقة فقط لأراكِ مجددًا ...».

- انظر يا إدوارد ...

- لأقول لكِ: إنني آسف. شعرتُ بالخزي عندما استيقظتُ هذا الصباح وتذكَّرتُ الليلة الماضية. أردتُ فرصة للاعتذار فقط، هذا كل ما في

الأمر. لا أعلم لماذا قلتُ الأشياء التي قلتُها، لا بد أنه مفعول النبيذ. لا أقصد أنني لا أعتقدكِ رائعة، لكن كل هذا من الماضي. أنا لن أعطلكِ عن غداء الكريسماس -أنا آسفٌ للغاية- أردتُ فقط أن أوضِّح الأمور وأطمئنكِ أنني لستُ مختلًّا.

- حسنًا.

- الجو بارد للغاية، عودي إلى أصدقائكِ من فضلكِ. أخشى أنني جعلت الأمور أسوأ. لن أزعجكِ مجددًا يا آمبر. أنا آسف حقًّا على تصرفي.

بدا غاية في الأسف حقًّا، لدرجة أني بدأتُ أشعر بأسف ضئيل تجاهه... من الصعب أن تعيش في مدينة لا يعرفك فيها أحد إطلاقًا. نظرتُ إلى المطعم حيث يُمكنني رؤية چو عبر النافذة، وهي تُشير إليَّ لأعود إلى الداخل. أشعر أنني ينبغي لي قول شيء ما، ولكني لا أستطيع العثور على الكلمات المناسبة على ما يبدو. أشعر بالبرد، وكان الموقف محرجًا، لذا استقررتُ على الكلمات الخاطئة وقلتُ قبل أن أستدير إلى المطعم وأتركه في البرد: «كريسماس سعيد يا إدوارد، أراك لاحقًا».

سابقًا

الجمعة، 11 ديسمبر 1992

مذكراتي العزيزة،

حدث الأمر مجددًا. فُصلتُ من المدرسة، لكنه لم يكن خطئي حقًّا. لم أرغب في الذهاب إلى المدرسة اليوم على الإطلاق، ولم أشعر أنني بخير، ولو سمحت لي أمي بالبقاء في الفراش لم يكن ليحدث أيٌّ من هذا. لذا فهو خطؤها حقًّا، مثل كل شيء آخر بالضبط، لكنَّني أتوقع أنها لن ترى الأمر بهذه الطريقة عندما تكتشف ما حدث. اعتادَت جدتي أن تقول الكلمات ليست كالعصيِّ والحجارة[1]، لكن كان من المُمكن أن تتأذَّى تايلور حقًّا لو لم أفعل شيئًا.

كنَّا في حصة العلوم ونستخدم مواقد بنسن لأول مرة. دائمًا ما تساءلتُ عن ماهيتها، لكننا لم يُسمح لنا بلمسها قبل اليوم. أحببتُ رائحة الغاز عندما أشعلناها، ذكَّرتني بفرن جدتي القديم. علَّمنا الأستاذ سكينر ما نفعله. لكل موقد من مواقد بنسن ثقب وهذا مهم. عندما يُغلق الثقب، تصبح شعلة صفراء، ولكن عندما يُفتح، تصبح الشعلة زرقاء ساخنة. يتعلق الأمر كله بالاحتراق ببساطة. لكن يمكن للغاز أن يكون خطرًا،

(1) اختصار لمقولة قد تَكسر العصيُّ والحجارة عظامي، لكن الكلمات لن تؤذيني أبدًا. (المترجمة)

وكذلك ألسنة اللهب بالطبع، لذا عندما عدتُ من دورة المياه ورأيتُ كيلي ترفع الشعلة بالقرب من شعر تايلور، كان عليَّ أن أفعل شيئًا.

قالوا إن أنفها كُسر هذه المرة. لا أتذكَّر حقًّا فِعلي لهذا حتى، أردتُ فقط أن أبعدها عن تايلور. أبعدني الأستاذ سكينر عنها وسأل عما حدث، وقلتُ إنني لا أعلم. صاح بوجهي لكيلا أكذب، وقال إنه رآني، لكني لم أكن أكذب. كل ما يُمكنني تذكُّره هو وجها تايلور وكيلي كلٌّ منهما على مقربة شديدة من الثاني. كان الأمر أشبه بشيء يُكسر داخلي فحسب. أنا أحب تايلور. لن أسمح لأحد أن يؤذيها. لم أملك خيارًا.

جذبني الأستاذ سكينر من سترتي إلى مكتب المديرة. لم أدخل مكتب هذه المديرة من قبل، لكني لم أكن خائفة. كلهم على الشاكلة نفسها، ولا يستطيعون فعل أي شيء لي، ليس حقًّا. كان الأمر كله دراميًّا للغاية كأنني في فيلم أو شيء من هذا القبيل. باستثناء أننا لو كنَّا في فيلم، لكنتُ البطلة. لكن لأننا في الحياة الواقعية، كنتُ أنا الشريرة التي تجلس على مقعد قاسٍ في الممر بدلًا من هذا، وتنتظر هناك حتى يتصلوا بأمها.

ظهرت تايلور مع الممرضة... ارتطم رأسها عندما دفعتُها بعيدًا لأنقذها. لم تبدُ سعيدة للغاية. بدا وجهها أحمر بالكامل ومنتفخًا من البكاء، لكنها كانت بخير، بفضلي. أخبرتها الممرضة أن والدتها ستأتي قريبًا لتأخذها. لم تقل الممرضة أي شيء لي وكذلك لم تفعل تايلور. لم تنفد الكلمات التي نتبادلها من قبل قط، وأحزنني هذا. سألتها إن كانت بخير، لكنها حدَّقتْ إلى الأرض فحسب. أوشكتُ على سؤالها مجددًا عندما تحدثتْ قائلة: «لم يجدر بكِ فعل هذا». وهذا ما ظننتُه نكران بالغ للجميل فسألتُها: «ولمَ لا؟».

- لأنكِ عليكِ استخدام هذا.

ثم أشارت إلى رأسها قبل أن تردف: «وليس هاتين»، ورفعتْ يديها لتضيف بعدها: «ماذا تظنين أنهن سيفعلن وأنتِ لستِ هنا؟ لقد أفسدتِ كل شيء».

أصابتني كلماتها بالحزن والغضب في الوقت ذاته. يمكنني أن أرى أنها غاضبة، لذا التزمتُ الصمت وخزَّنتُ غضبي. كان هناك الكثير من الغضب داخلي، لدرجة أنه آلمَ معدتي.

وصلتْ والدة تايلور ومنحتها عناقًا كبيرًا. خشيتُ حقًّا أنها ستغضب مني أيضًا، لكنها عانقتني أنا أيضًا، لذا علمتُ أنها لا تزال تُحبني. أظنها تحبني حقًّا. ليس بمقدار حبها لتايلور ـ لكن تحبني كثيرًا. سألتني إن كانت أمي قادمة لأخذي، وقلتُ إنني لا أعلم. والدة تايلور ووالدتي لا يتحدثان حقًّا منذ حادثة السوار.

تحدثتْ والدة تايلور إلى المديرة في مكتبها. استطعنا سماع كل كلمة من خلال الباب الزجاجي، مما جعلني أظن أنَّ لافتة **خاص** الموضوعة بالخارج تبدو غبية للغاية. لم تستطع المدرسة الوصول إلى أمي أو أبي، وفي النهاية تركوا والدة تايلور تصحبني إلى المنزل.

لم تتحدث تايلور إليَّ ونحن نخرج من المدرسة، أو عندما ركبنا السيارة الڤولڤو، أو حتى عندما وصلنا أمام منزلي. نظرتْ والدة تايلور إليَّ في المقعد الخلفي كأنها لا تفهم لما لا أزال هنا، لكني سألتُها وقتها إن كان بمقدورها القدوم معي لتشرح لأمي ما حدث لأنني خائفة. تغير وجهها حينها، إذ أصبح عطوفًا تمامًا، وبدت عيناها الخضراوان الكبيرتان حزينتَين وطيبتَين في الوقت نفسه. قالت لتايلور أن تبقى في السيارة، ليس كأن تايلور فكَّت حزام مقعدها حتى، حدَّقت خارج النافذة فحسب. لم تُودعني حتى.

تبعتني والدة تايلور إلى نهاية الممر وطرقَت الباب، فالجرس لا يعمل منذ فترة. عندما لم يجِب أحد، رفعتُ نظري إليها لتبتسم لي. كانت جميلة للغاية وطيبة، وثيابها متناسقة دائمًا كأن الملابس التي ترتديها صُنعت لتُرتدى معًا. طرقت الباب مجددًا. ثم سألتني إن كان معي مفتاحي عندما لم يظهر أحد. قلتُ إنه معي لكنني أخبرتُها أنني لا أزال خائفة، وهذه لم تكن كذبة حتى لأنني شعرتُ ببعض الخوف. علمتُ أن أمي وأبي سيكونان غاية في الغضب. وعَدتُ جدتي أيضًا أن شيئًا كهذا لن يحدث مجددًا أبدًا. وبما أنها ماتت الآن، فأنا لا أعلم إن كنتُ أخلفتُ وعدي أم لا.

ناديتُ أمي بصوت عالٍ حالما دلفنا، لكن لم يجِب أحد. ثم رأيتُها. رأيتُ قدميها فقط في البداية، ممتدتان من وراء الأريكة كأنها مختبئة لكن دون أن تُبلي بلاءً حسنًا في الاختباء. عندما اقتربتُ منها، رأيتُ أنها ليست مختبئة. لم تكن تتحرَّك، عيناها مغمضتان ووجهها في بركة كبيرة من القيء على السجادة. صرختُ طلبًا لمساعدة والدة تايلور لأنني خفتُ بصدق. بدت أمي كأنها ميتة حقًّا، مثل المرة التي كُسرت عظامها فيها أسفل الدرج تمامًا. فاحت رائحة مروعة أيضًا. سال القيء في كل مكان إلى نهاية ذقنها وعلى ملابسها. أخبرتني والدة تايلور ألا أقلق، وأن أمي ليست بخير، لكنها ستُصبح على ما يرام. توجَّب عليَّ مساعدتها في نقل أمي إلى الطابق العلوي، ثم أخبرتني أن أذهب وأحضر تايلور من السيارة. يُمكنني القول إن تايلور لم ترغب في الدخول، لكنها فعلت. لا تزال ممتنعة عن الحديث معي رغم هذا. جلسنا على الأريكة، وأخبرتنا والدة تايلور أن نشغِّل التلفزيون ونَبقى في الطابق السفلي. أشعلته، لكن لم تُشاهده أي منَّا حقًّا، كان الصوت أضعف بكثير من أن يحجب الضوضاء القادمة من الأعلى. أخذتْ والدة تايلور أمي إلى الحمام لتنظفها. صرختْ أمي بصوت عالٍ للغاية، ثم بدأتْ تصيح بكل أنواع الأشياء.

أكثر ثلاثة أشياء أتذكَّرها مما صاحتْ به هي:

1. تبًّا لكِ (قالتها كثيرًا).
2. اخرجي من بيتي أيتها اللعينة (هذا ليس منزلها، بل منزل جدتي).
3. أنا لا أحتاج مساعدتكِ اللعينة.

كانت الثالثة أكثرها سخافةً على الإطلاق، لأنها بحاجة إلى مساعدة أحد بكل وضوح.

لم أسمع أمي تتحدث بهذه الطريقة من قبل إلى أي أحد عدا أبي. قالت إن والدة تايلور مختالة. المختال هو مَن يظن نفسه أفضل منك. لا أعتقد أن والدة تايلور تظن هذا، رغم أنها أفضل بكثير من أمي، هي أفضل أم على الإطلاق. كان مساءً بشعًا، لكن جزءًا خفيًّا صغيرًا مني كان سعيدًا، لأن ما حدث يعني أننا جميعًا نسينا فصلي من المدرسة.

لم تُغادر تايلور ووالدتها إلا عند عودة أبي إلى المنزل. قال: «آسف»، و«شكرًا لكِ» كثيرًا، كأنه لا يعرف أي كلمات أخرى ليقولها. ثم سألني عندما غادرتا إن كنتُ أريد تناول قطع الدجاج المقلية على العشاء. تناولناها ونحن جالسين على الأريكة أمام التلفزيون الكبير، الذي لا يزال مشتعلًا، ولا نزال لا نشاهده. نسي أبي الكاتشب، لكني لم أقل شيئًا. لم يعد لأمي أي عشاء، وأظنُّني أعلم السبب. في أثناء جلوسنا هناك دون أن نشاهد التلفزيون ونحن نتناول قطع الدجاج من دون كاتشب، أدركتُ للمرة الأولى أن أبي ربما يتمنَّى لو كانت أمي ميتة بقدري تمامًا.

الآن

الجمعة، 30 ديسمبر 2016

- كيف حالكِ يا آمبر؟ أرى أنكِ ما زلتِ تملكين بعض القوة. يروقني هذا.

بدت غرفتي في المستشفى أظلم قليلًا من سابقتها. أردتُ الصراخ حالما لمس إدوارد وجهي. أريد أن أختفي كي لا يستطيع رؤيتي ولا العثور عليَّ مجددًا أبدًا.

- وتتنفسين بمفردكِ الآن، هذه أخبار سارة، أحسنتِ فعلًا.

تنزلق أصابعه إلى عيني اليمنى ويفتحها. يمكنني فقط تبيُّن خيال شخص يلوح في الأفق من فوقي قبل أن يُسلِّط ضوءًا ساطعًا في عيني، ليُصيبني بالعمى تمامًا. كل ما أراه الآن هو بياض به وابل من النقاط المتحركة. يفعل الشيء نفسه بعيني اليسرى، ثم يعود عالمي إلى الظلمة.

- أعتقد أنكِ تتحسَّنين بسرعة كبيرة. ربما نحتاج فقط إلى إبطاء الأمور قليلًا.

أستطيع سماعه يفعل شيئًا، لكني لا أعرف ما هو. وحالما نفد مني الأمل وقبلتُ مصيري، سمعتُ الباب يُفتح.

سأل بول: «كيف حالها؟» لم أعلم لما هو هادئ للغاية حيال وجود هذا الرجل في غرفتي، ثم تذكَّرتُ أن كل ما يراه هو طبيب متخصص.

أجاب إدوارد: «أخشى أنني لستُ حقًّا أفضل مَن يُسأل عن هذا».

- آسف. قابلتُ الكثيرين ... ألم نتحدَّث من قبل؟

- لا أظن هذا. أنا مجرَّد حارس ليلي.

حارس؟ أنا لا أفهم.

- ... هذه بداية وردية الليل، لذا لا ينبغي لك حقًّا أن تكون هنا الآن.

- وينبغي لك أنت؟

عمَّ الصمت للحظة وخشيتُ مما سيحدُث بعدها.

- جلبتُ زوجتكِ للتو من الفحص. أنا أقوم بعملي فحسب.

أنت لم تخبره أنك زوجي. فكر يا بول، فكر.

قال بول: «أنا آسف، كان تصرفي وقحًا. أنا غاية في التعب، أعتذر منك. لا بدَّ أنك ترى الكثير بعملك في الورديات الليلية في هذا المكان».

- ستُذهل من الأشياء التي تحدث هنا بعدما يحلُّ الظلام. لا أمانع إن بقيت هنا لوقت أطول قليلًا، لتودعها، لكن يجب أن تغادر سريعًا. هذه قواعد المستشفى، أرجو أن تتفهَّم. لكن لا تقلق، سنعتني بها جيدًا في غيابك.

غادر إدوارد وصرتُ أنا وبول بمُفردنا. سحب كرسيًّا ليقترب من فراشي وجلس. يجب أن أجد طريقة لأخبره أن الرجل الذي تحدث إليه للتو يحتجزُني هنا. لا أفهم لماذا قال إدوارد إنه حارس ليلي أو لماذا صدَّقه بول. جاءت كلير إلى الغرفة وشعرتُ بالسعادة لأول مرة. إنها ذكية، ستَكتشِف الأمر.

- مَن كان هذا؟

- مجرَّد حارس ليلي، قال إننا يجب أن نغادر.

فقالت، وهي تجلس بجانب بول، إذ لم تَعد تجلس على الجانب المقابل: «إنه مُحق على الأغلب، لقد تأخر الوقت».

- لقد حركتْ إصبعها، أنتِ أيضًا رأيتِها، كانت تُشير إلى شيء ما، أنا متأكد.

أتذكَّر الأمر الآن، أشرتُ إلى لافتة الخروج، ظننتُه حلمًا لكنهما رأياني!

- رأيتُ أصبعها يتحرَّك أجل، لكنك سمعت ما قاله الطبيب قبل قليل. هناك مَن في غيبوبة ويُحركون أيديهم، ويفتحون أعينَهم، ويتحدَّثون حتى، لكنهم لا يزالون في غيبوبة. حركتها مثل شخص يَنتفِض في أثناء نومه عندما يُراوده حلم سيئ.

كان هذا أكثر من مجرَّد حلم سيئ.

- أظننا نحتاج إلى التحلِّي بالإيجابية، ونرى ما سيقولونه عندما تعود بقية النتائج...

قاطعته كلير لتقول: «أظننا نحتاج إلى أن نكون واقعيِّين».

لم يقل أحد شيئًا لبعض الوقت، ثم أردفتْ في النهاية: «إن كان لكلامي قيمة، فأنا لا أُصدقهم أيضًا».

- تظنين أن الأطباء يَكذبون علينا؟

- لا يكذبون، أنا لا أظنُّهم يُصغون فحسب. بدا حقًّا كأنها تُحاول التواصُل معنا وهم لا يعرفونها كما نعرفها نحن.

- إذن، لماذا لم تفعلها مجددًا؟

- هل طلبت منها هذا حتى؟ ماذا لو كانت نائمة هنا وتسمع كل كلمة من هذا الحديث؟

أخذت كلير يدي، شعرتُ بأصابعها باردة كالثلج، وقالت: «آمبر، إن كنتِ تسمعينَني اضغطي يدي».

- هذا غباء.

- ربما الأمر صعب للغاية عليها.

تركت يدي ووضعتها على الفراش مكانها ثم أردفت: «حسنًا، يا آمبر، نحن نُشاهد يدكِ اليُمنى. لو كنتِ تسمعينَني، حرِّكي إصبعكِ، قليلًا فقط».

أريد هذا، حاولتُ بكل جهدي، لكنه فعل شيئًا بي، أعلم أنه فعل. صببتُ جام تركيزي على يدي اليمنى، أشعر كأنني ألهث من شدة المجهود، لكن لم يحدث شيء.

وقالت كلير: «أنا آسفة».

- لا تتأسفي. أعلم أنكِ تحاولين المساعدة فقط. كنتِ محقة على الأغلب بشأن حصولنا على بعض الراحة أيضًا، ينبغي لنا المغادرة قريبًا.

لا أرجوكما.

- خمس دقائق، ثم سنرحل.

جلسنا نحن الثلاثة في صمت لبعض الوقت. أتمنَّى لو نتحدَّث، يُمكنني الشعور بأنني أنزلق إلى مكان آخر وأنا أحتاج حقًّا إلى شيء أتشبث به. تحدثت كلير أولًا وقالت: «سنحتاج إلى بعض المساعدة إن طالت هذه الحالة».

- لن تطول.

- أتمنى هذا أيضًا، لكن لو طال الأمر، لن نقدر على فعل هذا بمفردنا.

- بل نستطيع، سنتناوب على مرافقتها فقط.

- لبضعة أيام أخرى ربما، لكن ماذا بعد؟ سيُجن جنون ديڤيد من الاعتناء بالتوءمين، الأمور ليست مثلما كان والدانا هنا لمساعدتنا. أهناك أي أصدقاء لها يُمكننا الاتصال بهم؟

لم يرد بول، لكن أصرَّت كلير: «لا يزال لديها أصدقاء، أليس كذلك؟».

- تتحدث عن چو في العمل، يَخرجان معًا أحيانًا.

توتر الحديث وشعرتُ بالإعياء. استعادَت كلير رباطة جأشها قبلي وسألت: «صديقة تُدعى چو؟».

- أجل، امرأة.

يمكنني سماع تفكيرها تقريبًا، ثم سألته: «هل سبق أن قابلتها؟».

- لا، لماذا؟

- لا لشيء. حسنًا، ربما يُمكنها المساعدة.

- ليس معي رقمها.

- حسنًا، سيكون على هاتفها، أليس كذلك؟

أسمع بول يفتح شيئًا، ثم أتصوَّره يفتش حقيبة يدي، بدأت الغرفة تدور في اتجاه وفراشي يدور في الاتجاه الآخر. أستطيع سماع غنائها من بعيد، الفتاة ذات الرداء الوردي، لكن يجب أن أبقى هنا، يجب أن أمنع هذا من الحدوث. لا يُمكن لبول أن يُفتِّش هاتفي، ثمة أشياء لا يجب أن يراها. أظنني أتذكَّر شيئًا سيئًا. شيء لم يكن عليَّ فعله ومن شأنه أن يجعل أي زوج غاضبًا لو اكتشفه. تبدو الذِّكرى حقيقية، ويُصاحبها ذكرى أخرى. يدان قويتان محكمتان حول عنقي مجددًا، وأنا أنازع لأتنفس، ولأول مرة، أظنني أتذكَّر السبب. تراكمت المخاوف لتبني سدًّا عاليًا داخل رأسي يمنع أي شيء من الدخول أو الخروج.

ثم قال بول: «البطارية فارغة».

تباطأت الغرفة مجددًا، لكنها لم تتوقف كليًّا عن الدوران ليُردف بعدها: «سآخذه معي إلى المنزل الليلة وأشحنه».

سابقًا

الجمعة، 23 ديسمبر 2016 – عصرًا

قلتُ: «لا أصدق أنني فعلتُ هذا للتو».

ليجيب إدوارد: «ولا أنا، لكنني سعيد أنكِ فعلتِ».

- سيتحدث الجميع عني الآن، هربتُ مع غريب في مُنتصَف غداء الكريسماس.
- أنا بالكاد غريب.

سرنا إلى الحانة وجلسنا على الطاولة نفسها التي جلستُ عليها أنا وچو قبل بضعة أيام. أحب هذا المكان، يُشعرني بالأمان والألفة، كأن ما من شيء سيئ قد يَحدُث هنا أبدًا.

قلتُ له: «صارت الأمور صعبة بعض الشيء في العمل مؤخرًا. أفضِّل تناول مشروب سريع مع صديق قديم عن إجراء محادثة مهذبة حول البروسيكو الدافئ». صمتُّ للحظة وأنا أعلم أنني بحاجة لقول المزيد فأضفتُ: «لكن هذا كل ما في الأمر، صديقان يتناولان مشروبًا، لنكُن واضحين»

- مفهوم، ماذا أجلب لكِ؟
- أنا سأُحضر المشروبات.

أصررتُ وأخرجتُ محفظتي من حقيبة يدي وتركتُها على الكرسي. إنها ثقيلة بكل ما تحمله من أشياء لا أريد أن أتركها ورائي في المكتب، أشياء قد أحتاجها.

قال إدوارد: «في هذه الحالة، نصف لتر من أي بيرة لديهم في البرميل».

- نصف لتر إذن! سأعود بعد قليل.

كانت الحانة مزدحمة، ووجدتُ نفسي أحدِّق، في أثناء انتظاري، إلى الصور بالأبيض والأسود معلقة على الجدران. وجدتْ عيناي التاريخ المكتوب على أقرب إطار مني: 1926. يبدو المكان بمظهره نفسه تمامًا. يظل العالم يدور، ويُكرر نفسه مرارًا حتى يتغير شيء ما، وهذا لا يحدث لأننا لا نستطيع أن نُغير شيئًا. فكرتُ مليًّا وأدركتُ أن وجوه الموتى تبتسم إليَّ. أشَحتُ بنظري. عندما قُدم إليَّ طلبي أخيرًا، بدت قدماي مُلتصقتَين إلى السجادة ذات النقوش القبيحة، لتردعَني. اجتزتُ طريقي عبر الحشود إلى الطاولة، بنصف لتر مِن البيرة في يد، ونصف لتر من عصير الليمون في اليد الأخرى، وكيسين من الرقائق المتبَّلة بالجُبن والبصل بين أسناني. تغيَّر تعبير وجه إدوارد قليلًا وأنا أجلس. لم أستطع تفسير نظرته لذا تجاهلتُها، وقلتُ وأنا أرفع كأسي: «نخبك».

- نخبكِ.

- إذن ما خططك لقضاء الكريسماس؟

- سأعمل للأسف. لم يُحالفني الحظ، واختاروني لأعمل ليلًا من يوم الكريسماس إلى بداية العام الجديد.

- بئسَ.

- لا بأس، السهر طوال الليل ليس بالسوء الذي يظنه الناس.

تحرَّرتْ ذكرى من كلماته لتطفو على السطح فسألته: «هل تتذكَّر تخرجي؟» لأشاهد وجهه يُؤكِّد بابتسامة.

كانت الأجواء هينة لبعض الوقت، مريحة تقريبًا. تحدثنا عن العطلات والبلدان التي زرناها خلال السنوات التي لم نتواصل فيها، تنقلنا بأمان حول الذكريات المشتركة وإلى القصص التي لم نتشاركها. وضعنا مسافة صغيرة، واستعدنا النظام. اعتقدتُ أننا قد نكون في منطقة آمنة وبدأتُ أسترخي قليلًا قبل أن يسألني: «هل أنتِ سعيدة؟» وجدَت يده مكانًا قريبًا من يدي أكثر من اللازم لتستقرَّ فيه على الطاولة. سحبتُ كلتا يديَّ إلى مكانهما الآمن على ساقيَّ، وكوَّرتهما في قبضتَين ملتصقتَين، ثم أجبتُ: «أنا أحب زوجي».

- هذا ليس ما سألت عنه.

- إدوارد.

أنا لن أراه مجددًا، هذا هو الوداع الأخير. هو أيضًا يعلم هذا، لكنه لا يزال مُصرًّا على طرح هذا السؤال وكرر: «هل أنتِ سعيدة؟».

قررتُ أنني سأُجيبه، ثم سأُنهي شرابي وأعود إلى المنزل فقلتُ: «لا، لستُ «سعيدة» الآن بوجهٍ خاص. لكن هذا ليس بسبب زواجي».

- إذن ماذا؟

- الحياة فقط، حسبما أفترض. الأمر يصعُب شرحه.

- حاولي.

- لقد اقترفتُ أخطاءً وأنا أدفع ثمنها الآن.

الجمعة، 23 ديسمبر 2016 – بداية المساء

استيقظتُ وأنا أعاني صداعًا شديدًا ولا أفهم أين أنا ولا ما الذي حدث لي. آخر ما أتذكَّره هو حديثي مع إدوارد في الحانة. جلستُ. حركتي

المفاجئة جعلت الغرفة تتأرجح كأنني داخل قارب صغير في بحر هائج، لكنني لست في قارب، أنا على فراش. يسود الظلام الغرفة التي أنا فيها، والستائر مغلقة. منظر المكان ذي الإضاءة الخافتة ورائحته غريبان عليَّ، مزيج من المتعلقات القديمة والعرق. ما زلتُ لا أعرف أين أنا، لكن سرعان ما أدركتُ أنني دون ملابسي.

توقف الوقت للحظة فقط وأنا أنظر إلى جسدي الأبيض الشاحب. كل جزء مني أغطيه عادةً وأخفيه عن الأنظار، صار مكشوفًا الآن. صارت الأمور صاخبة وسريعة للغاية داخل رأسي. غرفة النوم التي أنا فيها ليست غرفتي. حدَّقتُ إلى الملاءات الغريبة عني ذات اللون الأزرق الداكن، سمعتُ صوت الدش من بعيد، وحاولتُ أن أحل لغز الطعم الغريب الذي يحمله فمي. تلفتُّ حولي بحثًا عن ملابسي ورأيتُها على الأرض. أنا لم أثمل حتى، شربتُ عصير ليمون فقط. لم أفعل أي شيء، لم أكن لأفعل هذا.

أنا لا أتذكَّر.

حاولتُ أن أتحرك، سحبتُ نفسي لأنزل عن الفراش. شعرتُ كأنني أتحرك بالتصوير البطيء وأنا أحاول الوقوف. بدأت الغرفة تلف وتدور بي مجددًا. أنا زئبق مسال حبيس متاهة. مهما أفعل، لا يبدو أنني أتدفق في الاتجاه الصحيح. انحنيتُ بجسدي إلى الأمام وأنا أريده أن يستجيب لأوامري، كلما انحنيتُ خشيتُ أنني سأنكسر. أسمع صفير رجل في مكان ما بعيد، صوت يضعفه سقوط الماء المندفع من الدش. أشعر بالاشمئزاز. يستحيل أن يكون هذا حقيقيًّا. أنا لستُ من النوع الذي قد يفعل هذا.

أجبرتُ نفسي على الوقوف وشعرتُ بألم بين ساقيَّ. لا أعلم إن كان حقيقيًّا أم أنني أتخيل فقط. حاولتُ أن أبعد عن ذهني الأفكار والشعور

واقتربتُ خطوة من كومة ملابسي التي تعرَّفتُ عليها. دارت الغرفة ثانيةً لتحاول إفقادي توازني. خفضتُ بصري إلى ساقيَّ لأرى وشمًا من الكدمات الزرقاء والخضراء على كلتا ركبتيَّ. حدث شيء غاية في السوء.

يجب أن أحاول تذكُّره.

تسارعت الأفكار في ذهني عبر فهرس من الذكريات الحديثة، لكن كل الملفات فارغة وصولًا إلى الحانة. شربتُ عصير الليمون فقط، أنا متأكدة. ذهبتُ إلى دورة المياه، ثم عدتُ وكنتُ سأغادر قريبًا. ثم ... لا شيء.

فتَّشتْ عيناي الغرفة من جديد. رأيتُ صورة مؤطرة بجانب الفراش ونسي جسدي كيف يتنفس. نسخة مني أصغر تنظر إليَّ وتضحك من مدى حماقتي. إدوارد الشاب يطوق كتفيها بذراعه ويجذبها إليه أكثر من اللازم قليلًا، رغم أنها لا يبدو عليها الممانعة. أتذكَّر التقاط هذه الصورة. كان تخرُّجي. قبل انفصالي عنه ببضعة أيام. أنا لم أرغب بالانفصال، اضطررتُ إلى ذلك. أحتفظ بها كل هذا الوقت. الفتى الذي في الصورة كبر ليصبح رجلًا لا أعرفه. رجل أخشاه كثيرًا الآن. وبطريقة ما أنا في شقته وملابسي على أرضه.

لا أريد أن أتذكَّر.

هذا ليس صحيحًا. يجب أن أخرج من هنا، لكنني لا أعلم أين أنا حتى. كنتُ مجرد حمقاء. أوقفتُ اشمئزازي من ذاتي مؤقتًا لاستوعب محيطي. كل شيء يبدو عليه شيء من القذارة. توجد صحف على الأرض، بريد غير مفتوح، زجاجة فارغة، ملابس غير مغسولة، أطباق متسخة، صندوق بيتزا مفتوح على السجادة به بعض قطع ممضوغة من الحواف المقرمشة. الهواء المحمَّل بالعفن خانق ويمكنني رؤية طبقة سميكة من الغبار على كل سطح. هناك آلة في الزاوية لم أكن متأكدة

من ماهيتها في البداية، ولكن تعرَّفتُ بعدها من هيكله أنه سرير شمسي قديم الطراز. لا شيء من هذا منطقي على الإطلاق.

وجدت عيناي ملابسي مجددًا، متروكة على السجادة الملطخة. جُرحتْ مشاعر جسدي الذي استمر في الاحتجاج وأنا أغطي نفسي بالملابس التي أستطيع العثور عليها، وأنسى التي لا أستطيع إيجادها. رأيتُ حقيبة يدي وبحثتُ عن هاتفي داخلها، لكنه ليس هناك. وجدتُ علبة اختبار الحمل المغلقة بدلًا منه، وشعرتُ بالغثيان يرتفع في حلقي. تلفتُّ حولي مجددًا، وتفقدتُ حطام حياة لستُ معتادة عليه، ثم رأيتُ هاتفي على طاولة. تحققتُ من التاريخ والوقت، لا نزال يوم الجمعة. توقف صوت الماء وتجمدتُ في مكاني. انتقلتْ ساقاي إلى النظام التلقائي وبدأتْ تتحرك لتجبرني على التعثر نحو الباب الوحيد في الغرفة.

أدرتُ المقبض وجذبتُه لأفتح الباب ويظهر ممر طويل ضيق. يمكنني سماع صفيره خلف باب في نهاية الممر الأخرى. السجادة البنية المتسخة مختفية بالكامل تقريبًا أسفل أكوام من الصحف القديمة وتفوح رائحة رطوبة قوية. لاحظتُ لوحين كبيرين من الفلين معلقَين على الجدران وتعرَّفتُ عليهما من فوري، كانا معه في غرفته بالجامعة. كانا مغطيَين بصورنا وقتها وما زالا كذلك، ولكن أُضيفت الآن صور أحدث أيضًا إلى هذه المجموعة، صور لي فقط هذه المرة. وأنا أمام محل عملي، أقرأ صحيفة في مترو الأنفاق، أحتسي القهوة في مقهى في نهاية شارع منزلي قبل أقل من أسبوع - تعرَّفتُ على معطفي الجديد. لا بد أنها أكثر من مائة صورة ووجهي يحدق إليَّ من كل صورة. أشَحتُ بنظري. يجب أن أخرج. الآن.

رأيتُ ما يبدو كبابٍ أمامي بين الغرفة التي أنا فيها ومكانه. أعلم أن الوقت ينفد مني وأنا أترنح بين الجدار والمخلفات المكومة عاليًا. بذلتُ جهدًا لأثبِّتَ يديَّ بقدر كافٍ لأرفع خطاف السلسلة وأخرج إلى ظلمة أحلك. أنا في الخارج لكني في مكان مرتفع، في بداية ممشى ما بين بنايات سكنية كبيرة. التفتُّ سريعًا لألقي نظرة على الرقم الموضوع على الباب الأزرق الداكن الذي مررتُ خلاله للتو، ثم بدأتُ أبتعد. لم أتوقف حتى لأغلقه خلفي. استمتعتُ بصدمة وألم الهواء البارد، وشعرتُ أنه يتسلل داخل ساعديَّ، أسفل بلوزتي، وتنورتي. طرفتُ بعيني لأمنع دموعي. أنا لا أستحق شفقة أحد، ولا حتى شفقتي.

سابقًا

الثلاثاء، 15 ديسمبر 1992

مذكراتي العزيزة،

جميعنا معًا في المنزل الآن، أمي، وأبي، وأنا. لا أزال مفصولة من المدرسة، ليس وكأن هناك مَن يهتم. توقَّف أبي عن الذهاب إلى العمل. يقول إنه فعل هذا كي يتمكن من رعاية أمي لأنها ليست بخير، لكنه يجلس في الطابق السفلي طوال اليوم يشاهد التلفزيون، في حين تبقى هي في غرفة نومها. يقول إنني كبيرة بما يكفي لأعرف الحقيقة وأن أمي كانت حبلى قبل أن تسقط من أعلى الدرج ومات الجنين. ولهذا ثملتْ كثيرًا لدرجة المرض ولهذا أيضًا صرختْ في وجه والدة تايلور ذلك اليوم. ظننتُ أن الناس يصيحون بكلام وقح في غضبهم فقط، لكن يقول أبي إن بعض الناس يفعلون ذلك وقت حزنهم أيضًا.

لم أعلم أن أمي كانت حبلى، لكنني سعيدة لأنها لم تعد كذلك، هذا أمر مثير للاشمئزاز. سألتُ أبي إن كانت ستحمل مجددًا وقال لا لأنهم توجب عليهم إزالة شيء من بطنها في المستشفى. سعدتُ بهذا. لا يمكنهما الاعتناء بي جيدًا حتى، ليس من المنطقي إطلاقًا أن ينجبا طفلًا آخر. قلقتُ قليلًا أنهما قد يتبنَّيان أختًا أو أخًا مزيفًا لإسعاد أمي مرة أخرى. لا أريد واحدًا من هؤلاء أيضًا.

دائمًا ما يضطر أبي إلى الخروج سريعًا لشراء هذا أو ذاك، لكن يعود في بعض الأحيان خالي الوفاض تمامًا. أعتقد أنه يجب أن يبدأ في كتابة القوائم حتى لا يظل ينسى الأغراض، هذا ما اعتادت جدتي أن تفعله. طلب مني أن أُبقي عيني على أمي وهو في الخارج لجلب بعض الخبز والحليب وبطاقة اليانصيب. كان ذلك شائكًا، لأنني لم أرغب في النظر إليها. كان باب غرفة النوم مواربًا قليلًا لذلك قررتُ أن أراقبها منه وأنا أغمض إحدى عينيَّ كما قال أبي. اعتقدتُ أنها قد ترغب في سماعي وأنا أغني، بما أنها فاتها حفل الكريسماس هذا العام. لذلك ألَّفتُ أغنية طريفة غنيتها لها من باسطة الدرج.

ماذا نفعل مع أم ثملة؟

ماذا نفعل مع أم ثملة؟

ماذا نفعل مع أم ثملة؟

في أحد الأصباح البُكْرة.

حتى إنني ألَّفتُ رقصة تتماشى معها وأنا أقلد الشرب من زجاجات عدة. لم تضحك، لذا ربما كانت لا تزال نائمة. تنام كثيرًا. يقول أبي إن الحزن ينهكها.

عندما عاد أبي قال إننا بحاجة إلى التحدث قليلًا. نسي اللبن مجددًا، لكني لم أخبره لأنه بدا قلقًا للغاية بشأن شيء ما بالفعل. جلسنا على طاولة المطبخ وظننتُ في البداية أنه نسي ما أراد أن يتحدث بشأنه، ثم تغيرتْ تعابير وجهه وقال إننا سيتوجب علينا أن ننتقل مجددًا. قلت لأبي إنني لا أريد الانتقال مرة أخرى، لكنه قال إننا مضطرون. سألتُه إن كان ذلك خطئي، لأنني فُصلتُ من المدرسة، وقال لا. بدأ يشرح لي، لكن كلماته اختلطتْ كلها في طريقها إلى أذنيَّ لأنني كنتُ أبكي دون قصد.

الأمر له علاقة بسيدة تُدعى وصية. كان من المفترض أن تتحدث إليها جدتي قبل وفاتها، لكنها نسيت والآن يجب أن ننتقل لأن الناس يستمرون في نسيان الأشياء. قال أبي إن خالتي غاضبة للغاية لأن جدتي لم تتحدث مع وصية. لم أعلم حتى أن أمي لديها أخت. قال أبي إنني قابلتها بضع مرات عندما كنتُ صغيرة للغاية، لكني لا أتذكَّرها على الإطلاق. قال إن شقيقة أمي لم تتحدث إليها أو إلى جدتي لأعوام، لكن جدتي توفت وقررتْ أنها ستأخذ نصف منزلها. سألتُه إن كان يمكننا العيش في النصف الآخر، لكنه قال لا، وأن الأمر لا يسير هكذا. سألتُه إن كان بإمكاننا البقاء لو تطابقت الأرقام الثلاثة في بطاقة اليانصيب، فقال إنه كشطها بالفعل ولم نفز.

كل هذا جعلني حزينة للغاية، لذا سألتُ أبي لو يمكنني الصعود إلى الطابق العلوي والقراءة في غرفتي لبعض الوقت وقال أجل ما دمتُ سأكون هادئة ولن أزعج أمي. قال إن علينا الاعتناء بأمي جيدًا لأنها مستاءة من هذا كله أكثر منَّا حتى. لا أفهم لماذا يجب أن أعتني بها من الأساس. كان من المفترض أن تعتني بجدتي ولم تُجِد عملها لذا قتلها السرطان. لا يسعني مؤخرًا سوى التفكير في أنه لو اعتنى شخص أفضل، مثل والدة تايلور، بجدتي في مرضها، لكانت تحسنتْ وما زالتْ على قيد الحياة الآن. كان كل شيء سيظل جيدًا ولن نضطر إلى الاستمرار في التنقل من منزل إلى آخر. هذا كله خطأ أمي، حتى لو كان أبي أغبى من أن يرى هذا. لقد دمرتْ أمي كل شيء للجميع ولن أسامحها أبدًا.

الآن

عشية رأس السنة الجديدة، 2016

أيقظني صوت، سمعتُه من قبل. مال الفراش بي إلى الخلف، لذا أصبحتْ قدماي متجهتين إلى السقف واندفع الدم إلى رأسي. حملوني أكثر قليلًا إلى نهاية طرف الفراش، وخشيتُ أن أسقط دون أن يمسك بي أحد، لكنهم بعدها تركوا رأسي يميل إلى الخلف برفق وشعرتُ بماء دافئ وأنامل لطيفة على فروة رأسي.

سأصفف شعري اليوم، لم أحتَج إلى حجز موعد حتى! يمكنني شم رائحة الشامبو وتصور الرغوة، وإن حاولتُ بجد حقًّا، يمكنني إقناع نفسي لبضع ثوانٍ بأنني في صالون تصفيف الشعر، وأن حياتي عادتْ إلى نسختها الطبيعية. حاولتُ استخلاص بعض المتعة من التجربة، وحاولتُ الاسترخاء، وتذكُّر ما يعنيه هذا.

أفكر في الوقت كثيرًا منذ أن فقدته. الساعات ملتصقة هنا بعضها ببعض ويصعب فصلها. يتحدث الناس عن مرور الوقت، ولكن هنا، في هذه الغرفة، لا يمر الوقت على الإطلاق. يزحف ويماطل ويغطي جدران عقلك بذكريات ملطخة بالوحل، فلا يمكنك رؤية ما أمامك أو خلفك. يأكل أولئك الذين ينجرفون على شواطئه وأنا بحاجة إلى السباحة بعيدًا الآن، أحتاج إلى اللحاق بنفسي في نهاية التيار.

قال صوت عطوف قبل أن تلفَّ منشفة حول رأسي: «يجب أن يُشعركِ هذا بتحسن، تخلصنا من كل الدم الجاف». أتخيل الدم يلطخ الخزف الأبيض ومدار أحمر يتناقص باستمرار حتى يُغسل جزء آخر مني. قالت كلير: «أنا سأفعل هذا، لا بد أنكِ مشغولة للغاية حسبما أتصور، لا مشكلة». كانت تشاهدني، بهدوء شديد لدرجة أنني لم أعلم حتى بوجودها هنا. الممرضات يحببنها، يمكنني معرفة هذا. يميل الناس إلى الإعجاب بنسختها التي تسمح لهم برؤيتها. أعادوا السرير في وضعه الطبيعي وتركانا بمفردنا. تجفف كلير شعري، ثم تضفِّره كما كنا نفعل بعضنا لبعض في طفولتنا. لم تقل كلمة واحدة.

قال بول الذي أتى إلى غرفتي حالما انتهت: «أتيتِ هنا باكرًا».

- ما زلت لا أستطيع النوم.

أبدو كأنني نائمة طوال الوقت، لكنني لستُ كذلك، وحتى عندما أنام حقًّا، فالناس في حالة مستمرة من الذهاب والجيئة. يقلبونني، ينظفونني، يخدرونني. لم يعد إدوارد منذ فترة، لا أتذكَّر مجيئه هنا على الأقل. أقول لنفسي إنه قد يتركني وشأني الآن، ربما وقتها سأستيقظ حقًّا، إلى الأبد.

قال بول: «حدث شيء غريب الليلة الماضية».

- ماذا.

فضَّلتُ وجودهما عندما التزما بقاعدة مغادرة أحدهما عند وصول الآخر. إنهما يقضيان وقتًا أكثر من اللازم معًا الآن ولا خير قد يأتي من وراء ذلك.

- شحنتُ هاتف آمبر، لكن لم يكن هناك رقم لأي شخص يدعى چو.

- هذا غريب.

- اتصلتُ برئيسها، اعتقدتُ أنه سيستطيع إعطائي رقمها. كان لطيفًا للغاية في البداية، لكنه توتر بعدها وقال إنه لا يستطيع إعطائي إياه، لأنه لا يعرف أي شخص باسم چو.

- أنا لا أفهم.

أعلم أنها تفهم.

- لا أحد في «قهوة الصباح» يُدعى چو. سألته لو كان لقبًا، أو شيئًا ما، وأخبرتُه أنها كانت صديقة آمبر في العمل حتمًا. اضطرب تمامًا حينها وحاول أن يجد طريقة مهذبة ليخبرني أن آمبر لم يكن لها أي أصدقاء في العمل.

توقف أرجوك.

- كم هذا غريب!

- بدأتُ أفهم لماذا استقالت، بدا الرجل وغدًا.

كف عن الحديث أرجوك.

سألتْه كلير: «استقالت؟».

لا تقل كلمة أخرى.

- آسف، قالت لي ألَّا أخبركِ، لقد نسيتُ.

- لماذا؟

- لم تعد سعيدة هناك فحسب.

- لا، أعني لمَ لم ترِدْك أن تخبرني؟

- لا أعلم.

سابقًا

الجمعة، 23 ديسمبر 2016، مساءً

لا يمكنني النظر إلى عينَي سائق السيارة الأجرة ونحن نتوقف أمام منزلي. استطعتُ أن أراه ينظر إليَّ مرارًا في المرآة الأمامية، وهو يبتعد بي عن البنايات السكنية، دون أن أعلم إن كانت عيناه تحملان نظرة اشمئزاز أم قلق. ربما كلاهما. أعطيته أجرته نقدًا ولم أنتظر الباقي، تمتمتُ لأشكره قبل أن أترجَّل وأغلق الباب. أول ما رأيته، عندما انطلقت السيارة مبتعدةً، هي سيارة بول المصطفَّة في الخارج. لم يخبرني أنه قادم الليلة. بالكاد تواصلنا.

بحثتُ داخل حقيبة يدي عن نعناع ورششتُ نفسي بشيء من العطر. وجدتُ مرآتي الصغيرة المدمجة وفحصتُ أجزاء مختلفة من وجهي في وهج ضوء الشارع أمام المنزل. إنها المرة الأولى التي أنظر فيها إلى عينيَّ منذ أن استيقظتُ في سرير شخص آخر. زال معظم مكياچي، ساح إلى نهاية وجهي. لا عجب أن سائق السيارة الأجرة كان يحدِّق إليَّ. لعقتُ أصابعي وفركتُ الجلد أسفل عينيَّ قبل أن أتفقَّد انعكاسي مرة أخرى. ما زلتُ أبدو مثلي، رغم أنني لستُ كذلك.

دلفتُ من الرصيف إلى بيتنا، لأعبر حدودًا غير مرئية وأغلق البوابة خلفي، وأنا عازمة على قرار المضي قدمًا بحذر. الهواء بارد جدًّا لدرجة

أن خشب البوابة المتجمد يحتاج إلى الإقناع ليُغلق بالكامل وآلم أطراف أناملي احتجاجًا. أجبرتُ نفسي على السير نحو المنزل، تاركةً في الشارع كل الحقائق التي لم نشاركها. مسحتُ ببصري واجهة منزلنا وأنا أسير في ممر الحصى. يبدو المكان متعبًا، غير محبوب، وبحاجة إلى بعض الاهتمام. تقشر الطلاء الأبيض في بضعة مواضع، مثل جلد محروق من الشمس. كل ما في الحديقة يبدو ميتًا أو محتضرًا. يتعالى جذع شجرة الوستارية السميك ويتفرَّع إلى شبكة من الأوردة البنية الجافة على واجهة المنزل بالكامل، كأنها لن تزهر مرة أخرى. أحاول أن أخبر نفسي أنني ربما لم أفعل أي شيء خاطئ، لكن شعوري بالذنب مما لا أستطيع تذكُّره أو لن أتذكَّره أبطأ خطواتي. تصرفتُ مع مادلين، لكن أخشى الآن أنني أواجه شيئًا أسوأ بكثير.

بحثتُ عن مفاتيحي في حقيبتي، لكنني لم أستطع العثور عليها لذا قرعتُ الجرس. انتظرتُ لفترة، ثم وكزني البرد ونفد صبري وقرعتُه مجددًا. فتح بول الباب. لم يقل أي شيء ووقف كل منا في مكانه فقط كأنني أنتظر دعوة لدخول منزلي. الجو بارد لذا دلفتُ إلى المنزل ودفعتُه بجسدي دون قصد.

قال، وهو يغلق الباب خلفي: «تأخرتِ عن موعد عودتكِ».

- أجل، حفل الكريسماس. كيف حال والدتك؟

- أمي؟ أجل، إنها بخير. أظننا بحاجة إلى الحديث.

إنه يعلم.

أجبرتُ نفسي على رفع بصري وواجهته وأنا أقول: «حسنًا، تحدث».

- ثمة ما أحتاج إلى إخباركِ إياه. ربما من الأفضل أن نجلس.

بل لا يعلم، لكن لا يهم. لقد تأخرتُ كثيرًا.

- قد أحصل على كأس من الشراب أولًا، أتريد واحدة؟

هزَّ رأسه نافيًا وانسحبتُ إلى المطبخ. أخذتُ زجاجة نبيذ أحمر، لا يهم أيها. ترددتُ وأنا أمد يدي إلى الكأس، ثم تحكمتُ بخوفي، كأس واحدة لن تسبب أي ضرر. كل شيء أصبح بلا معنى على أي حال. يريد أن يخبرني أن زواجنا انتهى، كل ما تبقى هو الإصغاء إليه. لا يهم حتى ما فعلته أو لم أفعله، لقد قرر لكلينا بالفعل.

وجدتُ فتَّاحة الزجاجات، وتمسكتُ بها في محاولة لتثبيت يديَّ وأنا أشرع بلفها إلى نهاية السدادة، كي أمزقها من الداخل إلى الخارج. زحفت المفارقة حول ذراعي وأنا أدير معصمي، صعدت من كتفي إلى حلقي، خنقتني حتى لا تخرج الكلمات ولا يدخل الهواء. يتردد اسمها داخل رأسي بصوت عالٍ. أحتاج إلى كلير. أحتاج إليها بشدة الآن، وأكرهها في الوقت ذاته. اعتقدتُ أن اليوم كان انتصارًا، لكن أشعر الآن كأنني كنتُ ألعب اللعبة الخاطئة. بدا صوت السدادة، وهي تُسحب من الزجاجة، أقل إرضاءً من المعتاد. أمسكتُها بين أصابعي لثانية، لا تزال تبدو مثالية من بعض الزوايا، لن تعرف أبدًا أنها متضررة للغاية من الداخل.

جلس بول على الأريكة المخصصة للضيوف عادةً. وقفتُ مكاني للحظة، ثم جلستُ أمامه في مقعدي المعتاد. أشعر أنني متسخة ومحطمة، لكن لا يبدو أنه يلاحظ.

استهل بقوله: «لستُ متأكدًا من أين أبدأ». بدا متوترًا كالأطفال. اعتدتُ أن أجد هذا جميلًا، أتمنى الآن أن ينضج فحسب ويكمل حديثه ويقولها. لم أقل أي شيء، لن أُيسِّر هذا عليه، بغض النظر من أين أتيتُ للتو أو ما قد أكون فعلتُه.

أردف: «كنتُ أكذب عليكِ». ما زال لا ينظر إليَّ، يحدِّق إلى مكان ما بالأرض فحسب فسألتُه: «بأي شأن؟».

- لم أكن عند أمي البارحة. كنتُ هناك في المرة التي قبلها، وهي وقعتْ حقًّا، لكن عندما غادرتُ صباح البارحة لم أكن ذاهبًا إلى هناك.

أخذتُ رشفة من النبيذ. أدركتُ الآن أنني كنتُ أنظر إلى الاتجاه الخاطئ قبل عبور طريق مزدحم. نفد صبري وأنا أحتاج إلى أن ينتهي هذا العرض فسألتُه: «مَن هي؟».

نظر إليَّ وقتها وسألني: «مَن؟».

- مَن تخونني معها.

لا تزال يداي ترتجفان قليلًا لذا تركتُ الكأس.

هزَّ بول رأسه وضحك مني قبل أن يجيب: «أنا لا أخونكِ. **يا إلهي!** كنتُ مع وكيلتي».

أخذتُ لحظة لأستوعب هذه المعلومة غير المتوقعة وسألتُه: «وكيلتك؟».

- أجل. لم أرغب في إخباركِ إلا عندما أتأكد بنسبة مئة بالمئة، لم أرغب في رفع آمالكِ، لأخذلكِ بعدها مجددًا.

- ما الذي تتحدث عنه؟

- ألَّفتُ كتابًا آخر. لم أعتقد أنه جيد على الإطلاق، لم أعتقد أن أي شيء سيكون جيدًا أبدًا، لكنهم باعوه، باعوه في كل مكان. اكتشفتُ أنها ستقيم مزادًا له عندما كنتُ في مقاطعة «نورفولك»، تشتت تفكيري وأنا مع أمي لدرجة أنني لم أصدق الأمر. لكنه حقيقي ويتحدثون عن دفع مبالغ طائلة. إنهم يحبون العمل يا آمبر، وهناك حرب من المزايدات عليه في الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا، أصبحت الأمور جنونية، ثلاث عشرة منطقة حتى الآن. وأفضل شيء أنهم يتحدثون عن تعاقد على فيلم. لم ينتهِ الاتفاق بالكامل بعد، لكن العقد يبدو جيدًا للغاية.

إنه يبتسم، يبتسم حقًّا، أدركتُ أنني لا أتذكَّر آخر مرة بدا فيها بهذه السعادة. أنا أيضًا أبتسم، يبدو الأمر معديًا ولا يسعني سوى الابتسام. لكني بعدها تذكَّرتُ شيئًا لا يمكنني نسيانه فقلتُ: «كان هناك ملابس داخلية في خزانة ملابسك. واختفتِ الآن».

- ماذا؟

- لقد اشتريت ملابس داخلية لشخص آخر. لقد وجدتُها. لم تكن مقاسي.

لم أستطع للحظة أن أعرف إن كان غاضبًا أو مستمتعًا بما قلته، ثم قال: «اشتريتُها **لكِ**، كان مقاسها خاطئًا، لذا أعدتُها. إن صعدتِ إلى الطابق العلوي الآن، ستجدين الحقيبة نفسها التي تحتوي على ما اعتقدتُ أنني اشتريتُه أول مرة، مخبأة في المكان نفسه. أو حيث كان يُفترض أن يظل مخبئًا إلى يوم الكريسماس على الأقل. أنتِ لم تعتقدي حقًّا أنني أخونكِ، أليس كذلك؟».

شرعتُ في البكاء. لم أستطع منع نفسي.

- أنا آسف للغاية يا عزيزتي

قالها، ثم عانقني، تركتُه يعانقني وهو يتابع: «أعلم أن الأمور لم تكن بأفضل حال لفترة طويلة، لكني أحبكِ، أحبكِ أنتِ فقط. أعلم أنني كنتُ مستغرقًا في الكتاب خلال الأشهر القليلة الماضية وأنا آسف لو كنتُ بعيدًا. لقد مررنا بالكثير وأنا بالطبع محبط بشأن مسألة الإنجاب، لكنكِ الشخص الوحيد الذي أريد قضاء حياتي معه ولن يتغير ذلك أبدًا. هل تفهمين؟».

يمكنني أن أخبره الآن أنني قد أكون حبلى. أبعدتُ الفكرة عن ذهني حالما فكرتُ فيها. لم أجرِ الاختبار بعد، لا يمكنني إخباره قبل أن أتأكد. أتأكد حقًّا. لا يمكنني رفع آماله. لقد كنتُ حمقاء.

قبّلني. قبّلني حقًّا، كما لم يفعل لوقت طويل. لا أريده أن يتوقف، لكن عندما توقف فتحتُ عينيَّ وكان مبتسمًا لي مجددًا. ابتسمت له. السعادة التي أشعر بها حقيقية.

ثم قال: «هناك شيء واحد آخر فحسب».

تلاشت الابتسامات المتطابقة سريعًا وسألته: «ماذا؟».

- سأحتاج إلى السفر إلى أمريكا لبعض الوقت. جزء من العقد يتضمن القيام ببعض الدعاية، وإن تم أمر الفيلم، قد أحتاج إلى قضاء بعض الوقت في لوس أنجلوس. أعلم أنه شيء كان ينبغي أن نتحدث بشأنه أولًا، لكني ... قلتُ ... موافق.

- أهذا هو الأمر؟ هذا ما كنتُ قلقًا بشأن إخباري إياه؟

- أنا لستُ متأكدًا من طول المدة التي سأغيبها، قد يستمر الأمر لبضعة أشهر وأنا أعلم أن الأمور لم تكن جيدة مؤخرًا. يجب أن أفعل هذا. أعلم أنكِ دائمًا ما قلتِ إنكِ لا يمكنكِ الابتعاد كثيرًا عن عائلتكِ وأعلم أنكِ لا تستطيعين التخلي عن وظيفتكِ ببساطة، لكن يمكنكِ السفر لزيارتي وأنا سأعود عندما أستطيع. أعلم تمامًا أننا نستطيع إنجاح الأمر إن أراد كلانا هذا.

أومأتُ بهدوء وأخذتُ لحظة لأستوعب كل شيء فأضاف: «وأنا أعلم أنكِ تخافين عندما لا أكون هنا». توجهتُ إليه بنظرة لذا تابع: «حسنًا، لا تخافين، تقلقين فقط، مثلما اعتقدتِ أن هناك شخصًا ما في الحديقة الخلفية في جوف الليل الأسبوع الماضي. كنتُ أفكر في هذا أيضًا وأريدكِ أن تشعري بالأمان في أثناء غيابي. رأيتُ هذه الكاميرات الأمنية الصغيرة التي يمكنكِ شراؤها الآن، تعمل بالحركة، دون أسلاك، ودون عناء. سأطلبها وأثبِّتها في الجزء الخلفي من المنزل. ستتمكنين من بث التصوير على هاتفكِ إذا كنتِ تريدين وسترين بنفسكِ أنه ما من أحد هناك».

- لقد استقلتُ اليوم.

- ماذا؟

- سلَّمتُ إشعارًا باستقالتي. أخبرتُ ماثيو بهذا قبل أن أغادر حفل الكريسماس.

- لماذا؟

- لقد مررتُ بأفظع أسبوع في العمل. إنها قصة طويلة. حان وقت تركي للعمل. لذا إن كنت تريدني أن آتي معك حقًّا، فسأفعل إذن.

- أريد بالطبع، أنا أحبكِ!

كان يعني الكلمات حقًّا، إنها حقيقية، والدموع التي جعلتني أذرفها كانت حقيقية أيضًا. نحن لا نمثل، نحن على طبيعتنا فحسب، ونشعر أننا أخف بكثير. سيطرتْ على وجهه ابتسامة عريضة للغاية أظنها قد تبتلعه. أردتُ أن أرد له الابتسامة مرة أخرى، لكن شقَّتْ فكرةٌ طريقها إلى ذهني وأفسدت الأمور. أفكر في المكان الذي استيقظتُ فيه. الألم الضعيف الذي بين ساقيَّ، علبة اختبار الحمل التي لم تُفتح بعد في حقيبة يدي. فكرتُ في كلير. أخباري الكثيرة التي لا أستطيع مشاركتها ولن أستطيع. أنا بحاجة إلى الاستحمام. أحتاج إلى أن أغسل أيًّا ما حدث. رأى وجهي يتغير فسألني: «ما الأمر؟ ما الخطب؟».

- لا يمكننا أن نخبر أي أحد بهذا الشأن، ليس بعد.

- سنحتاج إلى إخبار بعض الناس.

- ليس بعد، أرجوك. ولا حتى العائلة.

- لماذا؟

- عِدني فقط.

- حسنًا، أعدكِ.

سابقًا

الجمعة، 18 ديسمبر 1992

مذكراتي العزيزة،

مرَّ أسبوع كامل منذ أن رأيتُ تايلور ولديَّ الكثير لأخبرها إياه. كتبتُ أكثره في بطاقة معايدتي لها في الكريسماس، لكني لم أستطع كتابته كله، رغم أنني كتبتُ بخط صغير حقًّا. أعلم أنها تسلَّمتها، سلمتُها بنفسي لأن أبي نسي شراء الطوابع. طرقتُ بابها، لكن لم يجِبني أحد لذا دفعتُها خلال صندوق البريد. أتمنى أن تتصل بي لاحقًا، لأنني بحاجة إلى الحديث معها حقًّا.

يتردد غرباء على منزلنا وهذا لا يروقني. جاء رجل طويل نحيل أصلع تمامًا وتحدث إلى أبي وأمي. قال إن اسمه روچر ولديه ابتسامة بيضاء مزيفة. روچر سمسار عقارات ويرتدي بدلات لامعة. قال إنه يظن أنه من الأفضل عدم وجودنا في المنزل وقت عرضه للناس. لم يقل لماذا، لكن أتوقع لأن أمي في حالة من الفوضى الآن، يظن على الأغلب أنها ستخيف الناس.

أخبرني أبي أنه لا يعتقد أن أي شخص سيرغب في شراء منزل جدتي قُبيل الكريسماس، لكنه كان مخطئًا. جاء الناس أول شيء هذا الصباح، قبل أن أرتدي ملابسي حتى، للمعاينة، هكذا يسميها روچر.

يطرق الباب، في بعض الأحيان، لكنه في أحيان أخرى يسمح لنفسه بالدخول لأنه يملك مفتاحه الخاص. يتحدث عن منزل جدتي كأنه يعيش هنا، لكنه لم يعِش هنا قط، ويستمر في تفسير كل شيء بطريقة خاطئة.

لم أقصد أن أفقد أعصابي. كان لدى أبي مقابلة عمل بعد ظهر اليوم، إذ قرر الحصول على وظيفة جديدة. وذهبتْ أمي سريعًا إلى المتجر على الناصية لشراء علبة من الفاصوليا المخبوزة، لذا كنتُ هنا بمفردي عندما سمح روچر لنفسه بالدخول. تسللتُ من غرفتي ورأيتُ قمة رأسه اللامع عبر الدرابزين. ظل يتحدث بصوت عالٍ للغاية، كممثل على خشبة المسرح في إحدى المسرحيات التي اعتادت جدتي أن تأخذني لمشاهدتها. يفعل الممثلون هذا كي يتمكن المتفرجون في أرخص المقاعد بالخلف أن يسمعوا المسرحية. كان روچر يصيح أمام زوجين بدينين رغم أنهما وقفا بجانبه مباشرةً. تساءلتُ إن كانا يعانيان ضعف السمع مثل جدي. تجولا في جميع أنحاء الصالة مثل البط الذي أُطعم الكثير من الخبز القديم ولم يرُقني مظهرهما.

تحدث روچر بصوت عالٍ لدرجة أنني التقطتُ سنَّادة أبي الحناء وأغلقتُ باب غرفتي بهدوء، لكن ما زلتُ أسمعهم. حاولتُ أن أقرأ كتابي، لكنني لم أستطع التركيز، وأنا أعلم أنهم يتجولون هناك حيث لا ينبغي لهم. صعدوا الدرج، الذي أصدر صريرًا أكثر من المعتاد حتى، ثم أمضوا وقتًا طويلًا في النظر إلى الحمام. إنه ليس حمامًا كبيرًا للغاية، به كل الأشياء العادية، لذا لستُ متأكدة ما الذي يستغرق كل هذا الوقت الطويل. كان الأمر أشبه بالاستماع إلى لصوص يتجولون في منزلك، مع فارق أن أبي وأمي هما مَن دعوَاهم للدخول.

دلفوا إلى ما اعتادت أن تكون غرفة أبي وأمي. كانوا على الجانب الآخر من جدار غرفة نومي مباشرةً وسمعتُ الرجل البدين، وهو يقول

عن منزلنا إنه «مهجور»، متسائلة عمَّا يعنيه ذلك. أمي مَن تنام فقط في تلك الغرفة الآن وأنا أكرهها، لكنني ما زلتُ لا أحب فكرة وجودهم هناك ولمسهم لأغراضها. بدأت المرأة البدينة تتحدث، ولم تقل الكثير قبلها، وكانت هي مَن أغضبتني حقًّا، وليس روچر أو الرجل الآخر.

الأشياء الثلاثة التي قالتها وجعلتني أفقد أعصابي هي:

1. ما من أحد في كامل قواه العقلية سيريد العيش هنا.
2. يحتاج إلى هدمه حقًّا.
3. إنه منزل صغير قبيح.

شعرتُ بأنفاسي تتسارع والأصوات داخل رأسي تصبح صاخبة حقًّا، كما يحدث عندما أغضب بشدة. لم أصدق أن أي شخص يمكنه أن يكون بهذه الوقاحة والغباء. لم أعرف ما الذي سأفعله، ولم أخطط للأمر، لكن توجَّب عليَّ أن أفعل شيئًا. لم أرِد أن يشتري الزوجان البدينان البغيضان منزل جدتي. لم أقصد أن أفعل شيئًا سيئًا، أعتقد أنني أردتهم أن يرحلوا فقط.

حدث كل شيء بسرعة كبيرة. سمعتهم يغادرون غرفة أمي ويمشون على طول الرواق، ثم فتح روچر باب غرفة نومي فصرختُ بأعلى صوت عندي لفترة طويلة حقًّا. بدت المرأة السمينة مرعوبة وبدا روچر خائفًا بعض الشيء أيضًا، أمَّا الرجل البدين فكان وجهه أحمر قليلًا بالفعل من صعود الدرج واعتقدتُ أنه قد يصاب بنوبة قلبية. قال روچر: «اهدئي يا صغيرة». جعلني هذا أكثر غضبًا، أنا لستُ فتاة صغيرة. ثم قال إنهم لم يقصدوا إخافتي، وهذا غباء. لم يخيفوني، أنا مَن أخفتُهم. أردتُ منهم

المغادرة بعدها، لذلك قلتُ ما قالته أمي لوالدة تايلور عندما أرادتها أن تخرج. صحتُ قائلةً: «اخرج من منزلي، أيها اللعين!» مرارًا وتكرارًا بصوت عالٍ حقًّا. حتى عندما وصلوا إلى نهاية الدرج، وقفتُ على العتبة وأنا لا أزال أصرخ في وجوههم. ثم ألقيتُ سنَّادة الباب الحديدية على رأس روچر لكنني لم أصِبه، واصطدمتْ بالحائط بدلًا من هذا، ثم هبطتْ على السجادة. سعدتُ برحيلهم. خشيتُ أن أكون كسرتُ السنَّادة، لكنها كانت على حالها تمامًا، لم تُخدش حتى، على عكس الجدار الذي صار به انبعاج على شكل منقار. كم من المضحك كيف لشيء صغير للغاية أن يتسبب في الكثير من الضرر ولا يزال يبدو كما هو تمامًا.

عندما عادت أمي إلى المنزل بالفاصوليا المخبوزة، لم أخبرها ما حدث. رنَّ الهاتف وأجابته في المطبخ، لذا لم أستطع سماع الكثير أو معرفة مَن الذي تتحدث إليه. نادتني لأنزل إلى الطابق السفلي بعدها بقليل وقالت إن روچر اتصل. أخبرتني أن أجلس على الأريكة وظننتُ أنني وقعتُ في مأزق. لكنها جلستْ إلى جانبي بعدها وعندما نظرتُ إليها كانت ترتدي وجهها الحزين، وليس الغاضب. أخبرتني أن الشخص الذي أتى ليعاين المنزل هذا الصباح اشترى المنزل، وأننا سنضطر للانتقال في القريب العاجل. بكيتُ، لم أستطع منع نفسي، ثم بكت قليلًا هي أيضًا. همَّت لتعانقني، لكني دفعتُها وركضتُ لأصعد إلى غرفتي.

صعدتْ إلى الطابق العلوي بعدها بقليل. طرقتْ بابي، لكنني تجاهلتها. أعلم أنها لن تدخل دون أن أسمح بهذا، ليس بعد ما حدث في المرة السابقة. ظلت هناك لوقت طويل قبل أن تهمس مثل الشبح في النهاية: «طابت ليلتكِ» ورحلتْ. أجبتها بعد فوات الأوان، لا أظنها سمعتني، كانت ترنيمة علَّمتني إياها بنفسها:

نومًا هنيئًا،

نومًا مريحًا،

لا تدعي البقَّ يضايقكِ.

وإذا فعل، لتسحقه يدكِ.

تقلَّبتُ ووضعتُ وسادتي فوق رأسي. حبستُ أنفاسي لأطول فترة ممكنة، لكنها شقَّتْ طريقها خارج فمي في النهاية ولم أمت.

الآن

عشية رأس السنة الجديدة، 2016

- كيف حالكِ؟

أفتح عينيَّ لأرى جو جالسة عند نهاية فراشي بالمستشفى وأنا غاية في السعادة لرؤيتها، حتى وإن كانت لم تأتِ وحدها.

- إن كنتِ لا تريدين العودة إلى العمل بعد الكريسماس، فيمكنكِ قول هذا ببساطة، ليس عليكِ أن تصطدمي بالسيارة في شجرة وتدخلي في غيبوبة كما تعلمين.

ابتسمتْ وأمسكتْ يدي. تبدو شابة للغاية. أتمنى لو كان الوقت رحيمًا بي كما كان معها. أستطيع أن أرى غرفتي، وهي أجمل بكثير مما تخيلت، مضاءة للغاية وألوانها زاهية. النافذة مفتوحة على مصراعيها لتؤطر سماء زرقاء صافية حيث تمنحنا الطيور بعض الموسيقى الخلفية.

سألتني: «ألم تتذكَّري ما حدث بعد؟» هززتُ رأسي نافيةً فتابعت: «أنتِ تعلمين أنه لم يكن بول، أليس كذلك؟ لن يؤذيكِ أبدًا، ليس بهذه الطريقة». أومأتُ لأنني أعلم الآن أنها محقة. تعقدت الحقيقة قليلًا والتوتْ وأنا مستلقية هنا، لكن الخيوط بدأت تتفكك وتستقيم.

سألتها: «لم تكن حادثة، أليس كذلك؟» يراودني شعور غريب وأنا أسمع صوتي عاليًا مرة أخرى.

- لا.

أومأتُ مجددًا. بدأتْ قطع الأحجية تُظهر نفسها، لكنها ما زالت غير متناسبة معًا.

سألتني چو: «لماذا فعلتِ هذا؟» لم تعد تتحدث عن الحادثة.

يسرني للغاية أن أراها، هي الوحيدة التي أستطيع أن أكون صريحة للغاية معها، لا أسرار، لا أكاذيب. حاولتُ أن أصفِّي الحقيقة من ذكرياتي، ثم أجبتُ: «أنتِ تعلمين لماذا».

- لا أعلم لماذا استقلتِ، لم تكوني بحاجة إلى هذا.

- قبلتُ هذه الوظيفة لأصل إلى مادلين فقط، وأنتِ تعلمين هذا.

- وأنا أعلم أيضًا أن الوظيفة كانت مناسبة لكِ، شيء خاص بكِ.

- كانت وظيفة لعينة.

- مقدمة أحد أهم برامج الراديو، يصغي إليها الملايين، ليست وظيفة لعينة.

- لا، لكني لم أكن المقدمة حقًّا، أليس كذلك؟ لقد اختلقنا هذا المسمى فقط من باب الدعابة.

تجهمتْ چو وتساءلتْ: «حقًّا؟».

- أجل، كنتُ مجرد مساعدة مادلين الشخصية.

- حقًّا؟

- أجل يا چو، أنتِ تعلمين هذا.

- ربما أعلمه، أظنني نسيت. تختلط الأمور في ذهني أحيانًا.

- لا، هذه أنا، **أنا** مَن تختلط الأمور في ذهنها.

تركتْ يدي.

أعتم الهواء بسرعة، وبدأ المطر يهطل في الخارج. تبدَّل صوت رياح مولولة بزقزقة الطيور، لتدفع الستائر والأغطية في كل مكان. يبدو أن الغرفة قد تلاشت، كأنني أشاهد نسخة ملونة معاد تصميمها من فيلم قديم أبيض وأسود، أعلم أن ثمة شيئًا غير صحيح بالمرة. لم يعد المشهد يبدو حقيقيًّا ويذكِّرني الآن أنني ضائعة. جلستُ ومددتُ يدي إلى چو وقلتُ: «أرجوكِ اعثري عليَّ، أريد أن يجدني أحد».

لكن الفتاة الصغيرة ذات الرداء الوردي وقفتْ وأخذتْ يد چو قبل أن أستطيع الإمساك بها. جذبتْها ناحية الباب. بدأت الغرفة تتساقط، تسقط قطع ضخمة من أحجية صورة مقطوعة في الظلام. يجب أن أصمد. أريد بشدة أن أحبُك أجزاء حياتي معًا مرة أخرى، لكنني لا أعرف كيف.

سألتُها: «هل عليكِ الذهاب؟».

- أعتقد هذا، ألا تعتقدين هذا أيضًا؟

قالتْها چو وهما تغادران غرفتي معًا، وتغلقان الباب خلفهما.

سابقًا

عشية الكريسماس 2016 - صباحًا

ليس هناك وقت جيد أبدًا لفقد شخص تحبه، لكن موت شخص تحبه في الكريسماس أمر مروع حقًّا. مات كلا والدَينا وقت الكريسماس ومن بعدها لم يعد كما كان أبدًا. إنه شيء مشترك بيننا دائمًا مهما تباعدنا. كان قضاء ليلة الكريسماس معًا فكرة كلير، وليست فكرتي، لكنني لم أستطع أن أقول لا، إذ أصبح تقليدًا سوداويًّا لنا. قالت إن علينا أن نحاول تذكُّر ما لدينا، وليس ما فقدناه. أنا أحاول. أعلم أنها تراهما بي. يبدو الأمر أحيانًا كأنها تحاول استخراج أي بقايا أخيرة من والدينا من حمضي النووي بالتحديق إلى وجهي فحسب. أملك عينَي والدتنا نفسيهما. أحيانًا أراها أنا أيضًا، تنظر إليَّ في المرآة، خائبة الأمل دائمًا مما تراه.

اخترتُ شارع كينجستون الرئيسي، إنه مزدحم دائمًا. التوءمان مصدر إلهاء مرحب به عن اليوم الذي ينتظرنا، توءمان فظيعان في عمر العامين. تدفعهما كلير في أكبر عربة مزدوجة رأيتُها في حياتي. كل منهما يمسك بألعابه الخاصة بقبضتيه الصغيرتين، ليس عليهما مشاركة الألعاب أبدًا.

فتى وفتاة، لديها عائلتها الصغيرة المثالية الآن، يجدر أن يكون هذا كافيًا حقًّا. تحب التوءمين أكثر مما تحبني، أكثر مما تحب أيًّا منّا، وهذا ما يجب أن يكون عليه الأمر. سأخبرها اليوم، لن أخبرها كل شيء، ما تحتاج إلى معرفته فقط عندما يحين الوقت المناسب.

قالت كلير: «هذا صغير للغاية عليهما الآن، أيتها السخيفة».

- أعلم، ظننتُه يبدو جميلًا فحسب.

أعدتُ فستان الأطفال من عمر يوم إلى ستة أشهر مكانه. أجريتُ اختبار الحمل هذا الصباح بينما كان بول نائمًا. نتيجته إيجابية. أعتقد أنني علمت النتيجة سلفًا. لا أعرف كيف حملتُ الآن بعد وقت طويل من المحاولة. أعتقد أنها إشارة، لا بد أنها كذلك. حان الوقت لأمضي قدمًا وأبدأ عيش حياتي مع بول. بول فقط. عائلة خاصة بنا لا يمكن لأحد أن يأخذها منّا. أريد أن أخبره أولًا قبل أن أشارك الخبر مع أي شخص آخر. تدربتُ على المشهد في رأسي، سيكون غايةً في السعادة. سأخبره الليلة.

اشتريتُ للتوءمين بعض الملابس التي اختارتها كلير، قد أشتري لهما شيئًا آخر يروقها أيضًا، لن يتذكَّرا هذا الكريسماس حتى، ناهيك بما كانا يرتديانه. أتساءل إن كانا سيتذكرانني إن اختفيتُ من حياتهما قريبًا. بحثتُ عن تلك الكلمة قبل بضعة أيام، مصطلح «العرَّابة»: «أنثى تكون لها الوصاية القانونية على الطفل في حال وفاة الوالدين بشكل مفاجئ». **الموت المفاجئ** - لا يمكنني إخراج هذه العبارة من رأسي. كَوني خالتهما وعرَّابتهما لم يكن يعني الكثير بعد، لكنه سيعني. أخطط لفعل الكثير من أجلهما عندما يكبران. لن يتذكَّرا ما سيحدث في الكريسماس هذا العام، فلن يُحتسب.

عدد متسوقي اللحظات الأخيرة، المزدحمين، المتعجلين يجعل التقدم من متجر إلى آخر مستحيلًا تقريبًا. أجد الأمر غريبًا أن مَن نمر بجانبهم، مثقلون بالحقائب والديون، وجميعهم يبدون سعداء للغاية. أشعر أحيانًا أن الجميع أسعد مني، كأنهم جميعًا يتشاركون سرًّا لا أعلمه. الابتسامات العريضة التي تعلو وجوههم صاخبة للغاية. أجد نفسي أكرههم، أكره كل شيء. أضواء الكريسماس، الأغاني، الثلج الصناعي، كل الأشياء التي كنتُ أستمتع بها، لا تثير اهتمامي. كلير لا تستمتع بالتجربة أيضًا. نحن متشابهتان أكثر مما أهتم بالاعتراف به، ويمكنني رؤيتها تغرق بالفعل في مزاج سيئ أو أسوأ. ربما من الأفضل أن أشارك أخباري عاجلًا وليس آجلًا إذا كنتُ سأمنعها من المضي إلى مكان أكثر ظلمةً من أن أتبعها إليه.

قدتُ قطيعنا الصغير نحو سوق الكريسماس الصغيرة، تحب كلير مثل هذه الأشياء. تتوقف عند كشك لبيع الشموع المعطرة. ترفع كل واحدة تباعًا، وتُقربها من وجهها لتشمها. لكل واحدة منها اسم مختلف. الحب. الفرح. الأمل. أتساءل ما رائحة الأمل.

قالت، وهي لا تزال تنظر إلى الشموع: «ذلك الصديق من الجامعة الذي قلتِ إنكِ قابلتِه مصادفةً ...» تجمدتُ في البقعة التي أقف فيها وبدا أن سوق الكريسماس المزدحمة بدأت تهدأ. نجحتُ في قول: «ليس صديقًا، بل حبيبًا سابق».

- أيًّا كان.

حملتْ موزع العطور الذي برزت أعواده إلى الخارج مثل قنفذ ممدد وأردفتْ: «أتذكَّره الآن، خطر ببالي الليلة الماضية».

الليلة الماضية عندما استيقظتُ في فراشه.

دارتْ تلك الكلمات في رأسي حتمًا، لكنني ما زلتُ أخشى أن تسمعها بطريقة ما. تابعتْ دون النظر إلى وجهي وأنا سعدتُ بهذا، فأنا لا أثق بوجهي لإخفاء أمري.

سألتني: «كان طالبًا في كلية الطب، أليس كذلك؟».

- بلى.

- ولم يتركك وشأنكِ عندما انفصلتِ عنه، هل تتذكَّرين؟

- أتذكَّر. كان غاضبًا. لم يفهم لماذا انفصلت عنه. لم أستطع أن أشرح له أنكِ جعلتِني أفعل هذا.

- أنا لم أرغمكِ. لم يكن مناسبًا لكِ فحسب. كان جيد المظهر، لكنَّ ثمة شيئًا لم يكن على ما يرام تمامًا هنا.

نقرتْ بسبابتها على صدغها وتابعتْ: «هل تذكرين حقًّا اتصاله بكِ دون توقُّف عندما انفصلتِ عنه؟ وانتظاره أمام شقتكِ في منتصف الليل؟».

- مثلما قلت، كان غاضبًا.

- ألم تتساءلي قط لماذا توقَّف عن مضايقتكِ في النهاية؟

التفتتْ لتنظر إليَّ، لمعتْ عيناها بالسعادة قبل أن تعود بانتباهها إلى الأغراض المعروضة للبيع.

دار عقلي في نشاط شديد. قطع الأحجية التي لم أعرف أنني أحتاج إليها لأحلها، بدأتْ تنزلق في مكانها.

سألتُها: «ما الذي فعلتِه؟».

- لم أفعل الكثير، كتبتُ بعض الخطابات، هذا كل ما في الأمر. من المؤسف أن الناس لا يتراسلون بالخطابات بعد الآن، ألا تعتقدين هذا؟

لم ترفع بصرها، شقّتْ طريقها عبر الكشك بفتور فحسب، وأخذتْ تلتقط كتلًا من الشمع هادئة الألوان، وترفعها نحو وجهها لتشمَّها فقلتُ: «أخبريني ماذا فعلتِ».

استدارت إليَّ في النهاية وأجابت: «كتبتُ بعض الخطابات لعميد كلية الطب من نساء أرَدْن تقديم شكوى بسبب سوء سلوكه. حبيبكِ السابق. كتبتُها كلها على أوراق مختلفة وبخطوط يدوية مختلفة. كان الأمر غاية في الذكاء». ابتسمتْ، ثم تابعتْ: «ثم اتصلتُ به من هاتف عمومي وقلت له إن الخطابات ستتوقف فقط إن تركِكِ وشأنكِ». تحولتِ ابتسامتها إلى قهقهة فقلت: «هذا ليس مضحكًا يا كلير. كان من الممكن أن تدمري مسيرته المهنية».

- ماذا يعمل الآن.

- طبيب.

- لا ضرر إذن. تتوترين دون سبب كعادتكِ. أنا أخبركِ بهذا تحسبًا «لمصادفتكِ» له مرة أخرى. وأنا لا أنصح بهذا.

- لماذا؟

سألتُها وأنا أخشى أنني أعلم الإجابة سلفًا.

- لأنني أعتقد أنني ربما قلتُ إنكِ مَن أرسلتِ الخطابات.

سابقًا

عشية الكريسماس 2016 – وقت الغداء

بدأت السوق تدور بي قليلًا، وأحتاج إلى شيء لأحافظ على توازني. ارتفعتْ رائحة النبيذ الساخن على رائحة الشموع والتوابل والبشر الكريهة. يجب أن أهدأ. حاولتُ أن أركز على ما جئتُ هنا لأقوله. دفعتُ إدوارد إلى مكانٍ ما مظلم في نهاية ذهني وحبستُه داخل صندوق هناك. خبأتُ الذكريات في صناديق داخل رأسي من قبل. أحيانًا تكون هذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع الأمور.

سألتها: «هل نجلب شرابًا؟».

- هيا إذن.

وقفتُ في الصف أمام طاولة البيع في حين بحثتْ لنا عن طاولة. رأيتُها تعطي التوءمين بعض رقائق البطاطس لتبقيَهما هادئين. لا ينبغي لهما أن يأكلا هذا الهراء، لكنني لن أقول شيئًا. سمعتُ شخصًا يلتقط صورة خلفي فتلفتُّ حولي، وعقلي يعيد عرض الصور الأخيرة التي رأيتُها في صالة إدوارد. توقعتُ تقريبًا أن أراه وسط الحشد، يلتقط صورًا لي مرة أخرى الآن. يجب أن أتوقَّف عن التفكير فيه، أحتاج إلى التعامل مع كل شيء في وقته، لكن لا يمكنني إبعاد الصورة التي ظهر فيها وجهي وأنا أظن أنه ما من أحد يشاهدني. صور مثل هذه تلتقط

الطريقة التي نمنع نفسنا بها من السقوط عندما تحاول الحياة جذبنا إلى أسفل. مستطيل ورقي يكشف كيف قد نتجلى تدريجيًّا.

وضعتُ مشروبَينا على الطاولة، ودفأتُ يديَّ بضم الكأس الساخن إليهما. شعرتُ بحرقة خفيفة، لكني لا أمانع الألم. أخذتْ كلير رشفة من السائل ذي المذاق الهادئ وشاهدتُ مزاجها يعتدل وهي تدفئ. أعادها ضبط درجة حرارتها إلى نسخة منها أقل اضطرابًا، لكن لا تزال الأجواء مربكة بيننا. خطرة.

قالتْ، وهي تأخذ رشفة أخرى: «لا تغضبي، كان هذا قبل أعوام».

- أنا لستُ غاضبة.

- ما الخطب إذن؟

باغتني السؤال على حين غرَّة، وشعرتُ كأنني قد أنسلُّ من مقعدي، ثم قلتُ: «لا شيء».

- هيا، قولي ما عندكِ. أنا أعرفكِ جيدًا، ألا تذكرين؟

ابتسمتْ لاعتقادها أنها لا تزال المسيطرة على الأمور وتابعتْ: «لديكِ شيء لتقوليه، لذا قوليه».

تلفَّتُّ حولي. يوجد الكثير من البشر هنا. قلتُ: «فعلتُ ما طلبتِه».

وضعتْ كأسها على الطاولة وتساءلتْ: «مادلين؟».

- أجل.

ابتسمتْ مجددًا. لستُ متفاجئة أنها لا تعلم بالفعل، لقد قضتْ حياتها كلها تعيش في فقاعة على هيئة كلير. لا تهتم بوسائل التواصل الاجتماعي، ولا تستخدم البريد الإلكتروني حتى، وتستخدم الإنترنت للتسوق فقط. لا تشاهد الأخبار الآن بما أنني لا أظهر فيها، وتُفضل

مشاهدة فائض من المسلسلات الدرامية وساعات أبدية من تلفزيون الواقع.

قالت وعيناها متلهفتان مثل عينَي طفل في صباح الكريسماس: «حسنًا، إنها مسألة وقت. لا أعرف ما الذي استغرق منكِ وقتًا طويلًا. أخبريني بكل شيء».

- كل ما يهم أنها رحلت. استقالت.

- جيد. أتمنى لها تقاعدًا تعيسًا للغاية.

دائمًا ما عرفتُ موقفي من كلير، هي لا تحب التظاهر بأنها شخص غير نفسها وهي معي. تعلم ما أعلمه ولا يبدو أن هذا يضايقها أبدًا. بدأت كايتي تبكي في كرسيها العالي. لم تنظر كلير نظرة خاطفة باتجاهها حتى وسألتني: «كيف بدت؟».

- ماذا؟

- متى أخبرتِها؟

أخذتْ كايتي تبكي بصوتٍ أعلى الآن. يمكنني رؤية الناس وهم يرمقوننا بنظرات انزعاج، لكن كلير حدَّقتْ إليَّ فحسب، وجهها مألوف للغاية، لكن يستحيل عليَّ قراءته وقلتُ: «لا أريد التحدث عن الأمر حقًّا».

- أنا أريد.

- أنجزتُ الأمر بطريقتي. كل ما يهم أنه أُنجز.

كلا الطفلين يبكيان الآن، لكن كأننا لا نستطيع سماعهما.

قالت: «شكرًا لكِ». يبدو الحديث مزيفًا. علَّقتُ على كلامها: «أنا لم أملك خيارًا تمامًا. والآن بما أنني فعلتُ ما طلبتِه، اتركي بول وشأنه».

رمقتني بنظرة عندما قلتُ هذا، نظرة تحذير. تحطمتْ كأس على الأرض الحجرية على بعد بضع طاولات منَّا وشعرنا كأن هناك ما تحطم

بيننا أيضًا. أعلم أنني لا ينبغي لي قول المزيد، لكن فُتح درج ما داخل ذهني وخرجتْ كلمات طُويت بعيدًا بعناية لوقت طويل للغاية: «أنا أعني ما أقوله يا كلير. اتركي بول وشأنه وإلا سأختفي، لن تريني أبدًا مرة أخرى».

سألتني، وهي تستقيم قليلًا في جلستها: «هل حدث شيء ما؟».

- لا.

- لا أصدقكِ. أنتِ لستِ على طبيعتكِ. أنتِ لستِ ... متزنة. هل آذاكِ؟

- لا!

جمدتُ وجهي وأشحتُ بنظري بعيدًا. تأخرتُ كثيرًا. رأت شيئًا وسألتني: «هل آذاكِ شخص آخر؟» أجبتُ مجددًا: «لا». لم تكن إجابتي سريعة بما يكفي. أردتُ للحظة أن أخبرها بكل شيء. أريد أن أخبرها أنها محقة، دائمًا ما تكون محقة. هناك مَن آذاني، لكني ما زلتُ لا أستطيع أن أتذكَّر كيف انتهى بي الحال في فراش إدوارد. عندما أتذكَّر وجودي على الملاءات الزرقاء الداكنة، أقلق أنه قد يكون خطئي بالكامل.

- لا بأس. ستخبرينني عندما تكونين مستعدة. دائمًا ما تفعلين. لكن بول ليس جيدًا لكِ، ليس بعد الآن. لقد فقد وجهته في الحياة ويمكنكِ أن تجدي شخصًا أفضل. والدانا علما هذا أيضًا.

- اتركيه وشأنه.

- لا تكوني سخيفة.

- إن حدث له أي شيء، سأقتل نفسي.

ارتفعتْ زاويتا فمها، وقالت وهي تبتسم: «لا، لن تفعلي».

اركض يا أرنب، اركض يا أرنب. اركض! اركض! اركض!

ظلَّ التوءمان يبكيان وأنا أبكي الآن أيضًا. كلير هي الوحيدة التي لا تبكي على طاولتنا.

قلتُ لها: «لقد اتفقنا، إن علم الناس ما أنتِ ...»

مدَّت كلير يدها فوق الطاولة وأمسكت يدي. أحكمتْ قبضتها بشدة وآلمتني وهي تقول: «فقط احذري يا آمبر».

سابقًا

السبت، 19 ديسمبر 1992

مذكراتي العزيزة،

لم أتحدث إلى أمي أو أبي منذ أن اكتشفتُ أننا سننتقل مجددًا، لستُ متأكدة إن كانا لاحظا هذا. أخبرتُ أبي هذا الصباح أنني أريد الذهاب إلى المتنزه وقال إن بوسعي الذهاب. ثم اتصلتُ بتايلور عندما كان يتشاجر مع أمي بالطابق العلوي. جعلتْها والدتها تأتي لتجيب الهاتف، لم تقل الكثير، لكني أخبرتُها أن تأتي لمقابلتي إن كانت تستطيع. يقع المتنزه في منتصف المسافة بين منزلينا بالضبط. غادرتُ الساعة 12:47 لأنني أعلم أن المسافة تستغرق ثلاث عشرة دقيقة إلى هناك، وأنا أخبرتُ تايلور أن تقابلني في تمام الواحدة. لا أملك ساعة، لكن لا بد أنني مشيت بسرعة كبيرة لأنني انتظرتُ على الأراجيح لوقت طويل.

وحالما أوشكتُ على الاستسلام، رأيتُ السيارة الڤولڤو في الشارع بالخارج. لوَّحتْ لي والدة تايلور وابتسمتْ. لوَّحتُ لها أيضًا، لكني لم أبتسم لأنني أردتُها أن تعرف كم أنا حزينة. تعجبتُ من عدم مجيء تايلور سيرًا، فهي ليست مسافة كبيرة. استغرقتْ وقتًا طويلًا لتترجَّل من السيارة، وعندما ترجَّلتْ أخيرًا، لم تبدُ نفسها. قصتْ شعرها ليصبح قصيرًا، نحن لم نعد متشابهتين الآن إذن.

الملعب مخصص للأطفال الصغار حقًّا، لذا مُحاط بقضبان من الخارج ليبقوا داخله، حفاظًا على سلامتهم. جاءتْ تايلور ووقفتْ على الجانب الآخر من القضبان، لذا بدا الأمر قليلًا كأنها تزورني في السجن. راودني شعور غريب في البداية، ولم يكن التعامل سهلًا ومريحًا كما كان من قبل. أخبرتُ تايلور أنني سأنتقل وقالت إنها تعرف هذا وهزَّت كتفيها بشكل مضحك. ثم قالت إنها سمعتْ والديها يقولان إن أبي طُرد من عمله لأنه سرق. أخبرتُها أن هذا ليس صحيحًا وشرحتُ لها أن أبي ترك وظيفته ليعتني بأمي، لستُ متأكدة إن كانت صدقتني. قلتُ ربما يمكننا التحدث ونحن نتأرجح بدلًا من حديثنا خلال القضبان وأتت ناحيتي.

سألتُها عن المدرسة وقالت إنني لم يفُتني الكثير قبل نهاية الفصل الدراسي. بدا التحدث إليها صعبًا حقًّا وشعرتُ أنها لا تفهم كم أن اضطراري للانتقال بشع، لذا تعمدتُ البكاء قليلًا. أصبحتْ ألطف بكثير بعدها، مثل تايلور القديمة رغم أنها بدت مختلفة. سألتُها إن كانت بخير في المدرسة من دوني وهزتْ رأسها نافية. خلعتْ معطفها وشمَّرتْ كُم كنزتها. هناك ندبتان دائريتان حمراوان على ذراعها. سألتُها مَن فعل هذا بها لكنها لم تخبرني. سألتُها إن كان يمكنني لمسهما وأومأتْ. كنتُ حذرة للغاية وأنا أتحسس جلد ذراعها الناعم، ثم سرتُ حول الحفرتين الحمراوين الملتهبتين التي شكَّلتا رقم ثمانية بالإنجليزية. أخبرتُها أنني آسفة للغاية لعدم وجودي هناك كي أمنع وقوع هذا. عندما رفعتُ إصبعي، أنزلتْ كُمها وارتدتْ معطفها مجددًا. علمتُ أنها طريقتها لقول إنها لا تريد التحدث عن الأمر أكثر من هذا.

وقفتْ وسارتْ مبتعدةً وخشيتُ أن أكون أزعجتها وأنها ستغادر لكنها لم تفعل. توقَّفتْ عند الأرجوحة الدوارة واستلقتْ داخل أحد أرباعها. بدت سخيفة لذا ضحكتُ. ثم ركضتُ إليها وبدأتُ أدفع الأرجوحة بأسرع

ما يمكن، وأنا أركض إلى جانبها وبدأتْ تضحك هي الأخرى. عندما لم يعد بمقدور الأرجوحة أن تدور أسرع من ذلك، قفزتُ واستلقيتُ في الربع المقابل لتايلور. كنَّا لا نزال نضحك ومددتُ يديَّ لتلمس يديها خلال القضبان. شابكنا أيدينا معًا ونحن نضحك وندور حتى أصبتُ بالدوار، لكنني لم أهتم. أتمنى لو بقينا هكذا إلى الأبد.

في وقت لاحق، عندما توقَّفنا عن الدوران، لكننا لا نزال مستلقتين هناك، أخبرتني تايلور بهذه القصة المضحكة عن صديقتها چو. قالت إن چو كانت جيدة للغاية في الذهاب إلى أماكن جديدة ومقابلة أناس جدد، وإنها بارعة في الإصغاء وحفظ الأسرار. بدأتُ أشعر بالغيرة قليلًا من چو، وأعتقد أن تايلور لا ينبغي لها أن تحتاج إلى أي شخص آخر حقًّا، بما أننا أعز صديقتين. لم يعجبني ذكر اسم چو كثيرًا على الإطلاق، حتى أخبرتني تايلور أنها ليست حقيقية، بل صديقة خيالية. ضحكتُ كثيرًا. قالت إنني أستطيع استعارة چو عندما أنتقل إذا أردتُ، وأن چو سترافقني وقت خوفي أو وحدتي وأنني سأحظى بصديقة دائمًا أينما ذهبتُ. أخبرتها أنني لستُ بحاجة إلى أي أصدقاء آخرين ما دامتْ هي صديقتي، لكن لم يبدُ كأنها تسمعني. قالت إن چو يمكنها أن تأتي معي إلى المنزل الليلة، لترى فحسب إن كان بمقدورنا أن نكون صديقتين أيضًا. قلتُ لا شكرًا. تصرفتْ تايلور بغرابة شديدة وقتها وقال إن چو تجلس على إحدى الأراجيح الفارغة ويجب ألا أجرح مشاعرها. نظرتُ إلى الأراجيح. لم يكن أي أحد هناك. بدأتُ أعتقد أن تايلور مجنونة، لكن عندما حان وقت عودتي إلى المنزل وافقتُ أن تأتي چو معي لأجعل تايلور سعيدة فقط. چو معي هنا في الغرفة الآن، تشاهدني وأنا أدوِّن مذكراتي. شعرها أشقر وترتدي بنطالًا چينز ونحب الأشياء نفسها تمامًا. تظل تهمس بأشياء في أذني. لا أعلم إن كنَّا سنصبح صديقتين أم لا حتى الآن، لكن يمكننا أن نتسكع معًا للآن.

الآن

عشية العام الجديد، 2016

غادر بول غرفتي وانتظرتُ أن تقول كلير شيئًا. أعلم أنها لن تستطيع المقاومة رغم أنها لا تصدق أن بمقدوري سماعها.

- خمسة وثلاثون عامًا وما زلتِ تختلقين قصصًا عن صديقتكِ الخيالية؟ حقًّا؟

كانت ضحكتها قاسية قبل أن تتابع: «أفترض أن السؤال الحقيقي هو مع مَن كنتِ تخرجين حقًّا عندما كنتِ تخبرين بول أنكِ مع چو؟».

فُتح الباب وأنا ممتنة للغاية لهذه المقاطعة. قال إدوارد: «آسف لم أقصد أن أباغتكِ».

مات شعوري بالراحة من فوره.

قالت كلير: «لا بد أنك تظنني مجنونة وأنا أجلس هنا وأتحدث إلى نفسي».

- قد تكونين مجنونة، لكنكِ لا تتحدثين إلى نفسكِ، أنتِ تتحدثين إلى شقيقتكِ. من الجيد أن تتحدثي مع مرضى الغيبوبة. هذا جيد لهم وجيد لكِ.

- لا أظننا التقينا من قبل. كيف علمت أنني شقيقتها؟

أمسكتْ به، تستطيع كلير أن ترى مكامن الناس. قال إدوارد: «تبدوان شقيقتين، أحتاج فقط ...».

- بالطبع يا دكتور ...؟

- كلارك.

ظننتُه أخبر بول أنه حارس.

أصغيتُ لبعض الوقت وخاطفي وأختي يجريان حديثًا مؤدبًا. لم يرُقها، يمكنني معرفة هذا من نبرة صوتها. أحاول التمسُّك بأشكال الكلمات، مهما بدت مملة. صوتاهما يهدآن، كأن هناك مَن يخفض صوت عالمي حتى صرت لا أسمع شيئًا تقريبًا. لا أعرف ما هو، لكنني أعلم أنه قادم. دائمًا ما يختارني الصمت لأنني اخترتُه أولًا.

تباطأ الوقت. ما زال يمكنني سماع كلير عن بعد، لكن لفترة قصيرة فقط. فمي وعيناي مغلقة، لذا ملأ الهدوء أذنيَّ حتى صرتُ صماء تمامًا مثلما أنا بكماء وعمياء. عندما لم يعد بإمكاني سماع صوتها أكثر من هذا، فتحتُ عينيَّ ورأيتُ كلير تقف أمامي مباشرةً. نحن في صالة منزلها، وهي ثابتة مكانها بلا حراك، كأنها تمثال حي. كأنها توقفتْ في منتصف جملة ما، والرعب محفور على وجهها، ينكسر في عينيها اللامعتين. تبعتُ تحديقها وخفضتُ بصري. يمكنني رؤية الدماء تسيل بالعكس على قدميَّ حتى اختفت تمامًا، كأنني تخيلتُ وجودها. أعلم بالفعل أنني لا أريد رؤية المزيد، لكن لا أستطيع إغماض عينيَّ الآن لأنهما مفتوحتان. أريد أن أضغط زر الإيقاف، لكن واصل عقلي إعادة الصورة إلى البداية بدلًا من هذا. كلير تصيح في وجهي، لا يمكنني سماع ما تقوله، كل شيء صامت. مررتُ بالعكس من بابها الأمامي وسرتُ إلى نهاية ممر السيارات بظهري، وأغلقت الباب عندما دخلتُ السيارة. كانت تنتظرني، توقعتْ قدومي. قبل أن أتمكن من إدراك ما

يعنيه ذلك، أدرتُ المحرك وقدتُ سيارة بول إلى الخلف في الشوارع المألوفة، ثم أصبحتُ أمام منزلنا. يقف بول عند ممر السيارات ويصيح في حين عدتُ أنا إلى الخلف ووقفتُ. فتحتُ باب السيارة مرتين قبل أن أترجَّل منها، أصابعي الباردة الرطبة تتشبث بالمفتاح بقوة لدرجة أنها تؤلم كفي. انحنيتُ على الحصى، متجاهلةً ألم انغرازه في جلد ركبتيَّ، وتركتُ المفتاح تحت ظلال السيارة. يبدو أن الأمور تنحل بالعكس. أقف أمام بول ونحن نصرخ بعضنا على بعض تحت المطر. لا أستطيع سماع ما نقوله، لكنني أشاهد الأشكال التي يصنعها فمه. يُلوح بيديه في الهواء، لكن تفسيري الأول خاطئ، ووجهه يتحول إلى الخوف وليس الغضب. إنها تمطر بغزارة وكل شيء يتباطأ مرة أخرى حتى سكن الوقت تقريبًا.

يمكنني رؤية كل شيء بوضوح شديد لدرجة أن محيطي بدأ يبدو حقيقيًّا. لأنه حقيقي. هذه ذكرى وليست حلمًا، أنا متأكدة. خفضتُ بصري لأرى فستاني الكريمي الجديد غارقًا بالماء ملتصقًا بجسدي، لكن لا يوجد دم وأعلم أن الطفلة لا تزال هنا، لا تزال على قيد الحياة داخلي. وضعتُ يدي على بطني. أتساءل لماذا لا أرتدي معطفًا وأدرك أنني غادرتُ على عجل حتمًا. يهزُّ بول رأسه ويمشي بظهره إلى المنزل. أقف وحدي تحت المطر. أنا متأكدة تمامًا أن هذا الجزء خاطئ. لم أقف تحت المطر بهذا الشكل، لكن يبدو من المهم أن أتجمد في الزمان والمكان الآن حتى أتذكَّر ما حدث، حتى يصبح الأمر منطقيًّا. هطل المطر بغزارة الآن لدرجة أنه يؤلم وجهي. تشوشتْ رؤيتي وأدركتُ أن بعض الماء الذي على وجهي من دموعي. أسمع صوت بول ينهمر مع المطر من سماء الليل فوقي ويقول: «إنها تبكي».

سالتِ السماء السوداء فوق المنزل وانسكبتْ فوق قمة السيارة. يغطي الذكرى طلاء، لكنني بحاجة إلى التمسك بها، يجب أن أتذكَّر

ما حدث. أشعر بوجودها قبل أن أراها. تقف الفتاة ذات الرداء الوردي بجواري وتنسل بيدها الصغيرة داخل يدي. يمكنني رؤية وجهها الآن، أعرف مَن هي.

قال بول مجددًا من وراء شجرة: «انظري، إنها تبكي»، وأدركتُ أنني أبكي.

بدأتِ الفتاة الصغيرة تبكي أيضًا وضممتُها إليَّ بقوة، وأنا أعلم أنني يجب ألا أتركها أبدًا. لم تستطع منع هذا من الحدوث، لم يكن خطأها. أظلمتِ الصورة، ومحيتِ الذكرى بالتدريج حتى لم يعد يتبقى سوى السواد. وقتها فقط اتضح كل شيء. اختارت الصمت والآن يجب أن أتحمَّله. عانقتني الفتاة الصغيرة بقوة، واختفى أكثر من عقدين وخفضتُ بصري إلى الفتاة التي اعتدت أن أكونها. سافرتْ ربع قرن عبر الزمان والمكان لتُذكرني مَن كنتُ في الماضي وتخبرني مَن يجب أن أكون الآن.

البعض يصيرون أشباحًا قبل أن يدركهم الموت.

سابقًا

عشية الكريسماس 2016 - عصرًا

كانت يداي لا تزالان مرتجفتَين عندما وصلتُ إلى المنزل. تركتُ كلير في سوق الكريسماس وسرتُ مبتعدةً دون أن ألتفت. أظلمتِ السماء بأمطار لم تهطل بعد، وأريد أن أدلف إلى المنزل فقط وأمنع العالم وأخطائي من الدخول للأبد. أخرجتُ المفاتيح من حقيبتي وأدركتُ أنني أخذتُ مفاتيح بول بدلًا من مفاتيحي. ليس من طبعي أن أكون بهذا الإهمال. أحتاج إلى أن أهدِّئ نفسي، وأتمالك أعصابي، وأحافظ على تركيزي. شعرتُ بتحسن حالما صرتُ بالداخل. سندتُ ظهري إلى الباب وشجَّعتُ نفسي على التنفس، وأفكاري على التباطؤ. أغمضتُ عينيَّ للحظة وحاولتُ أن أفكر بذهن صافٍ، لكن عندما فتحتُهما كنتُ لا أزال لا أملك الإجابات. يصعب أن أرى شيئًا ليس له وجود.

خلعتُ معطفي في الصالة وعلَّقتُه على الحامل، ثم انحنيتُ لأخلع حذائي.

قلتُ دون بهجة أو ترقب: «لقد عدتُ».

لا يوجد رد.

فككتُ رباط فردة الحذاء الثانية وأنا أنادي: «بول؟».

لا شيء.

لم أكن مغرمة قط بلمس الآخرين لي. درَّبتُ نفسي ألا أجفل أو أبتعد، لكنني دائمًا ما اعتقدتُ أن معانقتك لشخص ما وأنت تعلم أنك سيتوجب عليك تركه، أمر غير مجدٍ. ورغم كل هذا، أود أن يعانقني أحد الآن. أود أن أعانق أحدًا وأسمح له بمعانقتي.

أشعر أنني حرقتُ لساني بالنبيذ الساخن وأنا ظمآنة، لذا توجَّهتُ إلى المطبخ وسكبتُ لنفسي كوب ماء من الصنبور. نظرتُ حولي وأنا أتجرع السائل البارد ورأيتُه من فوري. وضعتُ الكوب وحدَّقتُ إلى الفرن. أبعد قرص في اليسار ليس في الوضع الصحيح. صححتُ موضعه حتى أُطفئ بالكامل، ثم حدَّقتُ إليه كأنه قد يلف نفسه مجددًا أمام ناظريَّ. نظرتُ حولي بحثًا عن تفسير وشعرتُ بموجة من الغضب لأن بول قد يكون بهذا الإهمال، اليوم دونًا عن باقي الأيام. سمعتُ صرير لوح الأرضية في غرفة أخرى وسمحتُ لغضبي أن يطفو على السطح.

صحتُ في الفراغ من غرفة لغرفة بحثًا عن أحد ألقي اللوم عليه: «لقد تركتَ الفرن مشتعلًا». لكن بول ليس هنا. وصلتُ إلى طريق مسدود في غرفة المعيشة التي كانت فارغة باستثناء شجرة كريسماس ضخمة في الزاوية. لم تكن هنا عندما غادرتُ هذا الصباح، اتفقنا ألا نكلف أنفسنا عناء الزينة هذا العام، لكن ها هي، أطول مني ومغطاة بأنوار صغيرة متلألئة. يحمل كل فرع من فروع الشجرة تقريبًا زينة اشتريتُها أنا وبول معًا على مدار سنوات: حقيبة بنية صغيرة من متجر «بلومينجديلز» (Bloomingdales) من رحلة إلى نيويورك، وملاك صغير من الحجر الأخضر من نيوزيلندا، ورجل ثلج من الدانتيل الأبيض من ألمانيا. اعتدنا أن نسافر كثيرًا، وسنعيش تلك الحياة مرة أخرى بما أنه ألَّف كتابًا آخر الآن. وقفتُ هناك مذهولة بالذكريات المعلقة على كل فرع وأدركتُ أنني أبتسم دون جمهور، أنا سعيدة بسبب هذا فقط.

أطفأتُ أضواء الكريسماس، فأنا قرأتُ عن إشعالها للنار عند تركها لفترة طويلة، واحتراق منازل عن بكرة أبيها.

سمعتُ صرير ألواح الأرض بالطابق العلوي وحاولت أن أتخلص من أي إزعاج متبقٍّ وأنا أصعد الدرج بحثًا عن بول. لقد فعل شيئًا لطيفًا لذا يجب أن أسامحه على الآخر. تنقلتُ من غرفة لغرفة، ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، فلا توجد غرف كثيرة، لكنه ليس هنا أيضًا. تتبعتُ خطواتي إلى غرفة نومنا، ثمة شيء مختلف بشأنها، ثمة شيء في غير محله. فحصتُ الغرفة، ورأيتُ أبواب خزانة الملابس المزعجة منفرجة قليلًا. ينبغي لها أن تكون مغلقة دائمًا. تنفَّستُ أسرع من المعتاد وانتصب شعر ذراعيَّ، لكني قلتُ لنفسي إنني أتصرف بسخافة فقط. توجَّهتُ إليها لأغلقها ولاحظتُ أن ملابسي تحرَّكت، فهي ليست في ترتيبها الصحيح. دائمًا ما أعلِّق الملابس حسب الحجم واللون، لدي نظام وهذا ليس نظامي.

ثمة شيء خاطئ.

صرتُ متأكدة الآن.

أنا لا أتخيل.

وقفتُ في مكاني تمامًا وأصغيتُ إلى أضعف صوت. لا شيء. تسللتُ بطول الباسطة لاختلس النظر عبر الأبواب وأنا خائفة مما قد أراه. حتى أنفاسي تبدو صاخبة للغاية. وقفتُ عند باب الحمام. بعد أن نظرتُ جيدًا الآن، أستطيع أن أرى خزانة الأدوية منفرجة قليلًا والمناشف ليست مصطفة كما أريد. لم يكن بول ليفعل هذا أبدًا، يعلم أن هذا قد يدفعني إلى الجنون. شخص آخر كان هنا.

كلير.

كلير قد تفعل هذا لتعاقبني، لتلقنني درسًا. لا أفهم كيف وصلتْ هنا قبلي، أو كيف دخلتْ من دون مفتاح. حبستُ أنفاسي حتى خُنقتْ أفكاري وصرتُ متأكدة أنها لن تُسمع.

يجب أن أجد بول. أحتاج إلى أن أتأكد أنه بأمان، سمعتُه وقتها، يتجول في الطابق السفلي، لا بد أنه دلف من الحديقة. شعوري بالارتياح لأنه بخير سمح لي أن أترك الفوضى التي هنا للوقت الحالي وأنزل الدرج ركضًا، أريد أن أرى وجهه فقط. ليس في المطبخ، حيث توقعتُه أن يكون. عدتُ أدراجي عبر الممر إلى غرفة المعيشة ورسمتُ ابتسامة على وجهي وأنا أفتح الباب الذي لا أتذكَّر إغلاقه.

اشتعلتْ أضواء شجرة الكريسماس مرة أخرى، لكن هذا ليس أول شيء لفت انتباهي عند دخول الغرفة. أول ما رأيته هو إدوارد، يجلس على الأريكة. رفع بصره إليَّ كأنه كان ينتظرني، كأننا رتبنا للقاء، كأن جلوس هذا الرجل القادم من ماضيَّ في غرفة معيشتي أمر طبيعي تمامًا. أريد أن أصرخ، بل والأكثر من هذا، أريد أن أركض. ابتسم لي وقال: «مرحبًا، يا آمبر. تبدين متعبة، لمَ لا تجلسين؟».

سابقًا

الاثنين، 21 ديسمبر 1992

مذكراتي العزيزة،

وضع أبي شجرة الكريسماس خاصتنا اليوم. ليست شجرة حقيقية، بل من البلاستيك وهي ليست شجرتنا حقًّا، كانت شجرة جدتي وجدي، لكنني لا أفترض أنهما كانا سيمانعان. لونها الأخضر غريب، كأنه بهت ويود أن يصبح رماديًّا بدلًا من هذا. سُمح لي بتزيينها. الأضواء لا تعمل ولا توجد هدايا تحتها، لكني أحببتها على أي حال. قالت چو إنها تبدو جيدة عندما انتهيتُ من تزيينها. أحب مرافقتها لي في الأرجاء كثيرًا.

حصل أبي على وظيفة جديدة، ويجب أن تكون تلك أخبارًا جيدة، لكنها لم تكن كذلك. وظيفته الجديدة في ويلز، وهي ليست قريبة من هنا على الإطلاق. ويلز بعيدة للغاية لدرجة أنها بلد مختلف تمامًا. حتى إن لديهم لغتهم الخاصة التي تبدو كأن الناس يتحدثون بها على نحو معكوس، أسمعني أبي حديثهم على شريط تسجيل. أخبرتني تايلور أنها ذهبت في عطلة إلى ويلز من قبل وأنهم يتحدثون الإنجليزية وكذلك الويلزية، لكنني ما زلتُ لا أريد الذهاب والعيش هناك.

ثمة ثلاثة أسباب رئيسية لعدم انتقالنا إلى ويلز:

1. سيتوجب عليَّ أن أغير مدرستي، مجددًا.
2. سأفتقد تايلور كثيرًا.
3. جدتي لن تكون هناك.

جدتي ليست هنا أيضًا، لكن لأن جميع أغراضها هنا، فيسهل كثيرًا التظاهر بأنها لا تزال هنا. ظلَّ أبي يحزم حياتنا في صناديق. أجزاء صغيرة من تاريخنا مكدسة في جميع أرجاء المنزل، متاهة من أغراض قديمة منسية لن نحتاج إليها، مغلفة ومعبأة بعناية كما لو كانت ثمينة. لا نزال نضع الصناديق القديمة في العِلِّية منذ آخر مرة انتقلنا فيها، ولهذا وجد أبي الشجرة حينها. طلب من أمي أن تساعده في تعبئة كل هذه الأغراض، لكنها ليست على ما يرام، لذلك عبأ الأغراض بمفرده. لم تعد أمي ترتدي ملابس غير ملابس المنزل حتى بعد الآن، تتجول في الأرجاء بمنامتها فقط. أعطاها الطبيب بعض الحبوب المنومة، وهو ما يبدو غريبًا لي بعض الشيء لأنها تقضي اليوم كله في السرير بالفعل.

يقول أبي إنني كبيرة بما يكفي لأحزم أمتعتي هذه المرة. وضع شريطًا لاصقًا بنيًّا سميكًا في قاع صندوقين ووضعهما في غرفتي بالأعلى، ثم أخبرني أن أملأهما قبل العشاء. وجد ورقة نقدية من فئة عشرة جنيهات في أحد أدراج المطبخ وقال إننا يمكننا تناول السمك ورقائق البطاطس كمكافأة لنا، أنا وهو فقط. أنا سعيدة لأنه وجد بعض المال، اعتقدتُ أنه نفد منا تقريبًا. أتى رجل إلى بابنا ليسأل عن أبي البارحة وسمعتُه يقول إننا لم ندفع فاتورة المياه. تفقدتُ الصنابير في المطبخ والحمام وهي لا تزال تعمل. قال أبي إن جاء أي شخص آخر إلى الباب، يجب أن نتظاهر بعدم وجودنا في المنزل ونختبئ تحت النوافذ حتى لا يتمكنوا من رؤيتنا إن نظروا منها إلى الداخل.

حاولتُ ملء الصناديق في غرفتي، لكن الأمر أصعب مما يبدو. وضعتُ بعض كتبي في أحدهما، لكن بدا هذا خاطئًا فحسب، لذلك أخرجتُها مرة أخرى وأعدتُها فوق الرف. لا أعتقد أن كتبي تريد مغادرة هذا المنزل، إنه منزلها وعلينا أن نسمح لها بالبقاء هنا قدر ما تريد. وضعتُ ملابسي في الصندوقين بدلًا من هذا. لا أحتاج إلى الكثير من الملابس على أي حال، فأنا أرتدي الملابس نفسها من يومين ولا بأس بهذا. لقد توقفتُ عن الاستحمام أيضًا لتوفير المياه التي لم ندفع ثمنها، لكن لا يبدو أن هناك مَن يلاحظ. أغلقتُ أحد الصندوقين بالشريط البني اللاصق، ثم تركتُ الشريط متدليًا من الصندوق، فأنا لا يُسمح لي باستخدام المقص في غرفتي.

كانت وجبة السمك ورقائق البطاطس الأفضل على الإطلاق! كان هناك ملح وخل وكاتشب على وجبتي وشعرتُ بشبع شديد، لكنني انتهيتُ منهما على أي حال. أعتقد أن أبي أحب وجبته أيضًا. كنَّا نقضي وقتًا ممتعًا، نحن الاثنين فقط، لكنه بدأ يشرب النبيذ الأحمر من عُلبة بعدها وأصبح متقلب المزاج تمامًا. سألتُه لماذا النبيذ في صندوق وليس في زجاجة، وأخبرني أنني طرحتُ الكثير من الأسئلة وأن أصمت. لا أعتقد أن على أبي الإسراف في الشرب، فهذا يجعله شخصًا غير لطيفٍ بالمرة. يتظاهر باللطف بشجرة الكريسماس والسمك ورقائق البطاطس، لكنه لا يحبني حقًّا. شاهدتُه لفترة بعد العشاء وهو يشاهد التلفزيون الكبير. تناثر فتات طعام على لحيته، واعتلت شفتيه قطع من الجلد الجاف تلطختْ باللون الأرجواني من النبيذ. لا أعتقد أنني أبدو مثله على الإطلاق، لستُ متأكدة حتى إن كنتُ أعتقده والدي. أكرهه عندما يسرف في الشرب. **أكرهه**.

رأيتُ مقصًّا عندما ذهبتُ لأحصل على كوب ماء من المطبخ. أعلم أنني لا يفترض بي لمسه، لكني في الحادية عشرة الآن. قررتُ أن أغلق الصندوقين الموضوعين في غرفتي جيدًا بالشريط اللاصق. ثم حدث شيء مضحك عندما بلغتُ أعلى الدرج. جاءتْ قدماي بخطة مختلفة دون إخباري ودلفتْ إلى الحمام. أشعلتُ الضوء وكانت چو تقف داخل حوض الاستحمام، أرعبتني كثيرًا. طلبتْ مني إغلاق باب الحمام، لذا أغلقتُه. ثم نظرتُ في المرآة لأرى ما أفعله.

تناثر الكثير من شعري على أرضية الحمام عندما انتهيتْ. كان تقصيره فكرة چو. عندما ضيَّقتُ عينيَّ في المرآة، استطعتُ التظاهر بأن تايلور تنظر إليَّ وسعدتُ لهذا. ابتسمتُ وابتسمتْ هي أيضًا. سألتُ چو عن رأيها وقالت إنني فعلتُ شيئًا ذكيًّا للغاية لأنهم ما داموا يملكون مرايا في ويلز، يمكنني اصطحاب تايلور معي.

الآن

عشية رأس السنة الجديدة، 2016

استيقظتُ على صوت سدادة قنينة تُفتح، قادمٍ من بعيد. أحدهم يحتفل في مكان ما. عادتْ إليَّ ذكرى، الشمبانيا في الكريسماس، قرع الكؤوس، بكاء التوءمين في الطابق العلوي. أعاني لتذكُّر المزيد، لكن بقية الملف فارغ. لا أعتقد أنني كنتُ ثملة، لكني لا أتذكَّر بصراحة، ومجرد الاحتمال يُغذِّي العار النامي داخلي. اعتاد والدانا أن يثملا وقد غيَّر الكحول ماهيتهما. لم أرِد أن أصبح مثلهما قط، لكن التاريخ لديه طريقة لتكرار نفسه سواء شئت أم أبيت. أسمع ضحكًا في نهاية الممر وأتساءل عمَّا يمكن أن يكون مضحكًا في مكان كهذا.

أخذ بول يدي. إنه هنا، لم يتخلَّ عني بعد.

قال، وهو يُقبِّلني بمنتهى الرفق على جبهتي: «سنة جديدة سعيدة».

السنة الجديدة.

إذن أنا هنا منذ أسبوع. يبدو أن الوقت هنا يمتد مثل الأكورديون: أحيانًا يتكدس معًا، وأحيانًا أخرى أشعر كما لو أن وجودي أبدي، مطوي بين ثنايا قماش على هيئة الحياة وورق مقوى. أنا مشوشة قليلًا، تائهة كثيرًا.

أعود بتفكيري إلى احتفالات العام الجديد في ماضيَّ. لا أستطيع التفكير في احتفال واحد جيد، ليس حقًّا، رغم أنها كانت أفضل من هذا حسبما أفترض.

يقول بول: «فقط حركي إصبعكِ، إن كنتِ تستطيعين سماعي، أرجوكِ».

أتخيله يحدِّق باهتمام إلى أصابعي، يريد أن يراها تتحرك. أتمنى أن أفعل هذا الشيء البسيط من أجله. أردف بعدها: «لا بأس، أعلم أنكِ كنتِ ستفعلين لو استطعتِ. قالوا إنني أستطيع البقاء حتى منتصف الليل، ما دمتُ بمفردي. إنها 12.03، لذا ...» أسمعه وهو يرفع سحَّاب سترته وأُصاب بالذعر.

لا ترحل رجاءً.

- لا تقلقي، سأظل أراقبكِ. بيني وبينكِ، سأثبِّتُ كاميرا صغيرة في غرفتكِ، الواحدة التي كنتُ أنوي وضعها خلف منزلنا. سأثبِّتُها هنا في مكان لن يلاحظه أحد. تعمل بالحركة، لذا إن نهضتِ أو بدأتِ ترقصين ليلًا، سأستطيع رؤيتكِ على حاسوبي المحمول في المنزل. أعلم أنكِ هنا يا آمبر. هم لا يصدقونني، لكني أعلم. يجب أن تتماسكي فقط، سأجد طريقة لأخرجكِ مما أنتِ فيه.

قبَّلني مرة أخرى، ثم أطفأ النور قبل أن يغلق الباب بهدوء خلفه مثل أب يضع طفلته في الفراش. أنا وحدي. مجددًا.

إذن هذا عام 2017. يبدو من المستقبل البعيد للغاية في نظري. عندما كنَّا صغارًا، ظننا أنهم سيخترعون سيارات طائرة ويقضون العطلات على القمر بحلول هذا العام. تغيرتِ الأمور كثيرًا منذ أن كنَّا صغارًا، ربما ليس كما كنَّا قد نحب، لكن صار العالم مكانًا مختلفًا. أسرع، أصخب، أكثر وحدة. وعلى عكس العالم من حولنا، نحن لم نتغير إطلاقًا، ليس حقًّا. التاريخ مرآة، وجميعنا نسخ أكبر من أنفسنا، أطفال متنكرون على هيئة بالغين.

سابقًا

عشية الكريسماس، 2016

- ما الذي تفعله هنا؟ كيف دخلت منزلي؟

جلس إدوارد بهدوء على أريكتي مبتسمًا لي. كأنه وضع طبيعي، كأن كل هذا منطقي.

زاد اسمرار بشرته أكثر من ذي قبل، وأتذكَّر السرير الشمسي ذا المظهر القديم الذي في شقته.

قال: «اهدئي يا آمبر، كل شيء على ما يرام، لمَ لا تأخذين كأسًا من النبيذ؟ استرخي، أخبريني عن يومكِ».

رأيتُ زجاجة نبيذ أحمر على طاولة القهوة وكأسين. هذان كأسانا، أنا وبول. نبيذنا.

قلتُ له: «سأتصل بالشرطة».

- لا، لن تفعلي هذا، إلا إذا كانت تلك الطريقة التي تريدين زوجكِ أن يكتشف بها أنكِ تقابلين رجلًا آخر.

أخذ الزجاجة وسكب كأسين. أحاول أن أهدأ، أفكر، أستوعب ما يحدث. تابع بقوله: «أنتِ أردتني أن آتي هنا، ولهذا تركتِ مفاتيحكِ في شقتي». وضعها على طاولة القهوة وشعرتُ بالارتياح للحظة وجيزة.

أحتاج إلى تلك المفاتيح، فليست كلها لي. ثم أدركتُ شيئًا وقلتُ: «أنت أخذت المفاتيح من حقيبتي الليلة الماضية ...».

- لماذا قد أفعل شيئًا كهذا؟ بالمناسبة، مغادرتكِ شقتي بهذه الطريقة دون وداع أمر غاية في الوقاحة.

تلعثمتُ وأنا أقول: «أنت وضعت شيئًا... في مشروبي».

- ما الذي تتحدثين عنه؟

لا تزال ابتسامته البيضاء المثالية ثابتة على وجهه البرونزي.

- أنت فعلت هذا حتمًا. هكذا فقط يصبح الأمر منطقيًّا.

تلاشت ابتسامته وقال: «لا تلعبي هذه الألاعيب يا آمبر. كبرنا كثيرًا على هذا الآن. أردتِ القدوم إلى شقتي. أردتِ أن يحدث كل ما حدث».

أشعر أنني بدأتُ أنهار.

- لا، لم أُرد.

بدت كلماتي كأنها صادرة من شخص آخر، شخص صغير وبعيد. وقفَ وعدتُ خطوة إلى الخلف. أعتمتْ عيناه قبل أن تعود الابتسامة إلى وجهه.

قال دون أن ينتظر إجابة مني: «هل تسمحين؟» ثم مدَّ يده وأخذ هاتفي من فوق طاولة القهوة. فتحه دون حاجة إلى كلمة المرور، ثم رفع الهاتف أمام وجهي حتى أرى ما ينظر إليه وسألني: «هل يبدو أنني أجبركِ على فعل شيء لا تريدينه؟».

توقَّف كل شيء. أريد أن أشيح بنظري، لكنني لا أستطيع.

مرر أمامي صورًا كثيرة لامرأة تشبهني كثيرًا، لكنني لم أرَ نفسي هكذا من قبل قط. جسدي مكشوف. فمي فاغر. ثمة متعة خالصة تعتلي وجهي. أغمضتُ عينيَّ، لكنه أضاف: «أردتِ أن نكمل للنهاية، لكنني أنبل

من هذا بكثير. يجب أن نتحلى بالصبر وننتظر الوقت المناسب. أريدكِ أن تنهي الأمور مع زوجكِ أولًا، فأنا لن أتشاركك معه. لقد أهدرنا سنوات عديدة بعيدًا بعضنا عن بعض، لكن لدينا الآن الكثير لنتطلع إليه». تقدم خطوة أخرى، فتراجعتُ خطوة ثانية.

- أنت مجنون.

ندمتُ من فوري على اختياري لكلماتي، وهو يعيد هاتفي إلى الطاولة بعنف قبل أن يقول: «لا تقلقي، هناك صور أكثر بكثير على **هاتفي**. لدي صورة مفضلة. كنتُ أفكر في إرسالها إلى **بول**. يا له من اسم مثير للشفقة، **بول**، بول المسكين، أظنه يلائمه. بريده الإلكتروني موضوع على موقعه الإلكتروني الصغير، ثم قلتُ لا، عليكِ أنتِ أن تخبريه. أليس هذا تصرفًا مراعيًا مني؟».

التفتُّ لأواجهه بعد أن زاد غضبي قليلًا عن خوفي وهو يقول: «تحتاجين إلى إخبار بول بالحقيقة وتطلبين منه المغادرة، ثم سأنتقل للعيش معكِ ويمكننا أن نبدأ مجددًا».

- نبدأ مجددًا؟ أنت مضطرب نفسيًّا، ألا تعلم هذا؟ لقد خدرتني، فعلت هذا حتمًا، لا شيء من هذا يبدو منطقيًّا. لن أفعل هذا.

تحول وجهه إلى شيء بغيض، وقال وهو يقف أمامي الآن: «أنتِ توسلتِ إليَّ، توسلتِ لتقضي الليلة معي».

يجب أن أخرج من هنا، يجب أن أجد بول.

هرعتُ إلى الباب، لكن وصل إدوارد إليه قبلي ليغلقه بقوة بيد واحدة ويصفعني بشدة باليد الأخرى.

ضربني مجددًا ووقعتُ على الأرض.

- لماذا يجب أن تفسدي كل شيء دائمًا؟ لقد سامحتكِ على كل ما فعلتِه معي قبل أعوام، لكني لن أدعكِ تجعلينني أضحوكة مجددًا.

تذكَّرتُ الخطابات التي قالت كلير إنها كتبتْها عنه عندما كنَّا في الجامعة. أحاول أن أشرح له لكنه يضربني مجددًا، ليطيح بالهواء والكلمات داخلي. توقفتُ عن سماع ما يقوله وهو يقبض بيديه على رقبتي. رفعني عن الأرض واستحال عليَّ التنفس تقريبًا. ضربتُه بقبضتيَّ وحاولتُ أن أركله، لكن بدا كأنه لا يشعر بالضربات، مثل ذبابة تحاول إيذاء حصان، أنا مجرد مصدر إزعاج.

يجب أن أفعل شيئًا، أي شيء، سيقتلني...

نجحتُ في قول: «أنا حبلى». رقصت الكلمتان في الهواء بيننا. ليس الشخص الذي تخيلتُ إخباره أولًا. لا أظنه يسمعني، لا أظنه يريد سماعي. لا أستطيع التفكير، لا يمكنني التنفس. بدأتْ حدود رؤيتي تتحول إلى اللون الأسود، ينتشر الظلام ببطء مثل حبر يُسكب على ورق نشَّاف.

سمعتُ صوت الباب الخلفي مجددًا.

سمعه إدوارد أيضًا وأنزلني إلى الأرض. وقفتُ مكاني تمامًا، خوفًا مما سيحدث بعدها. رجع خطوة إلى الخلف وظننتُ أنه سيركلني في بطني. غطيتُ بطني بذراعيَّ وأغمضتُ عينيَّ، لكن دون داعٍ. خرج إدوارد بهدوء من الباب الأمامي وأغلقه خلفه بهدوء. سمعتُ بول يملأ الغلاية في المطبخ وعلمتُ أنني بأمان، للوقت الحالي. لا يمكنه رؤيتي على هذا الحال. وقفتُ على ساقيَّ المهتزتين، وأغلقتُ الباب الأمامي مرتين، ثم أخذتُ هاتفي من فوق طاولة القهوة وأسرعتُ إلى الطابق العلوي، وحبستُ نفسي في الحمام. لحق بي بول خلال لحظات وسألني: «أهذه أنتِ؟».

- أجل.

نجحتُ في قول هذا وأنا أعاني لتذكُّر كيف أبدو في حالتي الطبيعية وأحاول أن أقلدها، ثم سألني: «كيف كانت كلير؟».

بدا غدائي مع كلير قبل وقت بعيد للغاية من الآن، واحترتُ في البداية من السبب وراء سؤاله.

أجبته: «إنها بخير، سآخذ حمامًا سريعًا فحسب، ألا بأس بذلك؟» استندتُ إلى الباب. أردتُ بشدة أن أفتحه وأدعه يعانقني. أردتُ أن أخبره كم أنا آسفة على كل شيء وكم أحبه. أتمنى لو أستطيع إخباره بالحقيقة لكنه لن يسامح شخصيتي الحقيقية أبدًا. نظرتُ إلى الهاتف في يدي ورأيتُ صورتي المجمدة على الشاشة. أشعر بالغثيان. حذفتُها لتحل أخرى محلها.

قال بول: «علَّقتُ زينة الكريسماس».

- رأيتُها، تبدو رائعة حقًّا. سعدتُ بإحضارك للشجرة.

- وجدتُ شيئًا آخر في العِلِّية وأنا أُنزل الزينة.

وضعتُ يدي على خشب الباب. تخيلتُ يده على الجانب الآخر، وأنا أتمنى لو أمسكها، ثم سألتُه: «ليس عش دبابير آخر، أليس كذلك؟».

- ليس هذه المرة. وجدتُ صندوق دفاتر قديمة.

أنا متأكدة تمامًا أن أنفاسي توقفتْ قبل أن يتابع: «تبدو كأنها مذكرات».

جميعنا مجرد أشباح لمَن تمنينا أن نكون- نسخ مزيفة طبق الأصل ممن أردنا أن نصبح.

قلت وأنا أتمنى لو أستطيع رؤية عينيه لأعلم ما يفكر فيه وإن كانت الإجابة التالية حقيقية: «أتمنى ألا تكون قرأتها».

- بالطبع لا. حسناً، ليس بعدما أدركتُ ماهيتها على الأقل. لكن أثار فضولي رقم 1992 المكتوب بخط كبير على غلاف إحداها. كم كان عمركِ وقتها؟ عشر سنوات؟

- إحدى عشرة.

ثم أضفتُ وأنا أغرق نحو الأرض وأغمض عينيَّ لأستند إلى الحائط: «ينبغي ألا تقرأ مذكرات شخص آخر قط. إنها خاصة به».

سابقًا

عشية الكريسماس، 1992

مذكراتي العزيزة،

لم أظل مستيقظة إلى هذا الوقت المتأخر من قبل. إنها الواحدة صباحًا وعندما تشرق الشمس ستكون عشية الكريسماس. أتت تايلور للمبيت في منزلنا الليلة الماضية ولا تزال هنا، نائمة في غرفتي. قال أبي وأمي إنها يمكنها المبيت لمرة أخيرة قبل أن ننتقل، هددتُهما بقص شعري أقصر إن قالا لا. سننتقل يوم 27 ديسمبر حتى يتمكن أبي من بدء وظيفته الجديدة في اليوم التالي. سأضطر إلى البدء في مدرسة جديدة أخرى في بلد جديد تمامًا في يناير، وهما لا يعرفان إلى الآن أي مدرسة حتى، وهذا هو مدى ضآلة اهتمامهما بي. تقول أمي إن تايلور يمكنها أن تأتي وتزورني في ويلز حالما نستقر هناك. تقول إن الأمور ستختلف هذه المرة. أمي **كاذبة**.

لم تقل تايلور الكثير في أثناء العشاء ولم تتناول أي بيتزا تقريبًا. كان هذا خطأ أمي لأنها أحضرت لنا بيتزا هاواي، مما يعني أن تايلور اضطرت لالتقاط كل قطع الأناناس الصغيرة قبل أن تستطيع تناولها. لم تكن والدة تايلور لترتكب هذا الخطأ أبدًا، فهي تعرف ما نحب تناوله. لم يتبقَّ معنا أي مال على الإطلاق الآن، ولا حتى العملات المعدنية التي

احتفظتْ بها جدتي في جرتها لأيام الشِّدة. كان أبي في الحانة. لديه صديق هناك، يُدعى لاحق، عليه حساب مشروباته كلها، وسمعتُ أبي يقول إنه لا داعي أن ندفع له قبل مغادرتنا. أغضب أمي هذا لسبب ما، لذلك وضعتْ حساب البيتزا على بطاقة أبي الائتمانية، وهي بطاقة مخصصة لحالات الطوارئ فقط، وأخبرتني ألا أقول له. كان الأمر كأننا تناولنا بيتزا طارئة.

خلدتْ أمي إلى الفراش باكرًا وقالت إنها مرهقة. إن كانت متعبة للغاية طوال الوقت، فأنا لا أعلم لمَ يتوجب عليها أخذ حبوب منومة كل ليلة، لكني سعدتُ أنها تركتنا وشأننا. شاهدتُ أنا وتايلور فيلمًا. شاهدتُه من قبل، لذا شاهدتُ تايلور وهي تشاهد التلفزيون الكبير. أطفأتُ جميع الأنوار مثلما يفعل والداها في ليالي مشاهدة الأفلام، وأضاء وهج الشاشة وجهها بالكامل، كأنها ملاك. لم تضحك عند بعض الأجزاء المضحكة، رغم أنني ضحكتُ، توجهتْ إليَّ بنظرة حزينة فحسب، ثم عادتْ لتحدِّق إلى الشاشة. أمسكتُ يدها لأنني أردتُ هذا وتركتني أمسكها. اعتصرتُها ثلاث مرات[1] وبعدها بقليل اعتصرتْ يدي ثلاث مرات هي الأخرى، لكن دون أن تنظر إليَّ.

صعدنا إلى غرفتي عندما انتهى الفيلم. تحدثنا لبعض الوقت، لكن ليس طويلًا كما نفعل عادةً، بخاصةٍ أن تايلور ظلت تتحدث عن أمور حدثتْ معها وأنا لست جزءًا منها. كانت تتسكع مع فتاة تُدعى نيكولا، وهما تذهبان معًا إلى دروس الباليه في قاعة الكنيسة. لا أذهب لدروس باليه، فنحن لا يمكننا تحمُّل تكلفتها. من الواضح أن نيكولا طريفة للغاية وتقول النكات طوال الوقت. تقول تايلور إنني لا أزال أعز صديقاتها،

(1) حركة للتعبير عن الحب وكل مرة فيها تعبر عن كلمة في عبارة أنا أحبك بالإنجليزية (I love you). (المترجمة)

فأنا سألتُها لأتأكد. لا أعلم لماذا تحتاج إلى صديقات أخريات، فأنا ليس لي غيرها ولا بأس بذلك.

أخبرتني تايلور أنها تتطلع حقًّا إلى يوم الكريسماس. ستتجمَّع عائلتها بأكملها في منزلها وتقول تايلور إن والدتها اشترت أكبر ديك رومي رأته على الإطلاق، بحجم النعامة، كبير للغاية. ستمكث جدتها معهم وجعلني هذا أشعر بالحزن على جدتي، لذا لم أتحدث لفترة، أصغيتُ فقط. أنا جيدة في الإصغاء، يقول الناس كل أنواع الأشياء إن سمحتُ لهم بهذا فحسب. وعندما قالت إنها لا تريدني أن أذهب إلى ويلز صرتُ غاية في السعادة لأن فكرة مغادرتي هي ما أحزنتها بشدة. وعدتُها حينها أنني لن أذهب إلى أي مكان وعنيتُ هذا، أنا أفي بوعودي.

عاد أبي مخمورًا وتسبب في ضوضاء كثيرة وهو يصعد الدرج. كنتُ محرجة، لكني سعدتُ قليلًا أيضًا، فهو يغط في سبات عميق بعد عودته من الحانة وحبوب أمي المنومة لها مفعول قوي للغاية فيستحيل إيقاظها تقريبًا. كانت تايلور نائمة في الطابق العلوي أيضًا. الجميع نيام.

لا يُسمح لي باستخدام أعواد الثقاب. فهي على القائمة نفسها التي تضم المقصات، لكن معي صندوق كامل منها. كانت معي لفترة الآن. أخذتُها من المدرسة في اليوم الذي درسنا فيه عن مواقد بنسن، تعلمتُ الكثير يومها. أشعلتُ عود ثقاب قبل أن أنزل الدرج. أراد جزء بسيط مني أن أوقظ تايلور، حتى نفعل هذا معًا، لكنها لم تتحرك لذا تركتُها تكمل نومها. أحببتُ كثيرًا رائحة عود الثقاب وهو يحترق لدرجة أنه أحرق أطراف أناملي. أردتُ أن تخمد الشعلة نفسها.

حزمتُ كل الأشياء المهمة في حقيبة المدرسة.

وأهم ثلاثة أشياء هي:

1. كتبي المفضلة (بما فيها **ماتيلدا، أليس في بلاد العجائب، والأسد، والساحرة وخزانة الملابس**).
2. مذكراتي.
3. صديقتي المفضلة تايلور. لن أتركها خلفي أبدًا لأننا كحبتَي بازلاء في قرن واحد.

سابقًا

عشية الكريسماس، 2016

استلقيتُ في حوض الاستحمام، وأنا أتمنى أن يكون الماء ساخنًا بما يكفي لحرق جسدي، لكنني لا أريد إيذاء الطفل الذي يحاول النمو بداخلي. أتخيل كيف قد يبدو هذا المشهد في غضون أسابيع قليلة، تلٌّ يبرز فوق ماء حوض الاستحمام، أرض جديدة، في انتظار الاستيلاء عليها. وضعتُ يدي اليمنى على بطني، بلطف، كأنه قد يرد لي ما أفعله، كأنه ليس جزءًا مني. لا أشعر بأي شيء. ربما الوقت مبكر للغاية فحسب.

عندما أصبح الماء أبرد مما يمكنني تحمُّله، خرجتُ من حوض الاستحمام وجففتُ نفسي. نفد البخار بالفعل وصُدمتُ عندما رأيتُ انعكاسي في مرآة الحمام، ثمة بصمات أصابع حمراء واضحة تمامًا حول رقبتي البيضاء. الكدمات التي أصابتني من الداخل أقدَم قليلًا، ولكن يسهل رؤيتها كرؤية تلك الكدمات إن كنت تعلم كيف تنظر داخلي.

فتحتُ باب الحمام، وسمعتُ بول بالطابق السفلي. ثم شممتُ رائحة النار وجعلتني أريد التقيؤ تقريبًا. خطوتُ بحذر على سجادة من الأكاذيب، في محاولة مني ألا أزعجها. حالما صرتُ في غرفة النوم ارتديتُ كنزة عالية الرقبة وبنطالَ ركض مريحًا قبل أن أنزل الدرج بسرعة إلى غرفة المعيشة.

قال بول: «ها أنتِ ذي. شراب؟».

- أهذا آمن؟

- الشراب؟

- وضع النار. ألا تحتاج إلى أن تُحاط بسياج قبل أن نشغلها؟

- لا بأس، ظننتُها ستمنحنا شعورًا بالدفء بما أنها عشية الكريسماس.

الغرفة مُضاءة بشجرة الكريسماس والنار. يحاول فعل شيء لطيف، لكنه فعله بطريقة خاطئة للغاية. لستُ بحاجة إلى قول أي شيء، فهو يقرأ أفكاري على وجهي لذا قال: «تبًّا، أنا آسف، على الأغلب هذا يجعلكِ تفكرين في ... أنا آسف، أنا أحمق».

- لا، لا بأس، سيستغرق الأمر القليل من الوقت فقط لأعتاده، هذا كل شيء.

أخذ زجاجة النبيذ الأحمر التي فتحها إدوارد وملأ كأسَي النبيذ. لا أريد أن ألمسهما أو أشرب منهما، لكني تماشيتُ مع الأمور. هناك الكثير لأقوله، لكني أعاني للعثور على أي كلمات مستعدة للخروج. نجحتُ أن أقول وأنا أقرع كأسي في كأسه: «نخبك ونخب كتابك الجديد، مبارك».

- نخبنا.

قالها وقبَّلني على وجنتي. أخذتُ رشفة صغيرة وراقبتُه وهو يبتلع نصف كأسه. جلسنا صامتَين لبعض الوقت، نحدِّق فقط إلى النيران. من المضحك كيف أن يكون للشيء نفسه معنى مختلف لأشخاص مختلفين. أتمنى لو كان يعرف بشأن الطفل. سيعتقد أنه معجزة. أفترض أنه كذلك بطريقة ما. لا يمكنني إخباره الآن، فقد حدث الكثير اليوم. أريد أن أخلق

ذكرى لا تُمزق قبل أن تُصنع. مددتُ يدي إلى يد بول في الوقت نفسه الذي مد يده فيه إلى حاسوبه المحمول.

- إذن، أرسلتْ إليَّ لورا أفكارها الأولية عن الجولة. ستكون رائعة. نيويورك، لندن بالتأكيد، باريس، برلين. حمدًا للرب أننا سنكون بمفردنا، لم نكن لنستطيع الذهاب لو كنَّا مقيدَين.

فرقع مستقبلي الخيالي مثل فقاعة طفل في الرياح، كانت تطفو بحذر للحظة، ثم طُمست في اللحظة التالية. تراجعتْ كلماتي وتوجهتُ له بابتسامة بدلًا منها. أغلق بول حاسوبه المحمول ووضعه على الطاولة وهو يأخذ رشفة أخرى من مشروبه. حدَّقتُ إلى ألسنة النار المتراقصة في المدفأة. تبدو جامحة ومتمردة، وتجعلني أريد الفرار من الغرفة.

سألني: «إذن، ما زلتِ تحتفظين بمذكرات للآن؟».

- ماذا؟ لا.

مدَّ يده إلى جانب الأريكة في حين تسللتِ ابتسامة خبيثة إلى وجهه وقال: «ربما ينبغي لنا أن نقرأ منها قليلًا، من باب التسلية؟».

رأيتُ المذكرات في يده، كُتب عام 1992 بخط مموج مألوف على غلافها، سرى البرد في جسدي رغم الحرارة.

- قلت إنك ستعيدها.

أخطأ الظن وظنَّ نبرتي مازحة وأن هذه لعبة فقال: «فقرة واحدة فقط، هيا».

- قلتُ: لا.

كان صوتي أعلى مما كنتُ أقصد وأدركتُ أني واقفة. تغيَّر وجهه ومدَّ يده بالمذكرات لآخذها. خطفتُها كالأطفال وضممتُها إلى صدري قبل أن

أجلس. حدَّق بول إليَّ مباشرةً، لكني لا أستطيع النظر بعيدًا عن النار، فأنا أخشى ما قد يحدث إن فعلتُ.

سألني: «لماذا احتفظتِ بها إن كانت تزعجكِ إلى هذا الحد؟».

أفسدتُ أجواء المساء الآن وكرهتُ نفسي لهذا. أنا أفسد كل شيء. أشعر أن وجهي ساخن، وبدت لي ألسنة اللهب أكبر حجمًا بطريقة ما، كأنها مسألة وقت قبل أن تقترب وتحرق كل ما تبقى معي.

أجبتُه: «أنا لم أحتفظ بها. وجدتُها في عِلِّية منزل أبي وأمي وأنا أُخْليه العام الماضي». وضع بول كأسه الفارغة على طاولة القهوة إلى جانب كأسي التي بالكاد لمستُها. أغمضتُ عينيَّ حتى لا أرى ألسنة اللهب، لكني ما زلتُ أستطيع سماع صراخها، وهو يقول: «ظننتُ أننا لا نخفي أي أسرار بعضنا عن بعض».

- لا نفعل، تلك ليست أسراري. هذه مذكرات كلير.

الآن

عشية العام الجديد، 2016

لم تكن أختي أختي دائمًا، اعتادت أن تكون صديقتي المفضلة. دائمًا ما نادتني تايلور آنذاك، ناداني الجميع تقريبًا باسم عائلتي لأن هذا ما كنتُ أفضِّله. بدا اسم آمبر لي في المرتبة الثانية طيلة الوقت، مثل إشارات المرور. أحمر، عنبر[1]، أخضر. الأحمر للوقوف، والأخضر للانطلاق، لكن العنبر معناه ضعيف للغاية بينهما، بلا شأن، مثلي تمامًا. اقتنعتُ أن اسمي هو السبب وراء عدم حب الأطفال في المدرسة لي، لم ينادوني آمبر، نادوني بأسماء أخرى بدلًا منه. غضب والداي بشدة لهذا في البداية وحاولا إقناعي أن العنبر حجر نفيس، لكنني علمتُ أنني لستُ نفيسة. لم أتجاوب مع أي اسم غير تايلور لأسابيع، لذا نادياني به أيضًا في النهاية. تغيرتِ الأمور عندما تزوجتُ فقط. مُحيت كنية تايلور وحل محلها رينولدز. بدؤوا ينادونني آمبر مجددًا بعدها، وشعرتُ كأنني شخص جديد. أتذكَّر إغلاق أمي الهاتف وإخباري أنني مدعوة للمبيت في بيت كلير لمرة أخيرة قبل انتقالها. لم أرد الذهاب، كنتُ غاضبة لأنها سترحل، لكن قالت أمي إنني ينبغي لي الذهاب، وقالت إن هذا هو التصرف الصحيح. كانت مخطئة. كانت أكبر غلطة اقترفتُها وظللتُ أدفع ثمنها من وقتها.

---

(1) اسم آمبر (Amber) يعني العنبر وهو حجر أصفر اللون. (المترجمة)

طلبتْ لنا والدة كلير بيتزا في العشاء ليلتها؛ إذ لم تكن طاهية ماهرة. ما زلتُ أتذكَّر كلير وهي تصرخ في وجهها وتخبرها أنني لا أحب الأناناس، بدت مرعبة وهي هكذا، خارج عن السيطرة. لم أتحدث إلى والديَّ بطريقتها هذه قط، ودائمًا ما كنتُ أجد عدم معاقبتهما لها ببساطة على الكثير من الأشياء أمرًا غريبًا. والدها لم يكن موجودًا أغلب الوقت، أحب خسارة المال القليل الذي امتلكوه في القمار، ودائمًا ما خسر الوظائف كخسارته الرهانات. عانت والدتها من مشكلة بسيطة في شرب الكحوليات وبدت دائمًا غاية في الحزن والتعب كأن الحياة هزمتها. يئست من كلير كما يئست من الحياة أيضًا في النهاية، وجعلني هذا أدرك أن مَن لا يفعلون شيئًا بنفس خطورة أولئك الذين يفعلون.

لم تكن كلير شهيرة في المدرسة حينها، كانت طفلة غاضبة، غاضبة من العالم وجميع مَن فيه تقريبًا. انتقلوا كثيرًا، وأوقعتْ نفسها في المشكلات في كل مدرسة ذهبتْ إليها تقريبًا. كانت ذكية للغاية. متقدة الذكاء. بدا الأمر كأنها سئمتْ من أغلب الناس بمجرد مقابلتها إياهم، كأنها استطاعت أن ترى هويتهم وماهيتهم من فورها، وشعرتْ بخيبة الأمل دائمًا. فضَّلتْ قراءة القصص أكثر من الحياة الواقعية، وهكذا أصبح بعض أصدقائها المقربين بين صفحات الكتب. كنتُ صديقتها الحقيقية الوحيدة. تملكتْها الغيرة إن تحدثتُ عن أي شخص آخر حتى، فتعلمتُ ألا أفعل.

ما زلتُ أفكر فيما حدث كل يوم. أتساءل إن كانت غلطتي بالكامل، وإن كان بمقدوري أن أفعل شيئًا لمنعه. كانت مجرد طفلة صغيرة، وكذلك كنتُ أنا. الفتيات الصغيرات مختلفات عن الفتيان، فهنَّ مصنوعات من الود والطيبة والندوب المؤبدة. ما زالتْ ندوبي موجودة، وجودها داخلي لا يعني أنها ليست موجودة. سمعتُها ليلتها وهي تنهض وتتحرك ببطء في أنحاء الغرفة. كنتُ أدير ظهري لها، لكن عينيَّ مفتوحتان. سمعتُها تشعل عود

ثقاب، وشممتُ رائحته وهو يحترق. ظننتُ أنها تشعل شمعة أو شيئًا ما حتمًا، فالكهرباء انقطعت عن منزلها أحيانًا، ودائمًا ما عانى والداها لدفع الفواتير. ثم خرجتْ إلى الردهة. انتظرتُ لبعض الوقت، لكني نهضتُ لأرى أين ذهبتْ عندما لم تعد. دائمًا ما كان الجو باردًا في منزلهم، لذا حزمت لي أمي رداء النوم الوردي الجديد. لففتُه حولي بإحكام وعقدتُ حزامه.

تسللتُ إلى الممر ومررتُ أمام غرفة والدة كلير على أطراف أصابعي، ثم وقفتُ على قمة الدرج. كانت كل الأبواب مغلقة عدا باب الحمام ورأيتُ أنه فارغ. سمعتُ ضوضاء أسفل الدرج وشققتُ طريقي خلال الدرجات الأولى وأنا أحاول أن أكون هادئة قدر استطاعتي. وحينها رأيتُها، كان مشهدًا غريبًا. جلستُ القرفصاء على الأرض وشاهدتُها من خلال الدرابزين وهي تتجول في أرجاء المطبخ.

ارتدتْ كلير حقيبتها المدرسية على منامتها، وشاهدتُها، وهي تقف بلا حراك أمام الفرن الأبيض القديم. أدارتْ أحد المقابض ووقفتْ هناك فحسب لتحدِّق إلى الموقد كأنها تنتظر حدوث شيء ما، ثم أدارتْ مقبضًا آخر. ظللتُ حيث أنا لبعض الوقت، كأنني متجمدة. ثم أدارتْ رأسها ببطء شديد في اتجاهي، واعتقدتُ أنها تستطيع رؤيتي هناك على الدرج. بدت كأنها تنظر إليَّ مباشرةً، وعيناها تومضان في الظلام، مثل القطة. أتذكَّر أنني شعرتُ برغبة في الصراخ وقتها. ليتني فعلتُها فقط. أشاحت بنظرها وعادت إلى الموقد، لتدير مقبضًا آخر.

وقفتُ بهدوء قدر المستطاع وتسللتُ إلى الطابق العلوي. لم أفهم حقًّا ما كان يحدث، لكنني علمتُ أنه أمر سيئ وخاطئ. جرَّبتُ مقبض غرفة والدتها، كانت موصدة. كان عليَّ أن أطرق الباب، أو أفعل شيئًا، أي شيء، لكنني عدتُ إلى غرفة كلير وأويتُ إلى الفراش، وأنا لا أزال أرتدي ثوبي الوردي. أظنني تمنيتُ فقط أن يكون كل هذا حلمًا سيئًا.

سرعان ما بدأتْ رائحة الغاز تنتشر حتى في غرفة النوم، مثل غيوم خفية تنتشر في أرجاء المنزل وتملأ كل فراغ وكل زاوية مظلمة. جذبتُ اللحاف فوق رأسي متمنيةً أن يكفي هذا لإنقاذي، ثم سحبه أحدهم. فتحتُ عينيَّ ورأيتُ كلير، التي لا تزال تحمل حقيبتها، تقف فوقي. هزتني كأنني كنتُ نائمة، رغم أنني كنتُ مستيقظة تمامًا، ثم ابتسمتْ لي. سأتذكَّر دائمًا ما قالته وقتها.

سأعتني بكِ دائمًا يا آمبر تايلور، أمسكي يدي.

دائمًا ما فعلتُ كما أخبرتني كلير، وما زلتُ أفعل. وقفتْ عند باب الحمام كأنها رأت شبحًا. كان الحمام مظلمًا، ولم أستطع أن أرى في البداية ما كانت تحدِّق إليه. ثم انحنتْ والتقطتْ سنَّادة الباب الحديدية الخاصة بجدتها ووضعتْها في حقيبتها. كانت على هيئة طائر أبي الحناء؛ تمثال صغير لطائر لن يستطيع التحليق أبدًا. قادتني إلى الممر، ثم توقفتْ مجددًا وواجهتني قبل أن تضع إصبعها أمام شفتيها.

- ششش.

أمسكتْ يدي بإحكام وجذبتني إلى نهاية الدرج، ازدادت حدة رائحة الغاز في أنفي مع كل خطوة. انعطفتْ يمينًا عند نهاية الدرج، لنبتعد عن المطبخ ونتجه نحو غرفة المعيشة. أجلستني على كرسي من الكراسي ذات المساند وانحنتْ بجانب المدفأة. دائمًا ما أعدَّت والدتها أشياء بسيطة وجاهزة للاشتعال، لكنهم لم يشعلوها إلا في أيام الأحد فقط. كانت مجرد كومة من الصحف، والعصي، وألقوا شمعة قديمة على قمتها أحيانًا. أشعلتْ كلير عود ثقاب، لتشعل الضوء في الكومة الصغيرة. ثم ألقتْ صندوق أعواد الثقاب فوق الكومة، وأخذتْ يدي لتقودني خلال الباب الأمامي، الذي أغلقتْه خلفنا. لم ننتعل أي شيء وأتذكَّر أن الحصى البارد أخذ يخِزُ قدميَّ، وهي تسحبني إلى نهاية ممر السيارات. أمسكتْ

يدي بإحكام شديد، كأنني قد أهرب إن أفلتتها. ثم طلبتْ مني ألا أبكي. لم أدرك أنني كنتُ أبكي.

ذهبنا لنجلس فوق جدار منزل على الجانب المقابل من الطريق، يمكنني الشعور ببرودة الصخر خلال ردائي حتى. جلسنا على ذلك الجدار الصغير لفترة شعرتُ أنها أمدٌ. لم تنبس ببنت شفة، أحكمتْ قبضتها بشدة على يدي فقط، وحدَّقتْ إلى المنزل بثغرٍ باسمٍ. خشيتُ أن أنظر إليها لوقت طويل، لذا حدَّقتُ أغلب الوقت إلى قدميَّ الصغيرتين الحافيتين فحسب، وقد بدأتْ تتحول إلى اللون الأزرق من البرد. حتى عندما بدأتْ تغني، لم أرفع بصري إليها.

اضوِ، اضوِ يا نجمي الصغير،

كم أتساءل ما أنت يا منير،

فوق العالم في العلياء

مثل النار في السماء.

أحبتْ كلير أغاني الأطفال. قالت إنها تُذكِّرها بجدتها، لكنها دائمًا ما غنت الكلمات بطريقة خاطئة. كلير من الأشخاص الذين يرون ما يريدون بدلًا من رؤية الأمور على حقيقتها. لم ينفجر المنزل بالضبط. بدا كأنه انفجر ببطء فحسب من الخلف. تعالى صوت انفجار، ليس بعلو ما تسمعه في الأفلام، لكن كأن الصمت سُحب من تحت الطوب. بدت مقدمة المنزل كعهدها دائمًا بالضبط في البداية، لكن سرعان ما رأيتُ ألسنة اللهب ترقص خلف النوافذ. سمعنا صفارات الإنذار قبل أن نرى سيارة الإطفاء بوقت طويل. صمتتْ حينها، وانزلقت الابتسامة عن وجهها وسالتِ الدموع على وجنتيها. بكت على والديها لساعات وقتها، مثل صنبور لا يمكن إغلاقه. وظللتُ أنا أبكي عليهما من وقتها.

أصبح الدخان جزءًا مني ليلتها، لذا مهما غسلتُ شعري وفركتُ جلدي، ما زلتُ أشم رائحته. التف حول حمضي النووي، وغيرني. قالت إنها قتلتهما من أجلي. قالت إنها ظننت أن هذا ما أردتُه، حتى يتسنى لنا أن نبقى معًا، كي تستطيع حمايتي. قضيتُ حياتي من بعدها أتساءل عن السبب وراء فعل أحدٍ شيئًا كهذا. قالت إنهما لم يحباها، لا أدري إن كان هذا حقيقيًّا. ثمة أنواع مختلفة من الحب، ولا يمكن لكلمة واحدة أن تصفها بدقة قط. بعض الأنواع يسهل الشعور بها عن الأخرى، وبعضها أخطر. يقول الناس إنه لا شيء يضاهي حب الأم، وإن سلبت هذا الحب لن تجد شيئًا يضاهي كره الابنة.

جفلتُ من صوت سيارة الإسعاف في الخارج، وارتجَّت الذكريات في رأسي. حدَّقتُ إلى إحدى بلاطات سقف المستشفى التي لا تتشابه تمامًا مع بقية البلاط، واستغرق الأمر مني بضع ثوانٍ طويلة قبل أن أدرك أن عينَيَّ مفتوحتان. لا أشعر كأنني في حلم، تبدو حقيقة. يبدو أن جفنَيَّ قررا أن يرتفعا فحسب من تلقاء نفسيهما. الغرفة مظلمة ولا يمكنني تحريك رأسي، لكن يمكنني أن أرى، أنا متأكدة من هذا. طرفتُ بعينيَّ، ثم طرفتُ مجددًا. خشيتُ، في كل مرة أغمضتُ عينيَّ، ألا تُفتحا مجددًا، لكنهما فُتحتا. بدأتْ عيناي تعتادان الظلام ببطء، ويمكنني رؤية الغرفة. النافذة حيث يُفترض لها أن تكون بالضبط، لكنها أصغر مما تخيلتُ. يمكنني رؤية طاولة إلى جانب الفراش، وهناك بعض بطاقات تحمل أمنيات بالشفاء العاجل، ليست كثيرة. يمكنني رؤية الباب أمام جسدي المكسور عديم الفائدة مباشرةً. سمعتُ صوتًا في الخارج، ورأيتُ المقبض يدور. أخبرتني غريزتي أن أغمض عينيَّ وأغمس نفسي في الظلام مجددًا، لأعود إلى العالم حيث يمكن رؤيتي، لكن لا يمكن سماعي.

الآن

عشية العام الجديد، 2016

هناك أناس في الخارج مباشرةً. لا يمكنني تبيُّن هويتهم، لذا أبقيتُ عينيَّ مغمضتين. بدأتُ أفسر الكلمات، مجرد شظايا مقطَّرة من الصوت تتصفى عبر فجوة صغيرة بين الخشب والجدار. فُتح الباب قليلًا وصقلت العبارات السريعة نفسها بما يكفي ليتضح أنها ليست الأصوات التي أريد سماعها.

- لا، أنا متأكد. غادِر، احصل على بضع ساعات من النوم. لا داعي أن يقضي الجميع رأس سنة مروعًا. أراك في الصباح.

إنه إدوارد.

أبقيتُ عينيَّ مغمضتين وحاولتُ الحفاظ على هدوئي. أغلق الباب وسمعتُ دوران القفل. ترك الأنوار مطفأة وسار ببطء نحو الفراش.

- حسنًا، مرحبًا يا سيدة رينولدز، كيف حالنا هذا المساء؟ لا جديد حسبما أرى. حسنًا، هذا أمر مؤسف للغاية.

سار نحو النافذة وسمعتُ صوت إغلاق الستائر. أستطيع تصور محيطي بشكل أوضح بكثير الآن بما أني رأيته. الأمر لم يعد يبدو كالحلم، وصار أشبه بمحاولة الرؤية عبر عصابة عينين.

- إنه رأس العام الجديد. أتعلمين هذا؟ كان لدي آمال كبيرة لبداية عام 2017. ظننتُ أنني سأقضيها مع هذه الفتاة التي اعتدتُ معرفتها، لكنها أفسدتْ كل شيء. لذلك تطوعتُ أن أعمل في وردية ليلية إضافية، في الواقع تطوعتُ حتى أكون معها على أي حال. والآن نحن الاثنان بمفردنا، كما يجب أن نكون دائمًا.

أسمعه يفعل شيئًا إلى جوار الفراش، لكني لا يمكنني معرفته.

- كنتُ أفكر في زوجكِ كثيرًا على مدار الأيام القليلة الماضية ويجب أن أقول إنه ليس كما توقعتُه على الإطلاق. بالمناسبة، لا تزال الشرطة تعتقد أنه مَن فعل هذا بكِ، لكن بعد كل ما أخبرتُهم إياه، هذه ليست مفاجأة إطلاقًا. أنا مدهوش أنهم ما زالوا يسمحون له بدخول المستشفى. أخبرتهم أنني أحد الأطباء هنا وصدقوني. لكنكِ صدقتِني أيضًا، أليس كذلك؟

وقف إلى جانب الفراش وبدأ يربت على قمة رأسي. حبستُ أنفاسي بشكل لا إرادي. أزاح شعري خلف أذني ويمكنني سماع دقات قلبي بصوت عالٍ داخلهما، في محاولة لدق ناقوس الخطر.

- هو ليس رجلًا غير جذاب، **بول المسكين**، زوجكِ، لكنه لا يهتم بنفسه، يبدو في حالة من الفوضى بصراحة. ألهذا عدتِ إليَّ؟ هل أردتِ رجلًا حقيقيًّا مجددًا بدلًا من شخص ضعيف نحيل؟

مرر إصبعه على جانب وجهي، وداعب وجنتي، ثم وضع يده على فمي وقال: «لا بأس إن كنتِ لا تريدين الرد، أنا أتفهم الوضع، كما أنني تعلَّمتُ بالطريقة الصعبة أن كل ما يخرج من هذا الفم كذب».

انحنى حتى يتحدث إلى أذني اليمنى مباشرةً ويقول: «يجب أن تتوقفي عن الكذب يا آمبر، أكاذيبكِ ستلحق بكِ».

لا يمكنني التنفس، ووصل الأمر إلى مرحلة اعتقادي أني سأدفعه بعيدًا عني، لكني تذكَّرتُ وقتها أنني لا أستطيع. رفع يده عن وجهي.

- يبدو أنه يحبكِ حقًّا، أعترف بهذا، لكن هذا لم يكن كافيًا لكِ أبدًا، أليس كذلك؟

حاولتُ أن أبقى هادئة، أتحكَّم في أنفاسي، وأعيد نفسي إلى المركز. أتساءل إن كان سيُقبِّلني مرة أخرى، وشعرتُ بالاشمئزاز من الفكرة.

- لم تكن علاقتكما جيدة؟ أهذا هو الأمر؟ أتذكَّر كم كنتِ تحبين الاهتمام، أليس كذلك يا آمبر؟ لا بد أن الأمر كان صعبًا، بالتفكير في الوضع، وأنتِ مستلقية هنا كل هذا الوقت دون أن يهتم أحد باحتياجاتكِ. أنا مستعد لتحمُّل بعض المسؤولية عن ذلك، بصفتي أحد الموظفين في هذه المؤسسة الطبية المكرسة لجعلكِ مرتاحة قدر الإمكان.

ربَّت عليَّ، ثم انزلقت يده تحت الأغطية. شعرتُ بأصابعه تتحرك بكل سهولة. أصرخ داخل رأسي وأنا أشعر به قبل أن يقول: «كيف تشعرين؟ أفضل؟ تحدثي، فأنا لا أستطيع سماعكِ. سأعتبر صمتكِ لا. يا له من عار! لكن في الوقت نفسه من الصعب أن أجعل الناس تتحسن وأنا لستُ طبيبًا حقًّا. ومن الصعب أن تصبح طبيبًا عندما تُخرِّب لعينة صغيرة سخيفة مسيرتك المهنية بإرسال خطابات تافهة».

ارتفعتْ همساته لتصبح كلمات صاخبة. لا بد أن أحدهم يمكنه سماعه حتمًا.

لماذا لا يأتون؟ لماذا لا ينقذني أحد؟

- حطمتِ فؤادي، ودمرتِ مسيرتي المهنية وظننتِ أنكِ ستفلتين بهذا، أليس كذلك؟

أشعر برذاذ لعابه وهو يبثق كلماته في وجهي.

- أنا حارس ليلي لعين بسببكِ، لكن لا بأس فأنا معي مفاتيح المستشفى كله، ويمكنني غلق أي باب وفتح أي خزانة طبية، وأنا لدي بعض المعرفة، لم أنسَ تدريبي. أعلم كيف أبقيكِ هنا دون أن يشك أحد في شيء.

أنفاسه تتسارع، يجب أن أذكِّر نفسي ألا أتحرك، وألا أصدر صوتًا. صار يلهث مثل الكلب وهو يقول: «أليس لديكِ أي شيء تدافعين به عن نفسكِ؟ لا؟ رغم هذا سامحتكِ، راقبتكِ، وانتظرتكِ حتى تدركي ما اقترفتِ من خطأ وتصححي الأمور. ظننتُ أننا لا نزال نملك فرصة معًا، لكن أمثالكِ من النساء لا يتعلمن أبدًا، ولهذا توجَّب عليَّ تلقينكِ درسًا، هل تفهمين؟» صمت وظننتُ للحظة أن كل شيء انتهى، لكنه لم ينتهِ وقال: «رأيتكِ هنا في المستشفى قبل عامين، وقت ولادة أختكِ الحقيرة. مررتِ بجانبي مباشرةً. مرتين. كأنني نكرة، كأنني لم أعنِ لكِ شيئًا. تبعتكِ إلى المنزل يومها. أحببتكِ لعشرين عامًا تقريبًا وأنت لم تتذكَّريني حتى. حسنًا، ربما ستتذكِّرينني الآن».

أسمعه يفك حزامه. أشعل الضوء فوق الفراش وهو يجذب الغطاء من فوقي بقوة يقول: «انظري إلى حالكِ القذر، اعتدتِ أن تهتمي بنفسكِ عندما كنَّا طالبَين، اعتدتِ أن تبذلي جهدًا. انظري إلى مظهركِ الآن. أنا أسدي إليكِ معروفًا حقًّا. يجدر بكِ أن تكوني ممتنة».

اهتزَّ الفراش وهو يصعد فوقه، أشعر به وبوزنه وأنفاسه على وجهي. حاولتُ أن أنفصل عن الواقع. كأن هذا لم يعد يحدث معي، لكني مجبورة فقط على مشاهدته بعينين مغمضتين. يصطدم فراش المستشفى بالحائط، أشعر بضربات منتظمة داخل رأسي. أعلم أنني لا يمكنني مقاومته، فهو قوي للغاية، سأخسر.

- على مقياس من واحد إلى عشرة، إلى أي قدر تتألمين الآن؟

إنه يؤذيني ويستمتع بالأمر. يجب أن أظل ساكنة صامتة. سيقتلني إن لم أفعل. أنا متأكدة من هذا الآن. لأحيا، يجب أن أتظاهر أنني مت بالفعل.

نزل عن الفراش حالما انتهى. ساد الصمت لفترة وظننتُ أنه سيغادر، لكنه ظل واقفًا مكانه. يمكنني سماع أنفاسه المتسارعة. يمكنني شم رائحته. يبدو أنه يفعل شيئًا بمحلول التغذية الوريدي.

- لم يكن هذا كما تمنيتُ، لكن بالنظر إلى الماضي دائمًا ما كنتِ أشبه قليلًا بجثة لعينة.

سمعتُه يربط حزامه. ويعيد الغطاء فوق جسدي.

- وداعًا يا آمبر. نومًا هنيئًا.

أطفأ النور، ثم غادر.

شعرتُ كأنني وصلتُ إلى نقطة النهاية، وما من شيء بعدها. خشيتُ أنني لن أستطيع فتح عينيَّ مجددًا. خشيتُ مما سأراه إن فتحتهما. لم يعد يمكنني الشعور بأي شيء، لذا بدأتُ أعد. بعد ألف ومئتي ثانية، حاولتُ تصديق أنني بأمان. توحدتِ العشرون دقيقة لتشكِّل جدارًا بيني وبينه. هذا ليس كافيًا، لكن عندما فتحتُ عينيَّ، استطعتُ أن أرى اختفاء وجوده المادي على الأقل. أدركتُ وقتها فقط أن أصابعي تتحرك. كنتُ أستخدمها للعد. أستطيع تحريك يديَّ. ما زالت الغرفة مظلمة وأخذتْ عيناي تعتادان عليها. كل ما أستطيع رؤيته للآن بعد أطراف فراشي هي غيوم رمادية من الألم. أتساءل ما يمكنني فعله أيضًا، لو كنت أستطيع تحريك يديَّ. رفعتُ ذراعي اليمنى ببطء كأنها قد تُكسر. إنها ثقيلة ويصعب الحفاظ على توازنها، كأنها صينية محمَّلة أكثر من اللازم. رأيتُ

أنبوبًا متصلًا بظهر يدي ونزعتُه لأصيح من الألم. أحتاج إلى المساعدة، يجب أن أسرع، لكن كل شيء يبدو بطيئًا للغاية، وصعبًا للغاية.

ما زلتُ لا أستطيع تحريك بقية جسدي. نظرتُ حولي إلى ما يمكنني رؤيته من مكاني على الفراش حتى وجدتْ عيناي حبلًا أحمر. يبدو كشيء قد تسحبه إن كنت بحاجة إلى المساعدة، وأنا بحاجة إلى المساعدة حقًّا. رفعتُ ذراعي اليمنى التي بدأتْ ترتجف وضربتْ كيس محلول التغذية الوريدية في طريقها. توقفتُ وحدَّقتُ إلى الكيس نصف الفارغ من السائل الصافي الذي ظل يتأرجح بلطف على الحامل. أنا متأكدة أنه يحتوي على المخدرات التي كان يضخها بداخلي. نزعتُه واستطعتُ أن ألقيه في الخزانة الجانبية، على أمل أن يجده شخص ما ويعرف ما يفعل به. ثمة شيء خاطئ حتمًا، عيناي تريدان الإغماض وأصبحتا مصرتين على هذا تمامًا. مددتُ يدي مجددًا إلى الحبل الأحمر، التفَّت أصابعي حوله هذه المرة، وجذبتُه. رأيتُ ضوءًا أحمر يظهر فوق الفراش، وتركتُ ذراعي تسقط. قبضتْ يداي على الملاءات بإحكام لدرجة أن أظفاري انغرزتْ في راحتيَّ. النوم يجذبني إلى الأسفل. تركتُ عينيَّ تغمضان وشعرتُ أنني أرضخ للظلام.

قد أكون أحتضر حسبما أعتقد، لكنني سئمتُ العيش لدرجة أن هذا قد يكون جيدًا. سمحتُ لعقلي أن ينطفئ. فوقي بكثير، وراء الموجات الباردة السوداء، سمعتُ أصواتًا، لكن أبت الكلمات أن تفصح عن نفسها. غطس اثنان منهما من السطح ليجداني.

- إنها تنهار.

لقد انهرتُ.

سابقًا

يوم الكريسماس، 2016

الكريسماس وقت للتسامح مع العائلة التي لم تخترها.

قالت كلير، وهي ترافقنا خلال الردهة: «هذا وشاح جميل». تبعتُها أنا وبول إلى الداخل. ما من لمحة توتر بيننا بعد شجارنا البارحة في السوق، لكن هذا ما أجيده أنا وأختي. التمثيل شيء دائمًا ما اشتركنا فيه. مع ذلك، أشك في أنها ستستطيع الحفاظ على هذا الهدوء إن علمتْ أن بول وجد مذكرات طفولتها. هي لا تعلم أنني رأيتُها حتى. إنه إحساس غريب، أن تقرأ تاريخك خلال عينَي شخص آخر. نسختك من الحقيقة في غير شكلها قليلًا لأنها لم تعد نسختك.

دلفنا إلى المطبخ المفتوح الجديد المصاحب لغرفة طعام. هناك ألعاب في كل مكان، لكن بخلاف هذا المكانُ منظم ونظيف. لقد بذلا الكثير من الجهد منذ وفاة أبي وأمي، فالمنزل بالكاد يمكن التعرُّف عليه، هذا باهر بما أنني عشتُ هنا منذ يوم ميلادي. أعادت كلير ترتيب المنزل بأكمله، لتغطي شقوق عائلتنا. ما زلتُ أقول لنفسي أن ترك والديَّ منزلهما إلى كلير وديڤيد أمر منطقي. هما احتاجا إليه أكثر منَّا، وورشته تجاوره تمامًا، هكذا التقيا.

- ديڤيد بالأعلى يغيِّر للتوءمين فقط، وسيأتي قريبًا. شراب؟

أبعدتْ كلير شعرها الأشقر الطويل عن وجهها المثالي وبدت متألقة. لم يكن أشقر دائمًا بالطبع، ولكن وُضع البيروكسيد عليه بمهارة لسنوات عديدة الآن، لدرجة أنك لن تعرف أبدًا. يبدو فستانها الأسود جديدًا ومعانقًا لجسدها. أشعر أنني رثة مقارنةً بها، لم أدرك أننا سنتألق. أنا الكبرى، لكنها تبدو أصغر مني كثيرًا رغم أننا ولدنا في اليوم نفسه بفارق ساعات قليلة فحسب.

أجبتُها: «ليس لي، شكرًا لكِ».

- لا تكوني سخيفة، إنه الكريسماس! كنتُ سأفتح لنا بعض المشروبات الغازية كبداية...

فقال بول: «هذا يبدو جيدًا». لذا أجبتُ وأنا أنظر إلى خزانة تبريد الطعام الكبيرة: «حسنًا إذن، كأس واحدة فقط». اعتاد ظهر الباب الخشبي أن يحمل طولي كل عام من حياتي حتى صرتُ مراهقة. غطت كلير عليه بالطلاء.

جلسنا على الأرائك، وشعرتُ أنني قطعة زينة في صورة داخل إحدى مجلات تزيين المنزل التي تشتريها كلير. بدا المطبخ كأنه لم يُطبخ فيه قط، ورغم هذا انبعثت منه رائحة شهية. شقيقتي ليست ربة منزل. أتى ديڤيد متأبطًا طفلًا في كل جانب. إنه طويل للغاية ودائمًا ما يسير برأس منكس قليلًا كأنه قلق طوال الوقت من احتمالية اصطدام رأسه بشيء. أخذ خط شعره يتراجع بسرعة وفجوة السنوات العشر التي بينه وبين كلير بدأت تظهر حقًّا.

عندما كنَّا في السادسة عشرة، أصلح سيارة أبي، وأخذ قلب كلير إلى جانب أجره. صُدمتُ واشمأززتُ قليلًا في الوقت ذاته. ظننت أنني أشعر بالغيرة منها، لكنني لم أكن كذلك. اشمأززتُ لفكرة ما يفعله معها. أتذكَّر عندما بدأتْ تتسلل في البداية لمقابلته. كثيرًا ما خرجتُ معها، ثم كنتُ

أنتظر بمفردي وأحاول ألا أسمع أيًّا ما كانا يفعلانه. وفي ليلة كهذه، ظللتُ أنا وكلير نثمل في المتنزه، أنا وهي فحسب. كان هذا بعد وقت طويل من ذهاب ديڤيد إلى الحانة التي كنَّا لا نزال صغيرتين كثيرًا على دخولها. عندما فرغتْ زجاجات نبيذ التفاح التي أعطانا إياها، ترنَّحنا لنخرج من كنف الأشجار. كان الوقت متأخرًا للغاية لدرجة أن البوابات الحديدية الموضوعة عند مدخل المتنزه أُغلقت بالفعل بقفل وسلسلة عريضة.

لم نشعر بالقلق، فجسدانا المراهقان يمكنهما تسلق البوابة بسهولة والقفز من فوقها، لكن قالت كلير إنها بحاجة إلى الراحة أولًا، والاستلقاء على الطريق الأسفلتي. استلقيتُ إلى جانبها وأمسكتْ بيدي. ضغطتْ يدي برفق ثلاث مرات وضغطتُ أنا يدها ثلاث مرات. استلقينا هناك تحت ضوء القمر، لنضحك بثمالة على كل شيء ولا شيء، ثم توقفتْ واستدارتْ لتواجهني، وهي تسند رأسها على مرفقها. همستْ لي كأن الأشجار والعشب قد تسمعنا بالخطأ. لم أسألها عمَّا كانا يفعلانه في أثناء انتظاري، لكنها أخبرتني على أي حال. قالت إنه شعور لطيف. أتذكَّر أنني شعرت بالاشمئزاز، والحيرة قليلًا، والغدر الشديد بطريقة ما. اعتقدتُ أنها ترتكب خطأً فادحًا. لكن يشير الزواج والطفلان وما يقرب من عشرين عامًا معًا إلى أنني ربما كنتُ مخطئة. لم تتقرب من أي رجل آخر قط. لم تهتم بهم أبدًا. عندما تختار كلير أن تحبك، فهذا الحب يدوم إلى الأبد.

صاح ديڤيد: «أنتما هنا». يميل إلى التحدث بصوت أعلى من المعتاد، وتابع: «كونا ذواتا نفع واشغلا هذين الاثنين من فضلكما» ثم أعطى كلًّا منَّا طفلًا وسار نحو الثلاجة ليجذب بقوة جسد كلير المنحوت بفضل

اليوجا، وهو يمر من جانبها. لم يبدُ أنها تمانع أو تلاحظ. حملتُ كايتي، وحمل بول چيمس.

يبدو التوءمان غريبين للغاية عني، رغم أننا عائلة. بول يجيد التعامل مع الأطفال بالفطرة، ربما لهذا السبب أراد طفلًا من صُلبه دائمًا. يتحدث بالنبرات الصحيحة، ويصدر عنه مشاعر حنونة. الأمر أشبه ببذل جهد بالنسبة إليَّ، ولا أفعله بالطريقة الصحيحة دائمًا. أحاول التحدث إلى كايتي بصوت ناعم، وأسألها إن كانت تعتقد أن بابا نويل زارهم. لقد بالغت كلير تمامًا في جلب الهدايا والزينة هذا العام، وتقول إن كل هذا للتوءمين، كأنهما سيتذكَّران حتى. مدَّت كايتي يدها إلى وشاحي وجذبتْه بقوة. سحبتُه بهدوء من قبضتها الصغيرة المحكمة، فأنا أحتاج إلى أن يظل مكانه ليغطي الكدمات التي على هيئة يد حول عنقي. لم تسعد بهذا وبدأتْ تبكي. لا شيء مما أفعله نجح معها، لذا عرض عليَّ بول المبادلة. أعطاني چيمس وعندما أصبحت كايتي في حضنه توقَّفت عن الصراخ. إنها تحدِّق إليَّ، وكأنها مرتابة، كأنها تعلم أكثر مما تستطيع. تأكدتُ أن وشاحي لا يزال في مكانه.

سيكون بول أبًا عظيمًا. سأخبره الليلة. ستكون هديتي له بمناسبة الكريسماس هذا العام، ما من شيء آخر ليس لديه بالفعل لأهديه إياه. أنا سعيدة لأنني لم أخبره بالفعل، لم يكن ليستطيع إخفاء الخبر عن كلير وأنا لا أريد إخبارها الآن. سأخبره حالما نصل إلى المنزل، عندما نصبح بمفردنا فقط.

حلَّ المساء ونحن الأربعة نأكل من الطعام الأكثر من اللازم، ونسد الفجوات بحديث مؤدب وقصص أضجرنا بعضنا بعضًا بها من قبل لمرات عديدة. أتخيل هذا السيناريو يتكرر في آلاف المنازل بجميع أنحاء البلاد. قضيتُ ساعاتٍ ألعب عدة أدوار: الأخت الحنونة، الزوجة المتيَّمة،

الخالة المحبة، وأخذتُ رشفات بسيطة من النبيذ حتى لا أحتاج إلى إعادة ملء كأسي أبدًا. عندما توجهتْ كلير إلى المطبخ، انتهزتُ الفرصة التي كنتُ أنتظرها وعرضتُ عليها المساعدة. رمقني بول بنظرة شريرة، فهو لا يروقه تركه بمفرده مع ديڤيد، يقول إنهما لا يوجد بينهما شيء مشترك. وهذا صحيح. همستُ لها حالما أصبحنا بمفردنا في المطبخ: «حدث شيء ما».

سألتني كلير، وهي تدير ظهرها لي: «ماذا؟».

- شيء لا ينبغي له أن يحدث.

فقالت، وهي ترص الأطباق في غسالة الصحون: «ما الذي تتحدثين بشأنه؟» تراجعتْ شجاعتي وأجبتُ: «لا شيء. لا يهم. أنا سأتدبر الأمر بنفسي».

فرغتْ مما كانت تفعله واستدارت لتواجهني قبل أن تسألني: «هل أنتِ بخير يا آمبر؟».

هذه فرصتي. إن أخبرتُها بشأن إدوارد، فأنا أعلم أنها ستساعدني. تفحصتُ وجهها، أريد أن أخبر أحدهم كم أنا خائفة لكن أبتِ الكلمات أن تخرج. هذا ليس الوقت المناسب، وتذكَّرتُ أنني خائفة منها أيضًا. قد تجعلني أذهب إلى الشرطة. قد تخبر بول. قد تفعل شيئًا أسوأ.

لذا أجبتُها: «أجل، أنا بخير». حان دورها لتحللني الآن، تعلم أنني لستُ كذلك. أحتاج إلى أن أعطيها المزيد: «أنا متعبة فحسب، أحتاج إلى بعض الراحة، هذا كل ما في الأمر».

- أظنكِ متعبة أيضًا، ما زلتِ تتوترين بلا داعٍ.

مرَّ بقية اليوم بسرعة كبيرة. تناول التوءمان طعامهما، ناما، لعبا، بكيا، دواليك. يتمنى البالغون لو يفعلون الشيء نفسه. دائمًا ما جعلنا أبي وأمي ننتظر لبعد الظهيرة حتى نفتح الهدايا، ويبدو أننا

سنواصل تقليدهما البائس نوعًا ما. شاهدنا التوءمين وهما يكشفان أجزاء من الهدايا المغلفة تغليفًا جميلًا، فهما مهتمان بأغلفة الهدايا أكثر مما بداخلها كما هو متوقع. ثم تبادلنا هدايا البالغين الملفوفة بعناية، الموضوع داخلها إيصالات الهدايا الهشة. فتحتُ واحدة من بول واستغرقتُ بعض الوقت لأستوعب الجدوى منها. شكرتُه ثم انتقلتُ إلى شيء آخر، لكن سألتني كلير: «مهلًا ما هي؟» فهي تحب التناوب على فتح الهدايا ليشاهد الجميع ما يحصل عليه كل شخص آخر.

أجبتُ: «إنه دفتر مذكرات».

ضحك ديڤيد وعلّق: «دفتر مذكرات؟ مَن أنتِ، آن فرانك؟» يمكنني رؤية إحراج بول.

- ظننتُها قد تحبها لأن...

قاطعتُه قبل أن ينهي عبارته وقبَّلتُه على وجنته وأنا أقول: «أنا أحبها، شكرًا لك».

وقالت كلير: «اعتدتُ أن أدوِّن مذكراتي، دائمًا ما وجدتُ الأمر مريحًا كثيرًا للأعصاب. قرأتُ أنه مفيد للتوتر، لأنك تدون كل شيء. يجدر بكِ تجربة الأمر يا آمبر».

عندما أخذنا كفايتنا من لعب دور العائلة السعيدة، ساعدتُ ديڤيد في وضع التوءمين في الفراش. قرأتُ لهما قصةً سبق أن قرأتها لهما، ودُهشت من سهولة غطِّهما في النوم. لاحظتُ كتلة حديدية على هيئة طائر أبي الحناء تدعم الباب المفتوح وأنا أغادر غرفتهما. إنها سنَّادة باب جدة كلير. ما زالت تحتفظ بها إلى الآن، إنها الشيء القديم الوحيد في منزلٍ جُدِّد بالكامل. نزلتُ الدرَج لأجد أن بول وكلير كانا يتهامسان في المطبخ، لكن حالما رأياني، صمتا ومرَّت ثانية أطول من اللازم بكثير قبل أن يبتسم بول باتجاهي.

سابقًا

يوم الكريسماس، 2016، بداية المساء

سرتُ أنا وبول إلى المنزل في صمت. مشى بسرعة، لذا توجَّب عليَّ أن أسرع لألحقه. يتخلل الهواءَ البارد رذاذٌ من الضباب الخفيف، لكنه لا يزعجني، أنا سعيدة بوجودي بالخارج، ومغادرتي منزل كلير فحسب. هذا كل ما أصبح عليه المنزل الآن، أصبح منزلها. لم يتبقَّ لي شيء بين جدرانه، حتى الذكريات لم تعد ذكرياتي. إنها حياة كان يجب أن أتركها خلفي الآن، لكن ثمة ما منعني دائمًا من المضي قدمًا. الخوف من المجهول دائمًا ما يكون أشدَّ من الخوف من المألوف.

الطرقات خالية. أحبُّ السكون الهادئ في كل شيء. السلام على أرض الضواحي. الجميع محبوسون في الداخل مع أقاربهم الذين لا يضطرون إلى رؤيتهم لبقية العام. يحشون حلقهم بالديك الرومي، يشاهدون تفاهات على التلفزيون، يفكُّون أغلفة هدايا لا يريدونها ولا يحتاجون إليها. يسرفون في الشرب. يتحدثون أكثر مما ينبغي. وينحُّون تفكيرهم جانبًا.

تحول الرذاذ إلى مطر ونحن نسير إلى جانب محطة الوقود. إنها مغلقة الآن، كل شيء مغلق. دلفتُ إلى هذا المكان مرتين فقط طوال حياتي؛ المرة الأولى قبل بضعة أسابيع لطرح سؤال. ولا ضرر من هذا،

فالناس يطرحون أسئلة طوال الوقت. تفقَّد المحاسب وجهي بإمعان قليلًا حالما انتهيتُ من حديثي، لكنه سرعان ما خلص إلى أنني لم أكن على وشك سرقة المكان، لم أبدُ مثل هذا النوع من الأشخاص. أخبرني أن كاميرات المراقبة تحتفظ بالتسجيلات لمدة أسبوع ثم تُحذف تلقائيًّا. شكرتُه، ثم انتظرتُ لحظة لربما يتساءل عن السبب وراء رغبتي في معرفة هذا. لكنه لم يفعل، لذا غادرتُ. ونسي أمري قبل أن أخرج من الباب.

والمرة الثانية كانت أحدث قليلًا.

لم تشعر مادلين بامتنان كبير بعد أن قدتُ بها سيارتها إلى المنزل من العمل عندما مرضتْ قبل بضعة أيام. بعدما ساعدتُها على دخول المنزل، دفعتْ بطاقتها الائتمانية إليَّ وأخبرتني أن أملأ سيارتها بالوقود من محطة الوقود القريبة من المنزل. لم تكن سعيدة بفكرة أن خزان وقودها فارغ تقريبًا وأعلمتني أنها لن تملك وقتًا لهذا قبل العمل في اليوم التالي. افترضتْ أنني سأنزعج من أوامرها، لذا رتبتُ تعابير وجهي لتناسب توقعاتها، لكني كنتُ سعيدة سرًّا نوعًا ما. عنى هذا أن تحمُّلي البترول الذي ملأ فمي في موقف سيارات الموظفين، وأنا أفرغ خزانه في وقت مبكر من هذا الصباح، لم يذهب سدًى. ظل مذاق الديزل في فمي لساعات، رغم أنني بصقته مباشرةً. تعلمتُ تلك الخدعة في المدرسة وأنا أساعد في تنظيف حوض الأسماك بالفصل.

تمتمتْ قبل أن تحمل نفسها أعلى الدرج خطوة بخطوة: «قد تخدعين الآخرين بتصرفكِ الأشبه بتصرفات فلورينس نايتنجال[1] هذا، لكنكِ لن تخدعيني». توقفتْ في منتصف الطريق وأدارتْ رأسها لتنظر إليَّ.

(1) ممرضة بريطانية ومُصلحة اجتماعية، وتُعتبر مؤسسة التمريض الحديث. (المترجمة)

سادتْ وجهها المستدير المتعرق ابتسامة نصر. دائمًا ما تمتعتْ مادلين بطريقة حقيقية لقول الكلمات، لكنني سمعتُ الكلمات التي اختارتها عصر هذا اليوم بعد فترة طويلة من قولها.

- أنا أرى ما تبطنين تمامًا يا آمبر. لا تنسَي هذا. أنتِ كسولة وجاهلة مثل بقية جيلكِ. ولهذا لن ترتقي إلى أي شيء أبدًا.

وبهذا استدارت لتكمل صعودها الدرج الذي اعتدتُ أن أعرفه وأجلس عليه يومًا. بدا المنزل مختلفًا تمامًا منذ اندلاع النار قبل خمسة وعشرين عامًا، تغير تمامًا بالطبع، لكن الدرج الجديد لا يزال في المكان نفسه، وإن أدرتُ رأسي يمينًا، يمكنني تقريبًا تصور كلير وهي تشعل الغاز. كان ينبغي لها أن ترث هذا المنزل بعد وفاة والديها البيولوجيين، كانت متأكدة أن هذا ما كانت جدتها ستريده، لكن عرابتها، مادلين فروست، حرصتْ ألا تتلقى فلسًا واحدًا قط.

فكرتُ فيما قالته لي مادلين عندما ملأتُ السيارة بالوقود ومرة ثانية عندما اشتريتُ علب البنزين وملأتُها أيضًا، قبل أن أضعها داخل صندوق السيارة. فكرتُ فيما قالته مادلين وأنا أدفع الحساب ببطاقتها الائتمانية وسمعتُ كلماتها تكرر نفسها داخل رأسي وأنا أنظف عجلة القيادة وكل شيء آخر لمسته بقطعة قماش قطنية.

سرتُ مع بول، لكن فرادى، عبر الشارع الذي تعيش فيه مادلين، التفتُّ لألقي نظرة سريعة على منزلها. أدركتُ للمرة الأولى أنه يبدو تمامًا مثل أي منزل آخر. قد يكون داخله عائلة، تسحب المفرقعات، تلعب الألعاب، تخلق ذكريات مع بعضها بعضًا أو عن بعضها بعضًا. قد يكون بالداخل أطفال، وأحفاد، وحيوانات أليفة، وضوضاء، وضحك.

كل هذا كان ممكنًا، لكنني أعلم أن لا وجود لهذا. لا يوجد سوى شخص واحد بالداخل، أنا متأكدة من هذا. شخص واحد حزين وحيد بائس في حالة من الفوضى. الشخص الذي لا يحبه سوى الغرباء الذين يؤمنون بنسخته التي يسمعونها في الراديو. شخص لن يفتقده أحد.

سابقًا

الخميس، 7 يناير 1993

مذكراتي العزيزة،

شُيعت الجنازة اليوم. كان الأمر غريبًا لأن عدد مَن أتوا لم يكن كبيرًا، ليس مثل الجنازات التي أراها على التليفزيون. دُعيت خالتي مادلين، لكنها لم تأتِ. هي آخر مَن تبقَّى من عائلتي، لكني لا أعلم كيف تبدو حتى. لا يهم. لدي عائلة جديدة الآن. بكيتُ عندما رأيتُ النعشين لأني أعلم أن هذا ما يُفترض بي فعله، لكني لا أفتقد أمي وأبي. أنا سعيدة لأنهما لم يعودا هنا، تحسنتِ الأمور كثيرًا من دونهما. صرتُ أعيش مع عائلة تايلور منذ اندلاع الحريق وهذا عظيم. كأنما حياتي السابقة كلها كانت غلطة كبيرة، كأنني كان ينبغي لي أن أُولد في **هذه** العائلة. الشيء الوحيد الذي جعلني أذرف دموعًا حقيقية هو أنني لا يمكنني العودة إلى منزل جدتي أبدًا. لا يمكنني الجلوس على كرسيها المفضل أو النوم في فراشها. كل ما تبقى منها كان هناك. قالوا إن الخالة مادلين تملكه الآن، ما تبقى منه.

حصلتُ على الكثير من الملابس والكتب الجديدة وهناك غرفة نوم لي وحدي حتى في منزل تايلور. بدأتُ بمشاركتها غرفتها، لكنها ظلَّت توقظني في منتصف الليل. تراودها أحلام عن الحريق طوال الوقت

فتستيقظ وهي تصرخ. هذا مزعج حقًّا. في بعض الأحيان لا تستطيع النوم إطلاقًا. أغني لها الأغنية التي اعتادت جدتي أن تغنيها لي عندما لم أستطع النوم: **عجلات الحافلة تدور وتدور**. لستُ متأكدة إن كان هذا يساعدها.

كانت تايلور تتصرف بغرابة حقًّا بطرائق كثيرة منذ تلك الليلة. لا أعلم لماذا، فهي لم تصب بأذى ولم يمت أي شخص تهتم لأمره. قالت إنها ستفضح أمري، لكنها لن تفعل. أخبرتُها بما سيحدث إن فعلتْ. لكنها مستمرة في القيام بأشياء غريبة رغم هذا، مثل مجرد الوقوف أمام الفرن والتحديق إليه. وبدأتْ تنزع الجلد من فوق شفتيها، وأحيانًا تنزعه بقوة لدرجة أن شفتيها تنزفان. هذا مثير للاشمئزاز. قالت والدة تايلور إن الأشخاص المختلفين يتعاملون مع الأمور بطرائق مختلفة وأخبرتني أن أمهلها بعض الوقت فقط. أخذتْها للتحدث إلى شخص ما في المستشفى عمَّا تشعر به، وتعتقد أن هذا قد يساعدها. أنا لستُ مقتنعة.

اضطررتُ إلى التحدث مع أناس كثر أيضًا منذ يوم الحريق. توجب عليَّ التحدث إلى الأطباء في المستشفى، ثم الشرطة، ويجب أن أتحدث إلى امرأة تُدعى بيث لمرتين في الأسبوع. بيث مرشدة اجتماعية، وهذا يعني أنها تحاول مساعدة الناس. لديها عينان واسعتان حزينتان تنسى أن ترمش بهما، وكلب مشعر يُدعى جيبسي. أنا لم أقابل كلبها أبدًا، لكن ملابسها مغطاة بشعره دائمًا وتلتقط الشعر وتلقيه على الأرض في أثناء حديثنا. تتحدث ببطء وبهدوء شديدين كأنني قد لا أفهمها وتريد أن تعرف دائمًا إن كنتُ بخير دون أن تسألني حقًّا إن كنتُ بخير.

بيث هي مَن أخبرتني عن الخالة مادلين. أعتقد أن خالتي قد تكون مريضة لأنها لم تستطع حضور الجنازة ولا يمكنها كتابة خطاباتها

بنفسها. يكتبها محامٍ نيابةً عنها، ثم تقرأ بيث أجزاءً منها بصوتٍ عالٍ. أحيانًا تواصل عيناها الكبيرتان القراءة في حين يتوقف فمها عن الكلام، وأتساءل ما هي الكلمات التي لا تريدني أن أسمعها. لم أكن أعرف ما يعنيه هذا حقًّا عندما قالت إن الخالة مادلين هي عرَّابتي. نظرتْ عيناها بعيدًا وشرحتْ، وهي تنظر إلى الأرض، أن هذا عادةً يعني شخصًا يعتني بك إن لم يعد والداك قادرين على ذلك. لم أقل أي شيء. لم أرغب في أن يعتني بي أي شخص غير والدة تايلور. ثم قالت بيث إن مادلين أحبتني كثيرًا، لكنها لم تعتقد أنها تستطيع الاعتناء بي. واصلتْ بيث ارتداء وجهها الحزين للغاية، لكنني شعرتُ بارتياح شديد، إلى أن قالت إنني قد أضطر إلى العيش في ملجأ للأطفال حتى يتوفر لي مكان يكفلني. عندما ذهب جدي للعيش في منزل ليس منزله، مات. وأنا لا أريد أن أموت. أنا لم أحب خالتي مادلين كثيرًا لعدم رغبتها في الاعتناء بي وقتها، فهي لا تهتم إن عشت أو مت، لكني لم أعرف مَن هي، لذا نما غضبي داخل معدتي بدلًا من إيجاد طريق للخارج، وآلمني.

تركتني بيث وحدي في الغرفة وأخبرتني أن ألعب ببعض الدمى. لا أرغب بهذا، فأنا لستُ طفلة، لكنها قالت إن هذا ما ينبغي لي فعله، ثم غادرتْ. علمتُ أنها تشاهدني عبر المرآة، رأيتُ الأفلام التي يفعلون هذا فيها، لذا نهضتُ وسرتُ نحو صندوق الدُّمى. ثمة دُمية واحدة داخله، تبدو باهظة الثمن، ليست مثل الدُّمى البلاستيكية. أجلستُها على ساقي وأخبرتُها كم أنا حزينة على ما حدث لأمي وأبي وكم أنا ممتنة للطف والدَي تايلور الشديد معي. ثم قلتُ صلاة قصيرة، بل وحتى قلتُ «آمين» في نهايتها لأنني ظننتُ بيث ستكون هذا النوع من الأشخاص الذي يروقه ذلك. وراقها. عادتْ إلى الغرفة وقالت إنني يمكنني الذهاب، قالت حتى إنني أستطيع أخذ الدُّمية معي، **لأنني شجاعة للغاية**. قررتُ أن

أعطيها لتايلور. سأخبرها أن الدُّمية تراقبها، حتى في غيابي. أحببتُ الفكرة كثيرًا، وجعلتني أبتسم، وهذا جعل بيث تبتسم أيضًا لأنها ظنت أنها أسعدتني.

أنا لستُ غبية، أعلم ما عليَّ فعله. بدأتُ أبكي في غرفتي تلك الليلة، بصوت عالٍ بما يكفي حتى تسمعني والدة تايلور. فتحتِ الباب دون أن تطرقه، لكني لا أمانع لأنه باب مختلف في منزل مختلف وهي أم مختلفة. دثرتني جيدًا في الفراش مرة أخرى، مثلما كانت تفعل جدتي، ثم جلستْ معي وربتتْ على شعري لبعض الوقت. كانت ترتدي روبًا أبيض، وأزالت المكياج عن وجهها، لكنها لا تزال جميلة وانبعثتْ منها رائحة عطر الاستحمام الوردي ذلك الذي تستخدمه. أريد أن أكون مثلها تمامًا عندما أكبر. أخبرتُها أنني خائفة من الذهاب للعيش مع أغراب وبكيتُ أكثر قليلًا. أخبرتني ألا أقلق أبدًا وقبَّلتني على جبهتي قبل أن تغادر الغرفة وتطفئ النور. سمعتُهما يتحدثان لساعات بعدها، لا يصيحان مثلما اعتاد أبي وأمي أن يفعلا- يتحدثان بهدوء فحسب في الغرفة نفسها كأي زوجين طبيعيين. رأيتُ أوراق التبني في اليوم التالي على طاولة الطعام، لذا انتهتِ الأمور بأفضل صورة حقًّا.

الآن

الاثنين، 2 يناير 2017

لا أزال على قيد الحياة.

هذه أول فكرة عبَّرتْ عن نفسها داخل رأسي. لا أعرف كيف، لكنني على قيد الحياة وعدتُ لوعيي، لستُ متأكدة فحسب أين أنا. استغرقتُ لحظة لأقرر إن كنتُ سعيدة بوجودي هنا أم لا وما يعنيه كل هذا. إدوارد حاول قتلي، أنا متأكدة من هذا، لكنني لا أزال على قيد الحياة. أفترض أن قتل شيء ميت بالفعل أمر صعب حتمًا.

بالنظر إلى بغضي الشديد للمستشفيات، فأنا أمضيتُ وقتًا طويلًا في هذا المستشفى. جئتُ أنا وبول إلى هنا عندما كنَّا نحاول إنجاب طفل، وهنا أنجبتْ أختي توءميْها، وهنا ماتت جدتي. لم تمت من السرطان، مثل جدة كلير، توفيت من الشيخوخة المتنكرة في هيئة التهاب رئوي عندما كنَّا في الثلاثين من عمرنا. استغرق موتها وقته وأثَّر على عائلتنا المفككة. جعلنا الحزن المضنى واليأس نتحد مؤقتًا. لكنهما رفعا مفتاحًا داخل كلير لا يمكن إنزاله. عاد الغضب الذي شعرتْ به بشأن وفاة جدتها في طفولتها. وهذا الغضب المسترجع الذي قمعتْه لفترة طويلة نما بمرور الوقت. ظلَّت الكراهية بحاجة إلى مكان تفضي إليه. لا تزال كلير بحاجة إلى شخص تلقي اللوم عليه. وحينها تتبعتْ أثر

مادلين. تخيل دهشتنا عندما اكتشفتْ مَن كانت عرابتها حقًّا وأين تعيش الآن. أصبح تدمير مادلين هوس كلير، والذي بدوره أصبح هوسي أنا أيضًا. أصبحتْ مضطربة مجددًا، ثقتها انعدمت في كل مَن حولها. تغيُّر مزاجها زاد حاجتي إلى روتيني، لأتأكد أن كل شيء آمن قدر الإمكان عندما تغضب كلير من شيء ما.

يسمونه وسواسًا قهريًّا. ليس بالأمر الجلل، لكنه يسوء كلما كبرت. اضطررتُ لزيارة الطبيب في هذا المستشفى بعينه مرة كل أسبوع في مراهقتي. اعتدتُ مقابلة رجل قصير أحب الثرثرة كثيرًا والإصغاء قليلًا. دائمًا ما انتعل الحذاء نفسه، له جلد رمادي وأربطة أرجوانية، وقضيتُ ساعات طوال أحدِّق إلى ذلك الحذاء. وبعد أربعة أشهر من الزيارات الأسبوعية، أخبرني أنني أعاني أفكارًا وسواسية وأنشطة قهرية واضحة، هكذا أتعامل مع مستوى من القلق لا يمكن تفسيره. أخبرتُه أن رائحة فمه كريهة. توقفتُ عن رؤيته بعدها بفترة ليست طويلة. يئس والداي من محاولة جعلي أفضل، وصبَّا جام تركيزهما على كلير بدلًا مني، الابنة الجميلة البديلة الأرقى طرازًا التي أنقذاها، ونسيا الأصل المعيب الذي لم يستطيعا إصلاحه... أنا.

حاولتُ أن أجذب نفسي من الماضي إلى الحاضر، دون رغبة مني أن أكون في أي من المكانين في الواقع. وحينها سمعتُها تبكي. استغرق الأمر مني بعض الوقت حتى أترجم دموعها وأحدد أين أنا ومتى.

قالت كلير بصوت قادم من مكان بعيد: «أنا آسفة للغاية يا آمبر، آسفة على كل شيء». بدا كأن الكلمات تكرر نفسها على السطح في حين أطفو أنا بالأسفل. جذبني صوتها لأعلى من حيث كنتُ، وشعرتُ كأنني استيقظتُ من سبات عميق للغاية. ثمة شيء مختلف. تبدل النور

والظلام. يشعرني هذا بعدم ارتياح، كأن أحدهم أعاد ترتيب الأثاث داخل عقلي دون أن أطلب منه حتى.

أردفت: «حاولتِ أن تخبريني عنه، أليس كذلك؟ لكني لم أسمعكِ. أنا آسفة للغاية». بدا صوتها أقرب الآن، كأنني أستطيع مدَّ يدي ولمسها. استغرقتُ بعض الوقت لأفهم ما كانت تقوله، لكن استقرت عملية اختيار الأدوار في النهاية على إدوارد لدور «عنه».

انجرفتُ بعيدًا. الكلمات أكثر بكثير من أن أستوعبها من محاولة واحدة.

ذِكر اسم إدوارد أظلم حدود الفضاء الذي يضمني. حدث شيء ما، شيء سيئ. أسوأ مما أستطيع تذكُّره. أيًّا ما كان، فكلير تعرف بشأنه، لذا ربما سأكون بخير الآن. دائمًا ما منعتِ الناس من إيذائي في الماضي.

سمعتُ صوت بول، وهو يقول: «أهناك أي تغيير؟».

- لا، ليس بعد. هل ألقوا القبض عليه؟

- لا، ذهبوا إلى شقته، لكنه ليس هناك.

حاولتُ أن أركز وأغربل كلماتهما عبر مصفاة واقع ظللتُ أبنيه داخل رأسي، لكن هذا لا ينجح دائمًا. أتمنى لو أستطيع محو بعض الذكريات الحزينة والسيئة التي بدأتْ تطفو على السطح، لكن كأنني أصبحتُ على وضع التشغيل ويمكنني تذكُّرها كلها فجأة. حتى الأجزاء التي أتمنى لو لا أستطيع تذكُّرها.

أتذكَّر وجود إدوارد في غرفتي.

أتذكَّر ما فعله بي.

لا أفهم كيف علما.

ثم تذكُّرتُ ما قاله بول عن تثبيت كاميرا في غرفتي. لا بد أنه شاهد ما حدث. مجرد الفكرة تثير اشمئزازي.

ما زلتُ أشعر كأنني تحت الماء، لكن أصبح السائل العكر أكثر نقاءً وأنا أقترب من السطح طوال الوقت. ثم هناك المزيد.

يمكنني تذكُّر ليلة الحادثة، يمكنني أن أتذكَّر كل شيء.

أعلم ما حدث الآن، لم أكن أقود السيارة يوم الكريسماس، ولم تكن حادثة إطلاقًا. لقد كنتُ غائبة. لا أعلم لِكَم من الوقت، لكنني الآن عدتُ وأتذكَّر كل شيء.

سابقًا

يوم الكريسماس، 2016 - بداية المساء

سألتُ بول، وهو يستلقي على الأريكة، ويلتقط جهاز التحكم عن بعد بالتليفزيون: «هل أنت بخير؟».

- ماذا؟ أجل، بخير.

- مشروب؟

- ويسكي من فضلكِ.

وقفتُ مكاني للحظة. لم يشرب بول الويسكي لوقت طويل الآن. في وقت من الأوقات كان الويسكي كل ما يشربه، لكن السائل العنبري غيَّره كما غيَّرنا اعتماده عليه. أصبح جزءًا منه. جزء قبيح. اعتقد أنه ساعده في الكتابة وأنه سيبقى مستيقظًا في سقيفته طوال الليل، هو وحاسوبه المحمول والزجاجة فقط. ثلاثية أدبية ليلية ونموذج مخيب للآمال. أصبحنا ولايتين مستقلتين تفصلنا حدود المشروب السائل وكنتُ غاضبة ووحيدة وخائفة. كتب حقًّا، لكنه كان نوعًا خاطئًا من الكلمات، لم تنتمِ الكلمات بعضها إلى بعض. وعندما لم نتمكن من الإنجاب، ساءت الأمور. كان دواءه المفضل ليشفي جرحه وسكبه داخل نفسه في أنقى صوره. خمر خالصة. لكن النتيجة لم تكن منظمة أبدًا. كان أشبه بمقعد في الصف الأمامي للانتحار البطيء. عندما لم أستطع المشاهدة أكثر

من هذا، هددتُه بتركه. قال إنه سيتوقف، لكنه لم يفعل. سمم نفسه على انفراد فحسب. غادرتُ لعشرة أيام. توقف حينها. كان ذلك منذ أكثر من عام ولن أعود إلى هذا أبدًا.

- لا أعتقد أن لدينا أيًّا منه يا عزيزي...

أجاب دون أن يرفع نظره: «أمي أحضرت لي بعضًا، إنه في الخزانة». ظلَّ يغير القنوات التلفزيونية، دون أن يجد ما يبحث عنه.

خرجتُ إلى المطبخ وفتحتُ الثلاجة. تجاهلتُ طلبه وأخرجتُ زجاجة الشمبانيا التي برَّدتُها عمدًا. سأخبره عن الطفل، سيتغير مزاجه حالما يعلم، وسيصبح هذا يوم كريسماس لن ننساه أبدًا. شربتُ أكثر مما ينبغي بالفعل، لكن كأسًا صغيرة واحدة لن تُحدث أي فرق.

قال بول من الصالة: «عدم وجود أي أطفال معنا يجعلكِ سعيدة، أليس كذلك؟»

- ماذا؟

- الفوضى التي تسود كل شيء. قضاء اليوم بأكمله معهم، لا يمكن إجراء محادثة واحدة دون مقاطعة بشكل أو بآخر.

قلتُ وأنا أعود إلى غرفة المعيشة: «لم يكن الأمر بهذا السوء، أليس كذلك؟».

فرَّتْ دمعة من عيني اليسرى، لم أستطع منعها.

أجاب بول: «لا، لا بأس بالأطفال. كلير تعكِّر لي مزاجي فحسب. سئمتُ منها، وهي تملي علينا كيف لنا أن نعيش حياتنا، دائمًا ما تتدخل دون طلب منكِ ... لمَ هذا؟».

سأل، وهو يشير إلى الشمبانيا فقلتُ: «ظننتُ أننا قد نحتفل».

- احتفلنا بالكتاب بالفعل. هل تبكين؟

- أنا بخير.

- إن كان هذا بسبب ما قالته كلير عن عدم رغبتها في سفركِ معي إلى أمريكا، فأنا لا أهتم بما تقوله. يمكنها أن تصمد لبضعة أسابيع من دونكِ. أنا متأكد من هذا.

- هل أخبرتْ كلير بأمر الكتاب؟ متى؟

- زلَّ لساني عندما كنتِ بالأعلى تقرئين للتوءمين قصة ما قبل النوم.

فهمتُ الآن لماذا نظرتْ إليَّ بهذه الطريقة قبل مغادرتنا. كان تحذيرًا.

تابع بول، وهو غافل عمَّا فعل: «لماذا ينبغي لنا ألا نخبر الناس على أي حال؟ أنتِ محقة، ينبغي أن نحتفل».

أخذ الزجاجة عن الطاولة وفتحها. سألتُه وأنا أسمع صوتي يرتجف: «ما الذي أخبرتها إياه بالضبط؟».

- هلا توقفنا عن التحدث بشأن أختكِ، وزوجها الممل، وتوءميها الفظيعين فضلًا؟

- ما الذي أخبرتها إياه يا بول؟ هذا مهم.

- لماذا جنَّ جنونكِ إلى هذا الحد؟ كانت تتصرف بجنون هي الأخرى أيضًا.

- لأنها استاءت من فكرة رحيلي. علمتُ أنها ستغضب. أخبرتك ألا تقول لها.

- لم تغضب لأجل هذا، بل لأجل مذكراتها الغبية. سألتني لماذا اشتريتُ لكِ واحدة، وقلتُ لها لأنني وجدتُ مذكراتها في العِلِّية، ثم هاجت وماجت فجأة في أقل من بضع ثوانٍ.

صخبت الأفكار كلها بشدة داخل رأسي.

- أخبرتُك ألا تخبر كلير عن المذكرات وقلتُ لك ألا تقرأها.

- أنا لم أقرأها، ليس حقًّا. قرأتُ سطرًا واحدًا فحسب عن أنكما حبَّتا بازلاء في قرن واحد. اقتبستُها وأنا أتحدث معها، ظننتُ الأمر طريفًا، لكنها لم تظن هذا على ما يبدو.

حبتا بازلاء في قرن واحد.

- ستقتلك.

ضحك. لا يستوعب أنني لا أمزح. لن تترك أي أحد يأخذني بعيدًا عنها، لم تفعل قط. فعلتْ أشياء مروعة للناس على مدار سنوات، أصدقاء، زملاء، أحباء، لم يكن أي منهم جيدًا بما يكفي في تقديرها. ظننت أنني أحتاجها أن تحميني من كل واحد فيهم. ظننتُ حالما إنجابها للتوءمين، وحالما تكوِّن لها أسرة خاصة بها، قد تتغير الأمور، لكنها لم تتغير، تمسَّكتْ بي بإحكام أكبر من أي وقت مضى. أظنها سعدت قليلًا حتى عندما لم أستطع الإنجاب، قلقتْ أن حبي للطفل قد يمحو حبي لها بطريقة ما. كان الأمر مختلفًا مع بول، المؤلف الشهير. قررتْ أنه جيد لي، وفرحتْ عندما كان سعيدًا بالعيش على مسافة أقل من ميل واحد منها. كان مثل اختبار له... وقد تجاوزه لأنه لم يحاول أخذي بعيدًا عنها. لكنه فشل الآن.

أشعر بالغثيان. أعلم ما هي قادرة على فعله. خرجتُ من الغرفة، وجدتُ هاتفي واتصلتُ على رقم كلير.

لا شيء.

حاولتُ مجددًا، لكني لا أزال أتحول إلى البريد الصوتي مباشرةً. قلتُ بهدوء قدر استطاعتي: «هو لم يقرأها، لا تفعلي هذا، ليس عليكِ فعل هذا».

قال بول الذي ظهر في الردهة من خلفي: «هل فقدتم جميعًا عقولكم؟ نحن نتحدث عن مذكرات طفلة. ربما كان يجدر بي قراءتها».

- إن اتصلت بك أو أتت هنا أخبرها أنني حرقتُها بالفعل. لا تفتح الباب ولا تدعها تدخل. أين مفاتيح سيارتك؟

- عمَّ تتحدثين؟

ركضتُ إلى الخزانة الجانبية وفتحتُ الأدراج المملوءة عن آخرها بمختلف الأغراض وأنا أقول: «مهما يحدث لا تثق بها، أتفهمني؟» وجدتُ المفاتيح الاحتياطية وأخذتُ حقيبة يدي دون أن أتفقَّد ما بداخلها، ثم ركضتُ إلى الباب الأمامي.

تأخر كثيرًا وهو يقول: «آمبر، انتظري...» أنا في نهاية الممر بالفعل، أحاول أن أتبيَّن الأزرار التي على مفتاح السيارة عبر الظلام والمطر. أنا لا أرتدي معطفًا وصرتُ مبللة كليًّا بالفعل. تبعني بول إلى الخارج، وهو لا يزال ينتعل شبشب الكريسماس الجديد. وضع هاتفه على أذنه وقال: «هذا أنا... أختكِ مستاءة حقًّا. أظن أن للأمر علاقة بكِ. أيمكنكِ الاتصال بي لنحاول حل هذا...» استدرتُ وأطحتُ بالهاتف بعيدًا عن يده. تحطم على ممر السيارات. حدَّق إليه بفم فاغر، ثم رفع نظره إليَّ وقال: «ما هذا الهراء؟».

- ابتعِد عن كلير!

- أتسمعين نفسكِ؟ أنتِ تتصرفين بجنون لعين! لا يمكنكِ قيادة السيارة. لا بد أنك تجاوزتِ حد الثمالة بالفعل...

- أنا بخير!

اشتعل ضوء في المنزل المجاور ورأيتُ أن جارنا قد خرج. لم أدرك أننا كنَّا نصيح. استدرتُ لأركب السيارة وأوقعتُ المفتاح. ارتجفتْ يداي وأنا أنحني لأجده، وأتحسس الأرض في الظلام. عندما وجدتْ أصابعي ضالتها، حاول بول منعي من الجلوس في مقعد السائق. دفعتُه للوراء، وركبتُ السيارة، ثم أغلقتُ الباب، أغلقتُ الباب المعدني على يده. صرخ من الألم، وانتزعها، ثم أغلقتُ الباب مرة أخرى قبل أن أضع المفتاح في المحرك وأقودها مبتعدةً.

الآن

الثلاثاء، 3 يناير 2017

قالت كلير: «سأعود إلى المنزل لبعض الوقت، سأتأكد أن ديڤيد لم يقتل التوءمين أو العكس».

أجابها بول: «بالطبع».

- تبًّا، أنا آسفة للغاية. لم أقصد حتى أن أذكر التوءمين، ناهيكِ بـ...

- لا بأس.

- هل أنت متأكد أنني لا يمكنني إيصالك بالسيارة؟

- لا، أنا لن أتركها مجددًا. ليس هذه المرة.

سمعتُ الباب يُفتح، ثم قال: «كلير؟».

- نعم؟

- هذا ليس ذنبكِ.

يتصرف بلطف معها، لكنه مخطئ. هذا ذنب كلير. كل شيء خاطئ في حياتي ذنب كلير. سمعتُها وهي تغادر وأنا سعيدة بهذا.

أمسكتْ يد بول يدي، شعرتُ أنها قوية، دافئة، وآمنة. همس لي: «أنا آسف للغاية، أستمر في خذلانكِ فحسب، كان يجب أن أكون هنا».

أتخيل بول، وهو يشاهد ما فعله إدوارد بي في هذه الغرفة. أتصوره جالسًا في المنزل، بعيدًا للغاية عني، ويرى غريبًا يدس يده أسفل غطائي. كنتُ حبيسة داخل كابوس، في حين حُبس بول خارجه، مجبر على مشاهدتي أعيشه. أراد أن يدخله بمقدار ما أردتُ أنا الخروج منه بالضبط.

قال وهو يقبِّلني على جبهتي: «أحبكِ حبًّا جمًّا». كان يمر بجحيم خاصة به وأنا نائمة في جحيمي. أتمنى لو أستطيع إخباره كم أنا آسفة على جعله يمر بكل هذا وأنني أحبه كثيرًا أيضًا. رددتُ الكلمات مرارًا في رأسي حتى بدت مسموعة وحقيقية.

- أنا أحبك.

فقال بول، وهو يترك يدي: «أوه، يا إلهي». أردتُ أن أرى ما الأمر بصورة غريزية لذا حاولتُ أن أفتح عينيَّ. غمرني الضوء الساطع في البداية، ونفذ ألمه إلى مؤخرة جمجمتي.

- بول.

سمعتُ صوتًا وأدركتُ أنه صوتي وأجاب: «أنا هنا». يمكنني رؤيته. إنه يبكي وأنا أيضًا أبكي الآن. يقبِّلني ويمكنني رؤيته. عيناي مفتوحتان حقًّا. أنا استيقظتُ.

سابقًا

يوم الكريسماس 2016 - مساءً

أوقفتُ السيارة عند ممر منزل كلير واستطعتُ رؤيتها واقفة في الشرفة. كانت تتوقع مجيئي. ترجلتُ وسرتُ إليها عبر المطر دون أن أغلق باب السيارة حتى. فستاني مبلل تمامًا وملتصق بساقيَّ. كأن نسيجه يحاول إعاقتي، يحاول منعي من الذهاب إلى هناك. قالت بذراعين مطبقتين وملامح هادئة وجسد ساكن تمامًا: «مرحبًا يا آمبر».

- يجب أن نتحدث.
- أعتقد أنكِ بحاجة إلى الهدوء.
- هو لم يرَ أي شيء، ولا يعلم أي شيء.
- لا أعلم عمَّا تتحدثين.
- إن آذيتِه، لو حدث له أي شيء...

تقدمتْ وسألتني: «ماذا؟ ماذا ستفعلين؟».

أريد أن أضربها، أريد أن أوذيها بشدة، لكنني لا أستطيع. ما زلتُ أحبها أكثر مما أكرهها. لا يمكننا إجراء هذه المحادثة هنا. لا تعرف أبدًا مَن قد يسمعنا.

سألتُها: «هل يمكنني الدخول، من فضلكِ؟».

حدَّقتْ إليَّ لفترة، كأنها تقيِّم المخاطر.

أرختْ ذراعيها قبل أن تقرر عيناها. أومأتْ برأسها ودلفتْ إلى الممر تاركةً مساحة كافية لأتبعها وهي تقول: «أنتِ مبللة، اخلعي حذاءكِ».

أغلقتِ الباب خلفنا بهدوء وفعلتُ كما قالت. وقفتُ حافية القدمين على سجادتها الكريمية الجديدة وقلقتُ مما سيحدث بعدها. نحن في مكان ما لم نذهب إليه من قبل. أتساءل أين ديڤيد، وإن كان بمقدوره سماعنا. قالت كأنها تقرأ أفكاري: «ديڤيد بالأعلى. غطَّ في النوم بعد فترة ليست ببعيدة من مغادرتكِ أنتِ وزوجكِ».

أصبح زوجي ولم يعد بول. إنها تنأى بنفسها بالفعل عن الشخص الذي حددتْ أنه مشكلة. عيناها مظلمتان وباردتان. أستطيع رؤية أنها ذهبت بالفعل إلى ذلك المكان داخلها الذي يخيفني كثيرًا.

قالت لي: «أريد استعادتها». لا أحتاج إلى أن أسألها عمَّا تريد استعادته فقلتُ: «لقد أحرقتُها».

- أنا لا أصدقكِ.

- هو لم يقرأها.

- لماذا احتفظتِ بها أصلًا؟

- كانت هنا. في العِلِّية. وجدتُها بعد موت أبي وأمي. احتفظوا بكل شيء يخصكِ دون أي شيء يخصني.

- لذا سرقتِها؟

- لا. أردتُ الحصول على أي شيء فحسب. تركوا كل شيء لكِ. كأنني لم أعد موجودة حتى.

- لم يكن يجدر بكِ أخذها ولم يكن يجدر بكِ ترك بول يقرؤها. أم أنكِ أردتِ أن يحدث له شيء؟

- لا! هو لم يقرأها. ابتعدي عنه!

- يجب أن تهدئي.

- يجب أن تبتعدي عنه يا لعينة.

دفعتُها. لم أقصد هذا. تعثرتْ إلى الخلف، وومض شيء أتذكَّره في عينيها. تقدمتْ مرة أخرى، لتضع وجهها في وجهي وأشعر بأنفاسها.

قالت بهدوء: «لقد قرأها والآن يجب التعامل مع هذا الوضع».

- هو لا يعرف شيئًا.

- لقد قرأها.

- لا، لم يفعل.

توسلتُ إليها وأنا أعلم أن أذنيها مغلقتان أمام صوت الحقيقة.

- **حبتا. بازلاء. في. قرن. واحد.** هذا ما قاله لي. لقد قرأها.

بصقتْ كل الكلمات في وجهي ومع كل كلمة، زاد الألم في معدتي، زاد كثيرًا لدرجة أنني ظننتُها طعنتني حتمًا. رأيتُ الدماء وقتها. نظرتُ إلى يديها، لكنهما فارغتان، ما من سكينة معها. إنها تخفض بصرها الآن أيضًا إلى الخط الأحمر الوحيد الذي يجري على ساقي اليمنى من الداخل. وضعتُ يديَّ على بطني وانحنيتُ من الألم.

استطعتُ أن أهمس: «أوه يا إلهي». ثم انطوتْ ركبتاي وصرتُ أغرق أكثر وأكثر في الألم. سألتني كلير: «ما الذي يحدث؟».

- آه، يا إلهي، لا.

- هل أنتِ حبلى؟

نظرتْ إليَّ بمزيج من الاشمئزاز والدهشة على وجهها. لم تنتظر إجابتي وأردفتْ: «كيف يمكنكِ ألا تخبريني بشيء كهذا؟ اعتدنا أن نخبر

بعضنا بعضًا بكل شيء». يمكنني رؤية عقلها يفكر، وهو مغمور بهذه المعلومة الجديدة. يخطط لمسار جديد.

- أنا آسفة.

نجحتُ في قول هذا لأنها تظنني يجب أن أشعر بالأسف. لم يتغير وجهها.

- إنه نزيف بسيط، ستكونين بخير. أعطيني مفاتيح السيارة.

هززتُ رأسي.

- اتصلي ببول.

- فقط أعطيني المفاتيح. يبعد المستشفى خمس عشرة دقيقة من هنا، سيكون هذا أسرع من الاتصال بسيارة إسعاف. يمكننا الاتصال به ونحن في الطريق.

فعلتُ كما قالت، مثلما أفعل دائمًا.

الآن

الثلاثاء، 3 يناير 2017

سألني بول: «هل أنتِ جائعة؟» كنتُ نائمة، ذلك النوم الذي يمكنك الاستيقاظ منه. جلستُ في سرير المستشفى وتركتُه يضبط وضع الوسائد خلفي. الباب مفتوح ويمكنني رؤية عربة في الخارج.

قالت ممرضة الشمال لبول، وهي تعطيه صينية طعام: «يجب أن تتمهل، أعطها القليل في كل مرة». تعرَّفتُ على صوتها. لا تبدو في الواقع كما تخيلتُها. إنها أصغر سنًّا وأنحف وأقل إرهاقًا. لم أتخيلها مبتسمة قط، لكنها تبتسم طوال الوقت. بعض الناس يبدون سعداء من الخارج وتعلم أنهم محطمون من الداخل إن أصغيت لهم كما تنظر إليهم فقط.

أخذ بول الصينية ووضعها أمامي. هناك دجاج، مع بطاطس مهروسة وفاصوليا خضراء. علبة عصير وما يشبه چيلي الفراولة. أنا جائعة للغاية، لكن بعد أن رأيتُ ما هو معروض الآن، أصبحتُ أقل تشوقًا لتناوله. التقط بول أدوات الطعام ووضع بعض البطاطس المهروسة على شوكة فقلتُ: «يمكنني فعل هذا».

- أنا آسف.

أخذتُ الشوكة منه وقلتُ: «شكرًا لك».

تناولتُ أغلبها. مضغتُ قطعًا صغيرة وابتلعتُها على حدة، فلا يزال حلقي يؤلمني من الأنبوب. لا تبدو وجبة كبيرة، لكن أشعر الآن كأنني

ربما تناولتُ أفضل وجبة في حياتي. كان الدجاج مطبوخًا أكثر من اللازم والبطاطس متكتلة، ولكن مجرد قدرتي على المضغ والبلع والتذوق مرة أخرى جعلتْ كل لقمة رائعة. لأن هذا يعني أنني على قيد الحياة.

سألني بول: «هل يمكنكِ تذكُّر المزيد؟».

هززتُ رأسي وأشحتُ بنظري.

- ليس حقًّا.

بدا مرتاحًا. تحدث عن المستقبل كأن لنا مستقبلًا معًا وجعلني هذا أشعر بوجود حقيقي مجددًا. لا يمكنني تخيل كيف شعر بول بعدما رأى ما رأى، وشاهد رجلًا آخر يفعل هذا بي. لكن لا يبدو أنه غيَّر الأمور في نظره، ليس بعد على الأقل. بدأتْ أفكاري تتسطح، وكوتْ كلماته تعرجاتها حتى فردتْ طيات فكري. ظلَّ يتردد على أي خطوط متبقية حتى يصبح كل نقص فيه أنيقًا مرتبًا، كأنه جديد تمامًا لم يُستخدم أو يُلوث.

اهتزَّ هاتف بول على طاولة السرير. مدَّ يده وقرأ ما فيه، ثم حدَّق إليَّ فسألتُه: «ماذا؟».

- لديكِ زائر.

بدأتُ أشعر أنني أشحب وأنا أسأله: «مَن؟».

- كلير.

انتظر بعض الوقت كي أقول شيئًا، لكني لم أفعل فتابع: «ألا بأس بهذا؟ ليس عليكِ مقابلتها إن كنتِ لا تريدين. ليس عليكِ أن تقابلي أي أحد. لكن أيًّا كان ما حدث بينكما، فأنا متأكد أنها آسفة للغاية».

- لا بأس.

- حسنًا. هي في موقف السيارات، لذا أمامها بضع دقائق. سأخبرها أن تصعد.

أشحتُ بنظري وهو يراسل أختي. بول لا يعلم أنني أتذكَّر ما حدث ليلتها. لم أقرر بعدُ ما سأفعله، والمقدار الذي سأتظاهر بعدم معرفته.

سألني بول: «هل أحضر لكِ أي شيء آخر؟».

- أود كأسًا من النبيذ.

ضحك، وبدت ضحكته رائعة، ثم قال: «أنا متأكد أنكِ تودين هذا، لكن أظن الوقت لا يزال مبكرًا قليلًا على عصير عنب. لنتمهل يومًا بيوم».

أخذ الصينية وتركها على الأرض خارج الغرفة مباشرةً، كأنها غرفة فندق وأننا طلبنا خدمة الغرف. أود أن أذهب إلى مكان ما عندما ينتهي هذا كله. أهرب من الحياة الواقعية لبعض الوقت فقط. أي مكان يمكنني أن أشعر فيه بالشمس نهارًا وأرى النجوم ليلًا. الباب مفتوح لكنها طرقتْهُ على أي حال.

قالت، وهي في انتظار أن يدعوها أحد للدخول قبل أن تقترب أكثر: «مرحبًا»، فقال بول: «تعالي».

سألت، وهي تنظر إلينا في حين أنها تقصدني أنا: «كيف الحال؟».

أجبتها: «أنا بخير».

نهض بول عن كرسيه وهو يقول: «حسنًا، حسنًا. قد أخرج قليلًا فحسب وأترككما تدركان ما فاتكما».

أومأتُ له ليعلم أنني بخير. حدَّقتُ أنا وكلير بعضنا إلى بعض، بدأ حديث صامت بالفعل خلف أعيننا. جلستْ على الكرسي الذي نهض عنه بول وانتظرتْ حتى تأكدتْ أنه بعيد بما يكفي عن الغرفة ولن يسمعها، ثم قالت في النهاية: «أنا آسفة».

- علامَ؟

- على كل شيء.

سابقًا

الأحد، 14 فبراير 1993

مذكراتي العزيزة،

اليوم عيد الحب. لم أحصل على أي بطاقات معايدة وهذا لا يهمني. لدي عائلة الآن، عائلة مناسبة، وهذا كل ما تمنيتُه في حياتي. حصلتُ حتى على اسم جديد. كلير تايلور. أعتقد أنه يبدو لطيفًا. أنادي والدة تايلور بـ«أمي» ووالدها بـ«أبي» وأظنهما يروقهما هذا. أنا يروقني هذا. يروق الجميع عدا تايلور. تجهمتْ طوال النهار اليوم، وهي تلعب في غرفتها بالدمية التي أعطيتُها إياها كأنها طفلة. تدعو الدُّمية إيميلي وتجلس وتتحدث معها حينما تظن أنه ما من أحد يسمعها.

طلبتُ أن أذهب إلى غرفتي بعد الغداء ووافقت أمي. قلت إنني أريد قراءة كتابي الجديد وهي صدقتْني لأننا يوم الأحد وتناولنا لحمًا مشويًّا على العشاء. دائمًا ما نتناول اللحم المشوي كل أحد. تناولنا اليوم دجاجًا مشويًّا، دجاجة كاملة، مع البطاطس المشوية وكعك بودينج يوركشاير[1] والكثير من المرق. أكلتُ وجبتي بالكامل، في حين تركتْ تايلور أغلبها. كنتُ سأتناول وجبتها أيضًا، لكنني كنتُ متخمة بالفعل

(1) بودينج يوركشاير هو بودينج مخبوز وهو طبق جانبي شهير في إنجلترا، ويُقدم بصفة خاصة مع اللحم والدجاج المشوي. (المترجمة)

لدرجة جعلتْني أعتقد أنني قد أنفجر. سمعتُ أمي وهي تسأل تايلور ما الخطب وأنا أصعد الدرج. يسألانها دائمًا ما الخطب وهذا يغضبني. ما من خطب. يجب أن تكون سعيدة مثلي وتتوقف عن إفساد الأمور.

مررتُ بغرفة تايلور وأنا في طريقي إلى غرفتي ورأيتُ إيميلي جالسة على الفراش، وعيناها الزجاجيتان تنظران إليَّ مباشرةً. تذكَّرتُ اختياري لها في إحدى زياراتي للمرشدة الاجتماعية، كانت ملكي حقًّا ويمكنني استعادتها إن أردتُ هذا. لم أرَ دُمية مثلها من قبل، يبدو مظهرها حقيقيًّا للغاية. لديها شعر أسود لامع، ووجنتان ورديتان، وفستان أزرق جميل يضاهي نعليها. بدت أنيقة. ممتازة. لم أحبها. لا أتذكَّر أنني التقطتُها أو أخذتُها إلى غرفتي. أتذكَّر فقط أنني نظرتُ إلى الأسفل ورأيتُ الفرجار الذي كان داخل مقلمتي في يدي وإيميلي في حضني، وعيناها زاخرتان بالخدوش.

لم أكن متأكدة مما عليَّ فعله بعدها، لذا حملتُ إيميلي من يدها وخرجتُ إلى الحديقة الأمامية. كنتُ أكبر سنًّا من أن ألعب بالدُّمى، لذا وضعتُ إيميلي أرضًا. في وسط الشارع. وقدماها الصغيرتان مضمومتان على الرصيف. كنتُ لا أزال أشعر بتخمة شديدة من الغداء لذا جلستُ على عشب الحديقة الأمامية ونتفتُ بأناملي كُشة من العشب. كانت الشمس ساطعة والسماء زرقاء، لكن الجو بارد، رغم أنني لم أنزعج من هذا. أردتُ أن أكون في الخارج. أردتُ أن أرى.

خالجني ذلك الشعور الذي يعتريك وأنت تعلم أن هناك مَن يراقبك، والتفتُّ لأنظر إلى المنزل. كانت تايلور هناك في نافذة غرفة نومها بالطابق العلوي تنظر إلينا بالأسفل. انتقلتْ عيناها بيني وبين الدُّمية، ثم عادتْ إليَّ مجددًا. استدارتْ وتساءلتُ إن كانت ستبكي، فهي تبكي دائمًا في الآونة الأخيرة.

لم تمس السيارة الأولى إيميلي على الإطلاق وغضبتُ لهذا، فالسيارات لا تسلك شارعنا كثيرًا. لكن وصلتْ تايلور إلى الحديقة في الوقت المناسب لترى السيارة الثانية، لذا كان هذا جيدًا. لم تفوِّتها السيارة. مرَّت عجلتها اليسرى الأمامية فوق وجه الدُّمية، وعلق شعرها في العجلة. شاهدتُها هي تدور وتدور. ثم مرَّت فوقها العجلة اليسرى الخلفية أيضًا، لكنها تركتْها حيث وجدتْها، مستلقية على الأسفلت. وقفتْ تايلور بجانبي، ما زالت تحدِّق إلى الدُّمية من بعيد. لم يتغير وجهها، لم يتحرك جسدها، وقفتْ مكانها فحسب. واصلتُ نتف أنصال العشب، ولفها بين أناملي. بدأتُ أهمهم بأغنية دون أن أقصد حتى:

عجلات الحافلة تدور وتدور، طوال اليوم.

سألتُها: «هل أخبرتِ أي أحد؟».

لم تسأل عمَّا تخبرهم، هزَّت رأسها فقط وخفضتْ بصرها فقلتُ: «جيد، تحدث أشياء سيئة عندما تلفقين أكاذيب عن الناس». نظرتْ إليَّ وقتها، بوجه خالٍ من التعابير نوعًا ما، ليس سعيدًا ولا حزينًا أيضًا. ربَّتُّ على رقعة العشب المجاورة إلى حيث جلستُ وأتت في النهاية وجلستْ إلى جواري. لم تكن ترتدي معطفًا، وعلمتُ أنها تشعر بالبرد حتمًا، لذا مددتُ يدي لأمسك يدها وتركتني أفعل هذا. ضغطتُ يدها ثلاث مرات، وضغطتْ يدي ثلاث مرات هي أيضًا. علمتُ وقتها أننا سنكون على ما يرام، وأنه ما من شيء تغير، ليس حقًّا. لقد تركتْ نفسها تتوه قليلًا، لكني وجدتُها مجددًا. قد نكون شقيقتين الآن، لكننا سنظل دائمًا حبتَي بازلاء في قرن واحد.

سابقًا

يوم الكريسماس، 2016 – ليلًا

وضعتْ كلير رأسها أسفل ذراعي لتحمل عني أغلب وزني، ثم قادتني إلى السيارة في الخارج. تركتُها تساعدني، فأنا لستُ متأكدة من قدرتي على الوقوف بمفردي على أي حال. ما زلتُ حافية القدمين ونحن نتعثر إلى نهاية ممر السيارات ليمزق الحصى المبلل أصابع قدميَّ. أنزلتني إلى مقعد الراكب ولاحظتُ أنها ترتدي قفازات جلدية حمراء لم أرها من قبل قط. جلستُ بزاوية مائلة واستطعتُ سماع أحد يبكي داخل السيارة، استغرقتُ بضع ثوانٍ لأدرك أنها أنا. ركبتْ خلف عجلة القيادة، وربطتْ حزامها، ثم أغلقتِ الباب.

- أين المذكرات يا آمبر؟
- أخبرتكِ، أنا أحرقتُها.
- أنتِ تكذبين.
- بربكِ، أوصليني إلى المستشفى فحسب.

لم تقد سيارة بول الإم چي من قبل، لكنها قادت السيارة إلى الخلف عبر ممر السيارات كأنها سيارتها. قفاز أحمر على عجلة القيادة، والآخر مستقر على ناقل السرعة طوال الوقت، مثل سائق سيارات السباق،

شخص متحكم في زمام الأمور. أغمضتُ عينيَّ ووضعتُ يديَّ على بطني، كأنني أحاول الإمساك بها بداخلي. أنا متأكدة أنها فتاة.

لم أتحدث أنا وكلير، وهي تخرج بنَا من شارعها. الأصوات الوحيدة التي يمكنني سماعها كانت على الراديو، لكنها ليست حقيقية حتى، كلها مسجلة مسبقًا. فتحتُ عينيَّ من حين لآخر لأنظر عبر النوافذ، لأتأكد أنها تسير في الاتجاه الصحيح، لكن كل ما يمكنني رؤيته هو الظلام. توجَّب عليَّ أن أضغط بإحدى يديَّ على لوحة القيادة لأثبِّت جسدي ونحن ننعطف عند الزاوية.

قالت، وهي تنتقل إلى السرعة الثانية: «اعتقدتُ أنكِ لا تستطيعين أن تحملي». أظننا على الطريق الرئيسية الآن، لن نستغرق وقتًا طويلًا.

- ولا أنا.

السرعة الثالثة.

- وبول لا يعلم؟

- لا.

السرعة الرابعة.

- لماذا لم تخبريني؟

- دائمًا ما قلتِ إننا لا نحتاج إلى أحد آخر.

الخامسة.

فتحتُ عينيَّ وأدركتُ أن التقلصات توقفتْ.

لا أعلم ما يعنيه هذا.

قلتُ وأنا أحاول أن أستقيم في جلستي قليلًا: «زال الألم، أظنني قد أكون بخير». تدفق قدر بسيط من الراحة داخلي. نظرتُ إلى كلير لكن

وجهها لم يتغير، كأنها لم تسمعني فسألتها: «أصبتِ بنزيف مرة عندما كنتِ حبلى بالتوءمين، أليس كذلك؟».

- لا يزال يتعين عليكِ الخضوع لفحص في المستشفى، الحذر أفضل من الندم.

- أنتِ محقة. لكن يمكنكِ أن تبطئي قليلًا الآن.

لم ترد، حدَّقتْ أمامها مباشرةً فقط لذا تابعتُ: «كلير، قلتُ إنكِ يجب أن تبطئي، أعتقد أنني بخير». عادتْ يداي إلى معدتي بشكل غريزي.

قالت بهدوء شديد لدرجة جعلتني غير متأكدة إن كنتُ سأسمع الكلمات على الإطلاق إن لم أرَ شفتيها تتحركان: «كان ينبغي لكِ أن تخبريني». تحول وجهها إلى هيئة قبيحة، وهي تضيف: «اعتدنا أن نخبر بعضنا بعضًا بكل شيء. لو كنتِ فعلتِ كما أخبرتكِ فقط وتوقفتِ عن قول الأكاذيب لم يكن ليحدث أي من هذا. لا تلومي إلا نفسكِ إن مات».

- لم يمت.

اندفعتِ الدموع على ضفاف جفنيَّ وتدحرجتْ على وجنتيَّ. أنا متأكدة من هذا أيضًا، أقسم إنني أستطيع الشعور بنبضات قلب طفلي الذي لم يولد بعدُ كشعوري بنبضات قلبي. أومأتْ كلير برأسها. إنها تصدق أن الطفل لا يزال على قيد الحياة. أغمضتُ عينيَّ وقبضتْ على جانب كرسيَّ بإحكام أكثر. يجب أن أتماسك فحسب، لا يمكن أن يكون المستشفى بعيدًا عنَّا بكثير. نحن نتحرك بسرعة كبيرة الآن، لا بد أننا أوشكنا على الوصول تقريبًا.

- آمبر.

وضعتْ كلير يدها التي داخل القفاز على يدي. إنها باردة وفتحتُ عينيَّ لأراها تحدِّق إليَّ بدلًا من الطريق. ابتسمتْ ليخدرني الرعب من فوري.

قالت قبل أن تعود بنظرها إلى الطريق واضعةً كلتا يديها على عجلة القيادة: «أنا أحبكِ».

سمعتُ صرير الفرامل، ثم تباطأ كل شيء. ارتفع جسدي عن الكرسي وصرتُ أطير. اصطدمتُ بزجاج السيارة الأمامي، بيديَّ أولًا، كأنني أغوص في بركة من الزجاج. ألف قطعة صغيرة تمزق كل جزء من جسدي. لم أتألم، لقد زال كل الألم. طرتُ عاليًا في سماء الليل. يمكنني رؤية النجوم، اقتربتُ منها كثيرًا لدرجة أنني أستطيع لمسها تقريبًا، لكني صدمتُ رأسي بالأسفلت بعدها، ثم كتفي، وصدري، لتتمزق أجزاء من بشرتي وأنا أنزلق إلى أن توقفتُ فجأة. كل شيء ساكن. لم أعد أطير.

عاد الألم إلا أنه صار في كل مكان الآن، وأسوأ بكثير من ذي قبل. أنا محطمة قلبًا وقالبًا وخائفة. لا أبكي، لا أستطيع البكاء، لكنني أشعر بالدم يسيل على وجهي مثل دموع حمراء. أسمع صوت إغلاق باب السيارة، وصوت الراديو الخافت، لا تزال أغنية الكريسماس على الراديو. زاد الألم حتى حوَّل كل شيء إلى اللون الأسود. ثم لم يعد بمقدوري الشعور بالألم، لا يمكنني الشعور بأي شيء، يمكنني النوم فقط.

الآن

الثلاثاء، 3 يناير 2017

- لقد تركتِني هناك.
- كنتُ ثملة، ما كان يجب أن أقود السيارة. كنتُ خائفة.
- كنتِ **خائفة**؟ هل طلبتِ النجدة حتى؟

أشاحت بنظرها وقالت: «اعتقدتُ أنكِ ميتة».

- كنتِ **تأملين** لو كنتُ ميتة.
- هذا ليس صحيحًا، لا تقولي هذا أبدًا، أنا أحبكِ.
- أنت لا تحبينني، بل تحتاجين إليَّ. هذان شيئان مختلفان.
- هل تعلمين ما كان سيحدث لو علموا أنني مَن كنتُ أقود السيارة؟ لديَّ طفلان صغيران بحاجة إليَّ.
- وأنا كنتُ حبلى. والآن أنا لستُ كذلك.
- أعلم. أنا في غاية الأسف. لم أكن لأفعل أي شيء يؤذيكِ عمدًا أبدًا، وأنتِ تعلمين هذا.
- هل أخبرتِ بول؟
- أخبره بماذا؟
- أنكِ مَن كنتِ تقودين؟

- لا. هل أخبرتِه أنتِ؟

- هل تظنين أنه كان سيدعكِ تكونين هنا لو كنتُ أخبرتُه؟

أخرجتْ غضبها بازدراء وقتها وقالت: «كانت حادثة يا آمبر. كنتُ أحاول مساعدتكِ. كنتُ أحاول إيصالكِ إلى المستشفى. ألا تتذكَّرين هذا؟».

- أتذكَّر أنكِ ربطتِ حزامكِ أنتِ، وقدتِ بسرعة بالغة، ثم ضغطتِ المكابح. وأتذكَّر أنني طرتُ في الهواء.

- اضطررتُ لإيقاف السيارة.

- لا، لم تضطري.

- كنَّا نتحرك بالسيارة، وكنتِ تصرخين من الألم، ثم قلتِ شيئًا عن فتاة صغيرة ترتدي رداءً ورديًّا. ظننتُ أن ثمة طفلة في وسط الطريق. صرختِ بوجهي كي أوقف السيارة.

أفرغتْ كلماتها في أذنيَّ ووجدتْ طريقها إليَّ في النهاية. لم أعد أعرف ما هي الحقيقة. لا أعرف أي نسخة من الأحداث أصدِّق. نسخة أختي أم نسختي. تحاول الغرفة مداواة جروحي في الهدوء المتوقف، لكن كلير تمزق الغرز.

قالت: «لم تكن هناك طفلة عندما ترجلتُ من السيارة، لم أرها قط. إمَّا أنكِ تخيلتِها وإمَّا أنها هربتْ»

كلاهما.

أشحتُ بنظري، لم يعد باستطاعتي النظر إليها. استغرق الأمر مني الكثير من الحب لأكرهها كما أكرهها الآن.

- لم يكن يجدر بي أن أتركِكِ هناك. لكن كان عليكِ أن تخبريني بأمر الطفل وكان يجب أن تخبريني بشأنه. هذا ما يحدث عندما نكذب بعضنا على بعض.

- أنا لم أكذب.

- ولم تخبريني بالحقيقة أيضًا. لقد بحثتْ عنه، إدوارد كلارك. طُرد من كلية الطب بعد وقت قصير من انفصالكِ عنه.

- بسبب الخطابات التي كتبتِها.

- ربما. على أي حال، لقد كنتُ محقة. علمتُ أن ثمة خطبًا ما بشأنه. امتهن وظائف غريبة في مستشفيات مختلفة حتى حصل على تلك الوظيفة. أظنه اختار هذا المستشفى ليكون قريبًا منكِ. هل تفهمين؟ أظنه كان يتبعكِ لسنوات ولا أظن أن الأمر قد انتهى. أخبريني أين يعيش.

- لا أتذكَّر.

- بل تتذكَّرين. أخبريني. أنا لن أدعه يؤذيكِ مجددًا. لن أدع أي أحد يؤذيكِ مجددًا.

- أود أن أنام الآن.

قلتُها وأغمضتُ عينيَّ فقالت: «جلبتُ لكِ هذا». وسمعتُها تضع شيئًا على الطاولة الجانبية. فتحتُ عينيَّ لوقت كافٍ حتى أرى هذا الشيء، لكني لم أنظر إليها، وهي تقول: «ظننته قد يذكركِ بمَن كنَّا، ومَن قد نكون مجددًا». لم أجِب. بدا السوار الذهبي أصغر بكثير مما أتذكَّر، دُهشتُ أنه ناسب حجم رسغي يومًا. السوار الذي سرقتْه مني في طفولتنا. عيد ميلادي محفور في الذهب. وعيد ميلادها أيضًا. توءمان مروعان. لا يزال به دبوس الأمان الذي أصلحتُه به عندما كسرتْه. هش للغاية. دُهشتُ

أنها لا تزال تحتفظ به، أريد أن ألمسه، لكني لم أفعل. أغمضتُ عينيَّ وأدرتُ ظهري لها. أشتاق إلى عودة الصمت وابتلاع الظلمة لي، لا أريد أن أسمع المزيد. تحققتْ أمنيتي. أُغلق الباب وتُركتُ وحدي. اختفى السوار وكذلك أختي.

لاحقًا

بعد ستة أسابيع

15 فبراير 2017

أقف عند نهاية فراشنا لأراقب وجهه وهو نائم. تحركتْ عينا بول أسفل جفنيه المغلقين، وفُتح فمه قليلًا. تقدم به العمر خلال الشهرين الماضيين، ونقشت التجاعيد نفسها بشكل أعمق على وجهه، وصار التجويف الذي تحت عينيه أدكن من ذي قبل. أنا أراقب رجلًا ناضجًا تمامًا، ومع ذلك كل ما يمكنني رؤيته هو صورة ضعف. أقف في الصمت المجيد الذي يمكن لليل فقط أن يجلبه وأفكِّر بعناية إن كنتُ اتخذتُ القرار الصائب أم لا. قررتُ أنني اتخذتُه. لن أدع ماضيًّ يملي علينا مستقبلنا.

ظللتُ ماكثة في المنزل ما يزيد على شهر قليلًا الآن. بعد فترة طويلة داخل الظلام الهادئ، شعرتُ بحمل زائد على حواسي عندما غادرتُ المستشفى لأول مرة. بدا العالم سريعًا للغاية، صاخبًا للغاية وحقيقيًّا للغاية. ربما كان على هذا النحو دائمًا وأنا لم ألاحظه من قبل فحسب. استغرق الأمر بعض الوقت لأتكيف وأتعامل مع كل شيء. ذهبتُ إلى موقع الحادثة، إذ اعتقد مستشار صدمات نفسية في المستشفى أنها ستكون فكرة جيدة. كانت هناك باقة من الزهور الميتة بجانب الشجرة. لا بد أن أحدهم ظنني مت تلك الليلة. أظن أن نسخة مني ماتت حقًّا.

أحاول تجاوز الأمر. سامحتُ كلير الآن أيضًا، لدرجة أننا عرضنا عليها أن نعتني بالتوءمين في أثناء احتفالها هي وديڤيد احتفالًا رومانسيًّا في عيد الحب البارحة. اعتقدتُ أنهما يستحقان بعض الوقت المميز معًا، حتى إنني أعددتُ وجبة مميزة لهما.

كان وجود التوءمين هنا لطيفًا. ناما قيلولة بعد الظهر في غرفة نومنا الاحتياطية، وكانت تلك المرة الأولى التي ينامان فيها هنا وظللتُ أتفقَّدهما لأتأكد أنهما بخير. وقفتُ عند عتبة الباب وحدَّقتُ إلى وجنتيهما الورديتين، وخصلات شعرهما الجامحة، وكل منهما مستغرق في أحلامه كحبتي بازلاء في قرن واحد. كنتُ قد لصقتُ بعض النجوم المضيئة على السقف، والتي بدا أنهما أحباها. ظللتُ أشعل الضوء وأطفئه لأريهما أن النجوم لا يمكنها أن تسطع دون الظلام. بكيا اليوم أقل من المعتاد، أجاد بول كثيرًا إبقائهما سعيدين. يتحدث إليهما بالنبرة الصحيحة، ودائمًا ما يجعل كل شيء أفضل. صار المنزل صامتًا مرة أخرى الآن. تفقَّدتُ الوقت: 03:02.

لا تزال بعض آثار الغيبوبة الجانبية مستمرة حتى بعد بضعة أسابيع. أعاني كوابيس مزعجة بشكل رهيب وأجد صعوبة في العودة إلى النوم منذ أن استيقظتُ. تسللتُ لأهبط الدرج وأتى ديجبي لمقابلتي. لدينا جرو الآن، لابرادور أسود. كانت فكرة بول. سرتُ إلى المطبخ، وألقيتُ نظرة خاطفة على الساعة قبل أن أبدأ روتيني: 03.07.

أبدأ بالباب الخلفي وأدرتُ المقبض مرارًا حتى تأكدتُ أنه مغلق.

أعلى، أسفل. أعلى، أسفل. أعلى، أسفل.

بعدها، وقفتُ أمام فرن الموقد الكبير وثنيتُ ذراعيَّ عند كوعيَّ. تُشكِّل أناملي الشكل المألوف: تلتقي السبابة والإصبع الوسطى بالإبهام في كل يد. همستُ لنفسي بهدوء، وأنا أتأكد ببصري أن كل شيء مغلق، بينما نقرتْ أظفاري معًا. فعلتُ هذا ثانيةً. وفعلتُه لمرة ثالثة.

يراقبني ديجبي من مدخل المطبخ، وهو يُميل رأسه جانبًا. هممتُ بالمغادرة، ثم بقيتُ لفترة وجيزة، وتساءلتُ إن كان عليَّ التحقق من كل شيء لمرة أخيرة قبل المغادرة. نظرتُ إلى الساعة: 03:15. لا يوجد وقت. ارتديتُ معطفي، وأخذتُ حقيبتي، ثم تحققتُ من محتوياتها: الهاتف. المحفظة. المفاتيح. بالإضافة إلى بعض النثريات الأخرى. تفقدتُها مرتين أخريين قبل أن أرفق رسن ديجبي بطوقه، ثم غادرتُ المنزل، وأنا أتأكد أن الباب الأمامي مغلق لثلاث مرات قبل أن أسير إلى نهاية ممر الحديقة المضاء بنور القمر.

أجدُ في السير راحة ويقدِّر الجرو ذلك سواء ليلًا أو نهارًا. السير في بضعة مربعات سكنية فقط وبعض الهواء النقي، ثم يمكنني العودة إلى النوم بصورة طبيعية. لا يبدو أن شيئًا آخر يفلح. سرتُ بطول الشارع الرئيسي، ولا ينبعث ضوء واحد من أي منزل، كأن الجميع رحلوا وأنا الشخص الوحيد المتبقي في العالم.

واصلتُ المسير في الطرق الناعسة أسفل دثار أسود من سماء الليل المغطاة بنجوم، مثل الترتر. إنها النجوم نفسها التي رفعتُ نظري إليها على مدار عشرين عامًا، لكني تغيرتُ إلى الأبد. إنها ليست ليلة قمراء، لذا صرتُ متخفية في الظلام بالكامل وأنا أنعطف إلى شارع كلير. حدَّقتُ إلى المنزل وأخذتُ أستوعبه كأنني أنظر إليه بشكل صحيح للمرة الأولى. كان ينبغي له أن يكون ملكي، أنا مَن وُلدتُ هنا. ربطتُ رسن ديجبي في عمود إنارة، ثم أخرجتُ مفتاحي ودلفتُ.

تفقَّدتُ كلير وديڤيد أولًا. يبدوان مسالمين للغاية، مستلقيان دون حراك تمامًا، وكل منهما يدير ظهره للآخر.

عجلات الحافلة تدور وتدور.

أعتقد من المفترض أن يعني نومهما بهذه الطريقة شيئًا ما. شيء عن علاقتهما، لكن لا يمكنني تذكُّره وهو لا يهم الآن على أي حال.

تدور وتدور.

تفقَّدتُ نبض ديڤيد. لا يوجد نبض، وجسده بارد بالفعل. انتقلتُ إلى جانب الفراش الآخر لأتفقَّد كلير. نبضها ضعيف، لكن لديها نبض. أظنه تناول من الوجبة التي أعددتُها أكثر منها. يبدو أن حقيبة المخدرات التي أخذتُها من المستشفى قد نجحت. خامرتني الشكوك، لكن لو كان بإمكان حارس ليلي في مستشفى فهم هذه المواد، فبمساعدة الإنترنت لن يستعصي الأمر حقًّا على شخص مثلي.

تدور وتدور.

توجهتُ إلى غرفة الأطفال قبل أن أعود إلى كلير.

عجلات الحافلة تدور وتدور.

كسر صوت بكاء التوءمين حاجز الصمت. ملتُ أكثر إلى الفراش بالأسفل متمنية أن تستطيع سماعهما.

طوال اليوم.

همستُ في أذنها: «حبتا بازلاء في قرن واحد».

فتحتْ عينيها، قفزتُ مبتعدةً عن الفراش. تنظر باتجاه صوت صراخ طفليها في نهاية الممر. ارتحتُ عندما أدركتُ أنها لا تستطيع تحريك أي شيء آخر سوى عينيها. إنهما متسعتان هائجتان وهي تحدِّق إليَّ بنظرة لم أرها من قبل. بخوف. أنا أمسك علبة البنزين حتى تكون في مرمى بصر كلير. تنظر إليها، ثم تعود بنظرها إليَّ. أمعنتُ النظر في وجه أختي لمرة أخيرة، ثم أخذتُ يدها بيدي، وضغطتُها ثلاث مرات قبل أن أتركها.

وقلتُ قبل مغادرة الغرفة: «لم أكن مولعة بالبنزين أبدًا».

لاحقًا

الأربعاء، 15 فبراير 2017 - 4:00

سلكتُ طريقًا مختلفة إلى المنزل، منعطفًا صغيرًا بصحبة ديجبي. كان الجو باردًا، وأسرعتُ من سيري قليلًا. وعندما سمعتُ سيارات الإطفاء فكرتُ في إدوارد، ربما بسبب صوت صفارات الإنذار، الشرطة لم تلقِ القبض عليه أبدًا. أذكر ذلك المساء عندما جاء المحقق هاندلي إلى المنزل ليخبرني بما وجدوه. جلس على أريكتنا، بمراعاة لطيفة، كأنه لا يريد أن يتسبب في اضطراب الهواء في الغرفة أو انبعاج الوسائد. رفض عرضي لاحتساء الشاي بهزة رأس مهذبة، ثم صمت لفترة طويلة، باحثًا بوضوح عن الكلمات الصحيحة متدبرًا الترتيب الذي يجب أن تُقال به. تحوَّلت بشرته إلى درجة شاحبة باهتة وهو يصف آثار الدم والجلد المحروق الذي عُثر عليه داخل السرير الشمسي في شقة إدوارد. لم تملك كلير حجة غياب ليلة ما قال الجيران أنهم سمعوا رجلًا يصرخ. ولا أنا أيضًا، لكن هذا لم يهم، فلم يسألنا أحد قط أين كنَّا. إنها حادثة محتملة، هذا ما ظنَّه المحقق، واقترح أن شيئًا ما قد تسبب في ماس كهربائي. أتذكَّر إيمائي له، وهو يتحدث. شيء أو شخص ما على الأرجح تسبب في ماس كهربائي. لم يكن هناك جثة. ولا استنتاج دقيق. أحيانًا يجب أن تصبح الأمور فوضوية حتى تُنظف.

تحولتْ أفكاري إلى مادلين وأنا أنعطف عند الزاوية إلى الشارع الرئيسي. فكَّرتُ بها حالما استيقظتُ. مررتُ بمحطة الوقود التي اشتريتُ منها البنزين قبل ما يزيد على شهرين. حُذف الآن تسجيل كاميرات المراقبة ذلك اليوم، لكن ستُظهر سجلاتهم أن ثمنها دُفع ببطاقة ائتمان مادلين فروست. دائمًا ما كانت تعطيني بطاقتها الائتمانية لأشتري لها وجبات الغداء أو أدفع ثمن التنظيف الجاف، لكنني استخدمتُها لأغراض أخرى كثيرة أيضًا، بما في ذلك مجموعة إضافية من مفاتيح منزلها عندما طلبتْ مني أن أحصل على نسخة إضافية لخادمتها الجديدة. أفادني امتهان وظيفة أقل من مؤهلاتي بشكل واضح في أشياء كهذه، لكن أفضل جزء في هذا كان معرفتي بجدول مواعيد مادلين، لأني بصفتي مساعدتها الشخصية، أنا مَن وضعتُه. كنتُ أعرف مكانها في كل دقيقة من اليوم قبلها بأسابيع، وعرفتُ متى لم يكن لديها حجة غياب.

آخر رسالة ابتزاز سلمتُها كانت قبل حفل الكريسماس، وضعتُ اسم كلير عليها، لذا لا مجال لسوء الفهم بشأن هوية المسؤول. قُضي على مادلين بعد فشلها الملحمي في نشرة أخبار وقت الغداء، الذي سار على نحو أفضل بكثير مما خططتُ له وتجاوز توقعاتي. قالت وجه مؤسسة «أزمات الطفولة» الإعلامي الكثير من الأشياء البشعة على شاشة التلفزيون مباشرةً، لدرجة أن أمرًا صغيرًا مثل تخليها عن ابنتها الروحية اليتيمة وسرقتها ميراثها بدا تافهًا في المقابل. لكني لم أنتهِ من أمر مادلين بعد. دائمًا ما كنتُ أجد فكرة الابتزاز شيئًا قبيحًا، لكن كان هذا شيئًا آخر، كان هذا جميلًا. كانت تلك هي العدالة. يظن الناس أن الخير والشر متقابلان، لكنهم مخطئون، إنهما انعكاس بعضهما لبعض في زجاج مكسور.

تدربتُ على سطوري التي سأقولها للشرطة. كنتُ قد كتبتُ خطابًا من مادلين إلى كلير تهددها فيه بالتعامل معها بالطريقة نفسها التي تعاملتْ بها مع والديها. أجيد كتابة الخطابات نيابةً عن مادلين لأنني مساعدتها الشخصية، لذا أنا واثقة أن خط يدي سيكون مطابقًا تمامًا لخطها. لم تقرأه كلير قط بالطبع، لكن عندما يحين الوقت، سأشرح كيف أعطتْني إياه لأبقيه بمأمن، تحسبًا لحدوث ما لم يكن في الحسبان. ظنَّ الجميع أن مادلين سيجنُّ جنونها إن توقفتْ عن العمل، وأن وظيفتها كانت كل ما تملك. وسيظن الجميع أنهم كانوا على حق عندما تجد الشرطة صفائح البنزين الفارغة داخل سقيفتها الموصدة بإحكام. سيجدون أيضًا القلم المستخدم في كتابة خطاب كلير على المكتب البلوطي في غرفة معيشتها. سيجدون كل ما يحتاجون إليه.

عدتُ إلى المنزل، ودلفتُ بهدوء وخلعتُ معطفي. 04:36. أنا أبكر قليلًا مما توقعتُ، لكن لا يمكنني العودة إلى النوم، ليس الآن. أشعر أنني متسخة، ملوثة، لذا صعدتُ لأستحم. أوصدتُ باب الحمام واستدرتُ لأواجه نفسي في المرآة. لا يروقني ما أرى، لذا أغمضتُ عينيَّ. فتحتُ سحَّاب الجسد الذي اعتدت أن أكونه، وخرجتُ من نفسي، دمية روسية مولودة حديثًا، أصغر قليلًا مما كنتُ سابقًا، وتساءلتُ كم عدد نسخي الأخرى التي لا تزال مخفية داخلي. فتحتُ الدش ونزلتُ أسفله أسرع من المفترض. الماء بارد للغاية، لكنني لم أجفل، تركتُ درجة الحرارة ترتفع ببطء حتى لا أشعر بالماء تقريبًا وهو يحرق جسدي عندما أصبح ساخنًا أكثر من اللازم. لا أعرف لكم من الوقت وقفتُ هكذا، لا أتذكَّر. لا أتذكَّر تجفيف نفسي، أو لف ردائي حول جسدي. لا أتذكَّر مغادرتي الحمام أو عودتي إلى الطابق السفلي. أتذكَّر فقط أنني عدتُ إلى الصالة، ونظرتُ في المرآة الكبيرة التي تعلو المدفأة وإعجابي بمظهر المرأة

التي حدَّقتْ إليَّ. التقطتُ ديجبي وجلستُ به في حضني، لأربِّتَ على فروه الأسود الناعم في الظلام. كل ما تبقَّى فعله الآن هو الانتظار.

شرع أحد التوءمين في البكاء. وضعتُ ديجبي على السجادة وأسرعتُ على الدرج لطمأنتهما. عندما كنتُ أحاول تسجيل صوتيهما وهما يصرخان في وقت سابق، كانا يبتسمان، لكننا وصلنا للصراخ الحقيقي في النهاية. دلف الضوء إلى غرفتهما الآن. سحبتُ الستائر إلى خلف ونظرتُ إلى الفجر الجديد في الخارج وهو ينشر نفسه على الشوارع والمنازل بالأسفل. لا يزال بول نائمًا، لذا أخذتُ التوءمين إلى الأسفل وأعددتُ لهما بعض الإفطار. أجلستُهما على كرسييْهما العالييْن وقلقتُ أن يشعرا بالبرودة أكثر من اللازم في منزلنا القديم. خطرتْ ببالي فكرة أخرى وقررتُ أنها فكرة جيدة، لا أعرف لماذا لم أفكر فيها من قبل حقًّا.

تراقصتْ ألسنة اللهب في المدفأة، لترمي بنورها ودفئها في أرجاء الغرفة. نظر التوءمان بذهول كأنهما لم يريا نارًا من قبل ثم أدركتُ أنهما ربما لم يرياها قط حقًّا. التقطتُ اليوميات واحدة تلو الأخرى، تصفحتُ بضع صفحات قبل أن ألقيها كلها في ألسنة اللهب. توقفتُ سريعًا عند آخر دفتر، مررتُ سبابتي فوق عام 1992 المكتوبة على الغلاف، ثم قلَّبتُ إلى الصفحات القليلة الأخيرة في النهاية. لم أستطع قراءة الكلمات في البداية، فقد التصقتْ بحلقي، لكنني أرغمتُ نفسي على قراءتها. لمرة أخيرة فقط تركتُ عينيَّ تترجم كلمات كلير في تلك الليلة، الليلة التي غيرتْ كل شيء.

قالت لي تايلور أن أفعل هذا.

مزَّقتُ الصفحة وكورتُها قبل أن ألقي بها في النار. بعدما رأيتُها تحترق إلى العدم، ألقيتُ بقية الدفتر. وجلستُ أنا والتوءمان، وشاهدنا حتى لم يبقَ من مذكرات أمهما شيءٌ إلا الدخان والرماد.

لاحقًا

ربيع 2017

دائمًا ما سعدتُ بالسقوط الحر الذي يتوسَّط النوم واليقظة. تلك الثواني المعدودة الثمينة من شبه الوعي الذي يسبق فتحك عينيك، عندما تضبط نفسك وأنت تصدق أن أحلامك قد تكون واقعك ببساطة. وللآن، لثانية أخرى فحسب، أستمتع بالوهم المداوي لروحي الذي يسمح لي بتخيل أنني قد أكون أي أحد، في أي مكان، وأنني قد أُحب.

شعرتُ بظلٍّ يخيم فوق جفنيَّ ففتحتُهما من فوري. الضوء ساطع للغاية لدرجة أنني لم أتذكَّر أين أنا في البداية. ظننتُ للحظة أنني عدتُ إلى غرفة المستشفى، لكنني سمعتُ صوت البحر، موجات هادئة تلعق بلطف حافة الرمال البيضاء من بعيد. رفعتُ يدي لأحمي عينيَّ من الشمس. وجدتُ نفسي أحدِّق إلى فروع الخطوط المحفورة في راحة يدي وبصمات أصابعي التي تذكرها جلدي طوال هذه السنوات. يعلم مَن أنا، جلدي، بغض النظر عن مدى عدم ارتياحي داخله.

جلستُ عندما سمعتُ الطفلين، رقص ضحكهما المعدي داخل أذني حتى انتشرت الابتسامة على وجهي. لا يهم أنني لم أنجبهما، فهما طفلاي الآن، وأعلم أن الماء يصير أقوى من الدم لو سمحت له بهذا. أنَّبتُ نفسي لأنني نمتُ عندما كان ينبغي لي إبقاء عيني عليهما، لكنني هدأتُ قليلًا

عندما نظرتُ إلى أرجاء الشاطئ. المكان بأكمله تحت تصرفنا باستثناء بضع نخلات. ما من أحد آخر هنا. ما من أحد نخشاه. حاولتُ الاسترخاء. أسندتُ ظهري إلى الكرسي وشبَّكتُ يديَّ معًا، وأرحتُهما على ساقيَّ. عندما خفضتُ بصري، رأيتُ يدَي أمي. عدتُ بنظري إلى ابن وابنة أختي وقررتُ أنني سأحب هذين الطفلين بالمقدار نفسه دائمًا، مهما فعلا، مهما تغيرا، بغض النظر عمَّن أو عما سيكبران ليصبحا عليه.

دفأتِ الشمس الحارة جسدي وأضاءتْ حياتنا الجديدة. ركننا الصغير من الجنة لأسبوعين، محطة توقف قبل أن يحتاج بول إلى الذهاب إلى أمريكا. استدرتُ نحو الفندق، أتساءل أين هو. حجزنا غرفة في الطابق الأرضي، على الشاطئ مباشرةً حتى نستطيع الخروج إلى الشمس نهارًا ونجلس تحت النجوم ليلًا. إنه جناح ضخم أكثر من كونه غرفة في الواقع وقلما نرى أي أحد. لا يوجد الكثير من النزلاء الآخرين لأنه موسم ممطر، لكنها لم تمطر ولو لمرة واحدة منذ وصولنا.

الأبواب مفتوحة على مصراعيها ويمكنني رؤية ظل بول بالداخل، وهو جالس على السرير. يتحدث علىِ الهاتف. مجددًا. لم يتكيف مع حياتنا الجديدة بالسرعة التي تمنيتُ أن يتكيف بها ربما، لكنه يعشق الطفلين ويحبهما كما لو كانا طفليه. منحتُه الأسرة التي أرادها أخيرًا ولا يمكن لأحد سلبها منَّا الآن. ألقيتُ نظرة خاطفة على الطفلين مرة أخرى. إنهما بخير. نهضتُ عن كرسي التشمس لتفقُّد بول، أظل أذكِّر نفسي أنه يحتاج إلى مراقبتي أيضًا.

أنهى المكالمة وأعاد الهاتف على طاولة الفراش حالما دلفتُ إلى الغرفة. لم يرفع بصره وشعرتُ أنني قاطعتُ شيئًا فسألته: «مَن كان هذا؟».

- لا أحد.

لا يزال يتجنب التقاء أعيننا. دُفن السرير تحت مزيج من الورق الأبيض المغطى بالكلام الأسود المطبوع والحبر الأحمر. سيطر عليه التعديل الأبدي مرة أخرى.

عانيتُ لأخفي الانزعاج الذي بدا في صوتي وأنا وأقول: «حسنًا، لا بد أنه كان شخصًا ما»، يُفترض أن تكون هذه عطلة. فرصة لنقضي الوقت معًا كعائلة، وليس ليختبئ هنا محدِّقًا إلى الكلمات متحدثًا إلى وكيلته. عدتُ بنظري إلى الطفلين في الخارج، إنهما بخير، لذا عدتُ إلى بول. إنه ينظر إليَّ الآن، ارتفعتْ زاويتا فمه، ثم قال، وهو يقف ويهم بتقبيلي: «كان من المفترض أن تكون مفاجأة. كتفيكِ حمراوان، هل تحتاجين إلى وضع المزيد من الكريم عليهما؟».

- ماذا كانت؟

- طلبتُ شيئًا بسيطًا من خدمة الغرف.

ما زلت لا أصدَّقه لذا سألتُه: «ماذا؟ لماذا؟ تفصلنا ساعتان فقط عن العشاء».

- هذا صحيح، لكن عادةً ما نشرب الشمبانيا في ذكرانا السنوية.

- هذه ليست ذكرانا السنوية...

ابتسم وقال: «أنا لم أقل زفافنا». أعلم ذكرانا التي يقصدها وابتسمتُ له أيضًا قبل أن أقول: «ظننتُك كنت تتحدث إلى وكيلتك مجددًا».

قال وهو يرفع يديه: «أنا لستُ مذنبًا هذه المرة، لكنكِ ذكَّرتِني للتو بشيء ما. قد أراسلها عبر سكايب، دردشة سريعة فقط قبل مجيء المشروبات، ثم سأصبح كلي لكِ».

أدرتُ مقلتيَّ فتابع: «خمس دقائق فحسب، بالتأكيد يمكنكِ أن تسامحيني على ذلك، أليس كذلك؟».

- حسنًا، خمس دقائق.

قلتُها وقبَّلتُه على وجنته. أريد أن أغتسل، لكني نظرتُ إلى التوءمين واطمأننت عليهما أولًا، أصبحا أحدث روتين لي، شيئًا يجب أن أتفقَّده ثلاث مرات. إنهما كما تركتُهما بالضبط، يبنيان قلاعًا من الرمال، ثم يسحقانها ويبدآن من جديد. إنهما سعيدان للغاية في صحبة بعضهما بعضًا. تساءلتُ إن كان هذا غير عادي. تساءلتُ إن كانا سيكونان هكذا دائمًا.

قال بول: «انظري إلى هذا». انتقل بالفعل إلى المكتب الصغير القابع في زاوية الغرفة ومن أمامه حاسوبه المحمول مفتوح. لاحظتُ البطاقة البارزة من ياقة قميصه. سرتُ نحوه ومددتُ يدي لأُدخلها، ثم غيرتُ رأيي. لستُ متأكدة لماذا. أنظر إلى الشاشة من فوق كتفه بدلًا من هذا وهو يضيف: «أرسلتْها جليسة الكلب، يبدو أن ديجبي يقضي عطلة لطيفة أيضًا». أبتسم للصورة. الكلب يلهث، لكن يبدو كأنه يبتسم للكاميرا. قلتُ له: «أعلم أنك تفتقده، سنراه قريبًا للغاية». يحب بول هذا الكلب ويكره تركه وحده. يجب أن يكون لدينا جميعًا شيء أو شخص نحبه، وإلا لن يجد الحب الذي داخلنا مكانًا يذهب إليه. أردفتُ، وأنا أنظر إلى التوءمين: «هل ستُبقي عينيك عليهما ريثما أستحم سريعًا؟».

- بالطبع.

لاحظتُ أن بول ترك التلفزيون مشغلًا مرة أخرى وأنا في طريقي إلى الحمام. الصوت مكتوم، لكن لفت انتباهي صورة مألوفة فوقفتُ مكاني، عاجزةً عن الإشاحة بنظري. رأيتُ مراسلة إخبارية كنتُ أعرفها تقف أمام مبنى المحكمة مع أطقم تلفزيون والمزيد من المراسلين يتزاحمون على الرصيف من حولها. تغيرتِ الصورة إلى صورة سيارة شرطة تسير خلال بوابة لتدخل إلى المبنى. ثم أرى لقطات من منزل كلير، المنزل

الذي كبرنا فيه، أسود ومحترق. قرأتُ الكلمات وهي تمر أسفل الشاشة، شريط من الحروف الكبيرة تصرخ في وجهي بصمت:

بدء محاكمة جريمة قتل مادلين فروست.

رغم أن زر كتم الصوت كان مشغَّلًا، فإن صوت التلفزيون كان عاليًا للغاية. لا أعلم لماذا يصر على إشعاله في الخلفية طوال الوقت، كأنه هوس ما. أطفأته وعدتُ لأقول شيئًا لبول، لكنه كان قد بدأ مكالمته على سكايب. توقف صوت الاتصال الذي أصبح مألوفًا للغاية وبدأ يتحدث على حاسوبه المحمول قبل أن تُتاح لي الفرصة لقول أي شيء. تركتُه يتحدث ودلفتُ إلى الحمام. لمحتُ انعكاسي في المرآة. أبدو جيدة. أبدو مثل نسختي التي من المفترض أن أكون عليها، أعيش الحياة التي من المفترض أن أعيشها. الحياة التي سُرقت مني.

أغلقتُ الباب وفتحتُ الدُّش. سأنتهي سريعًا. أريد فقط أن أزيل الرمال والكريم عن جسدي، وأغسل شعري، وأرتدي ملابس أخرى. خلعتُ ملابس البحر ودخلتُ إلى حوض الاستحمام، لأترك نوافير الماء البارد تصفع وجهي. سمعتُ طرقًا على باب غرفة الفندق، ولعنتُ سوء التوقيت. قال بول: «تفضل». يمكنني سماع أن مكالمته مع وكيلته في لندن ما زالت مستمرة، لكنني شعرتُ بالارتياح لأنه تعامل مع الأمر، أصبح قضائي خمس دقائق بمفردي متعة نادرة لا يمكنني اعتبارها أمرًا مسلمًا به بعد الآن.

قال: «هذا عظيم، شكرًا لك، اتركها هناك فحسب».

خفتتْ كلماته بسبب صوت الماء، لكنه بدا مشتتًا وأوشك أن يبدو وقحًا، آمل أن يتذكَّر إعطاءهم إكرامية.

ارتديتُ ملابسي بسرعة، ومررتُ الفرشاة بسرعة عبر شعري المتشابك قبل أن أصفع وجهي وكتفيَّ ببعض كريم ما بعد الشمس. كان

بول جالسًا بالفعل على الأرض الخشبية أمام الغرفة مباشرةً، ليواجه البحر الفيروزي. قرَّب الطفلين منًّا قليلًا حتى يجلسا على بطانية في الظل، وأحبه لحبه إياهما كما تمنيتُ.

قال وأنا أخرج لأنضم إليهم: «ها أنتِ ذي، ظننتُ أنكِ ربما غرقتِ. ثم سأل، وهو يأخذ زجاجة الشمبانيا من دلو فضي على صينية فوق الطاولة: «شراب يا سيدتي؟».

- جميل، أجل من فضلك.

جلستُ إلى جانبه، لأشعر بالحرارة قادمة من الكرسي الخشبي عبر تنورتي. التفتتْ كايتي عندما سمعتني وابتسمتْ.

قالت: «أمي»، ثم واصلت اللعب. لم تنادِني هكذا من قبل قط، وجعلني هذا أشعر بسعادة غامرة. كنتُ والدتهما الروحية بعد كل شيء، هل أقترف خطأً بالغًا لرغبتي في أن أكون أكثر من هذا؟ استخدم بول ظفر إبهامه لقطع الرقاقة الذهبية التي حول عنق الزجاجة. مزَّقها قبل أن تبرم أنامله المعدن الذي يثبِّت السدادة في مكانها، ثم أزالها بمهارة. دون صوت فرقعة، دون ضجة، دون فوضى. ملأ كأسينا وأدركتُ أنني سعيدة. تحسنت الأمور بيننا كثيرًا الآن. عدنا إلى ما اعتدنا أن نكون عليه. هذا كل ما أردته. أنا في جنة مع عائلتي وهذا هو شعور السعادة. لستُ متأكدة إن كنتُ عرفتُه من قبل حقًّا.

أعاد الزجاجة إلى الصينية المستديرة ورأيتُ شيئًا بجانبها يعكس الضوء. سألتُه وأنا أخفض بصري إلى انزلاق اللون الذهبي على اللون الفضي: ما هذا؟

فسألني وهو يتبع نظراتي: «عمَّ تسألين؟» ابتسمتُ ظنًّا مني أنها مفاجأة أخرى، هدية ما، لعبة ما.

إنها ليس كذلك.

أبتِ الكلمات أن تتشكَّل للحظة، ثم سألتُه: «هل رأيت مَن أوصل هذا إلى غرفتنا؟».

- كنتُ لا أزال أتحدث على سكايب، أتوا فقط وتركوها جانبًا. لماذا؟ ما الخطب؟

لم أجِبه. ذُهلتُ من السوار الرقيق الموضوع على الصينية، صغير بما يكفي ليلائم معصم طفلة. يعقده دبوس أمان قديم صدئ قليلًا وحُفر على الذهب تاريخ ميلادي.

أُدعى آمبر ~~تايلور~~ رينولدز. ثمة ثلاثة أشياء ينبغي لك أن تعرفها عني:

1. كنتُ في غيبوبة.
2. توفيت أختي في حادثة مأسوية.
3. أنا أكذب أحيانًا.

شكر وتقدير

هناك كثيرون أود شكرهم لبعث الحياة في هذا الكتاب.

أولًا، أود شكر وكيلي الرائع، چوني جيللر، لمنحي هذه الفرصة. أود أيضًا شكر كاثرين تشو، وكايت كووبر، وكل الناس اللطفاء في وكالة كورتيس براون (Curtis Brown). كاري ستوارت أسطورة في وكالة أي سي إم (ICM) وأنا ممتنة لها إلى الأبد أيضًا.

أشعر أنني محظوظة للغاية لأن **أحيانًا أكذب** (Sometimes I Lie) وجدت مكانها في «إتش كيو/ هاربر كولين» (HQ/HarperCollins) في المملكة المتحدة و«فلات إيرون/ماكميلان» (Flatiron/Macmillan) في الولايات المتحدة الأمريكية. أعمل مع محررين رائعين سأظل دائمًا مديونة لهما: سالي وليامسون في المملكة المتحدة، التي آمنت بهذا الكتاب بشغف كبير وتتمتع بأروع ضحكة على الإطلاق، وآمي إنهورن في الولايات المتحدة الأمريكية، التي أعتبرها شعلة من النشاط، وساحرة في استخدام الكلمات.

ثانيًا، أود توجيه كلمة أو كلمتين إلى أفضل معلم لي على الإطلاق: ريتشارد سكينر. علمني أشياء أكثر بكثير من أن أذكرها هنا. أنا مدينة لك للأبد.

أود أيضًا شكر جميع خريجي فصل ربيع 2016 في «أكاديمية فابر» (Faber Academy) ... كنتم جميعًا جزءًا من رحلتي في الكتابة، وقد كوَّنتُ بعض الصداقات التي ستدوم مدى الحياة. أتوجَّه بشكر خاص لكيلي ألين، ودان دالتون، وجايلز فريزر، وأليسون مارلو، وتريشا سخليتشا، وهيلين تريڤورو لأنهم كانوا أول قرائي ولإعطائي ملاحظات رائعة.

شكرًا لموظفي مستشفى جامعة «ميلتون كينز» لسماحكم لي بالدخول إلى عالمكم والإجابة عن أسئلتي الكثيرة المتعددة، وبخاصة مورين بيسكيت، وچوزي وارنر، وأماندا ويلسون. وشكرًا لك يا واين مولدز على نُصحك ومساعدتك في البحث.

شكرًا لوالديَّ على تشجيعي على قراءة الكتب وحبها من سن مبكرة... لا يمكنك أن تصبح كاتبًا إن لم تكن قارئًا. أتوجه بخالص الشكر لبقية أفراد عائلتي وأصدقائي على حبهم ودعمهم المستمر. وشكر خاص لشارلوت إسيكس، أقدم أصدقائي في مجال الكتابة، لدفعي أعلى منحدر في بوليڤيا قبل عدة سنوات واستمرارها في دفعي للقيام بالأشياء التي أخشاها منذ ذلك الحين. أشكر چاسمين ويليامز على إيمانها بي وصديقتَيَّ العزيزتين آنا ماكدونالد وأليكس ڤانوتي لإضحاكي، وبعث الهدوء في نفسي، ولوجودهما دائمًا عندما أحتاج إليهما.

وأخيرًا، أود شكر زوجي، دانيال، كاتب زميل يعرف بالضبط كم كانت هذه الرحلة طويلة. ما من أحد آخر كنتُ سأنجح في رحلتي معه. هو أول قارئ لي، أعز أصدقائي، وكل شيء، لم أكن لأصبح هنا من دونك. شكرًا لك على تحمُّلي وعلى حبك لي.

أسئلة مجموعة القراءة

(بها حرق للأحداث)

1. «أحيانًا أكذب»، تكذب آمبر على أناس كُثر طيلة الرواية، على زوجها، على شقيقتها، على زملائها، وحتى على نفسها. هل تظنون أنها دائمًا ما كانت على دراية بكذبها؟ ألا نكذب جميعًا من وقت لآخر؟ أم أن تغيير الحقيقة طبيعة بشرية فحسب؟
2. «استغرق الأمر مني الكثير من الحب لأكرهها كما أكرهها الآن». عاشت آمبر ما يزيد على 20 عامًا وهي تصدِّق أن كلير تحميها، لكن هل تحبها؟ حسب تفكير كلير، الطريقة التي تعزل بها آمبر وتتحكم فيها تُعد حبًّا، فهي تعتقد حقًّا أنها تحميها. لكن هل الحب أم الخوف هو الذي دمر علاقتهما في النهاية؟
3. مَن هو الشرير الحقيقي في هذه القصة؟ مادلين؟ إدوارد؟ كلير؟ أم آمبر؟
4. «وقفتُ أمام فرن الموقد الكبير وثنيتُ ذراعيَّ عند كوعيَّ. تشكل أناملي الشكل المألوف: تلتقي السبابة والإصبع الوسطى بالإبهام في كل يد. همستُ لنفسي بهدوء، وأنا أتأكد ببصري أن كل شيء مغلق، بينما نقرتْ أظفاري معًا. فعلتُ هذا ثانيةً. وفعلتُه لمرة ثالثة». وسواس آمبر القهري بدأ بعد الحريق

عام 1992. ما مظاهر الوسواس القهري الأخرى التي يمكنك تذكُّرها من الرواية؟ ما مدى نجاح آمبر في إخفائه عمَّن حولها؟

5. ما منعطف الأحداث المفضل لديك في الرواية؟

6. «يقول الناس إنه لا شيء يضاهي حب الأم، وإن سلبت هذا الحب لن تجد شيئًا يضاهي كره الابنة». بأي قدر يقع اللوم على والدَي كلتا الفتاتين بشأن ما كبرتا لتكونا عليه؟ هل أخذت انطباعًا أن والدَيْ كلير عرفا ما هي قادرة على فعله مما ذكرته في يوميات طفولتها؟ هل يمكن أن يُغفر لوالدة آمبر تبنِّيها لكلير ورغبتها في إنقاذها رغم ما شعرتْ به آمبر؟ «أنا الابنة التي دائمًا ما كانت معهما».

7. ذُكر اللون الأحمر أكثر من ستين مرة في الرواية (الأقلام الحمراء المسروقة، أضواء الاستوديو الحمراء، فرشة الأسنان الحمراء، أحمر الشفاه، إشارات المرور، النبيذ، الدم، صدر أبو الحناء الأحمر، كل تلك مجرد أمثلة). ما المحاور الأخرى التي لاحظتها في الرواية.

8. «أمَّا بالنسبة للمداخلات الهاتفية اليوم، فنحن ندعوكم للتواصل معنا في موضوع الأصدقاء الخياليين...» هل فُوجئت عندما اكتشفت أن چو صديقة خيالية؟ عندما غادرت چو المستشفى قُبيل استيقاظ آمبر، لم نرها مجددًا قط. لماذا استطاعت آمبر أن تتخلى عنها في هذه المرحلة من حياتها؟

9. «يمكنني أن أكون «آمبر الصديقة» أو «آمبر الزوجة»، لكن الآن حان وقت «آمبر من برنامج **قهوة الصباح**». ألا نلعب جميعًا أدوارًا مختلفة في حياتنا؟ هل تختلف طريقتك في التعامل

مع عائلتك عن أصدقائك وزملائك؟ هل تشعر أنك نستطيع أن تكون على طبيعتك مع كل مَن تعرفهم؟

10. «حطَّمه نجاحه، وحطَّمنا فشله». كان زواج بول وآمبر في المأزق ببداية الرواية... صراعاته مع الكتابة، وفقدان وظيفتها كمراسلة تلفزيونية، وعدم قدرتهما على إنجاب طفل، يبدو أن كل هذا كان له دوره. لماذا أصبحا أسعد في النهاية؟ ما الذي «أصلحهما»؟

11. هل استمتعت بقراءة أغاني الأطفال التي في الكتاب؟

12. «أكره المستشفيات. إنها موطن الموت والندم الذي فات أوانه» ما هو الندم الذي تظن آمبر تشير إليه وهي تقول هذا؟ هل تظن أن أي شخصية أخرى في الرواية تشعر بالندم؟

13. دعونا نتحدث عن تلك النهاية!